أصول الدين

التوحيد

تأليف

السيد عبد الحسين دستغيب

ترجمة

أحمد القبانچي

دار الكتاب الاسلامي

التوحيد

Dast'ghayb

سلسلة أصول الدين

(١)

التوحيد

تأليف

السيد عبد الحسين دستغيب

ترجمة

أحمد القبانچي

(RECAP)
BP166
.2
.D3612
1990

حُقُوق الطَّبع محفُوظة

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY
32101 02475221

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

لقد تفضل على اخي وقرة عيني وباقي اخوتي الشهداء السيد أحمد القبانجي بطلب التقديم لهذه الترجمة . . .

والحقيقة أني لم أرض لنفسي أن أضعها في موضع هي أقل منه بكثير ، فالتقديم لمثل هذا الكتاب أمر يناط بالعلماء الصالحين ، والاساتذة القديرين . . . وعلى ذلك فأني مسؤول عن تقديم عذري ، أولا ان عملي هذا انما هو استجابة لطلب ملح كنت اخشى ان يكون في رده شيء من عدم الوفاء وعدم التقدير للجهد المشكور الموفق الذي بذله اخي في هذه الترجمة . .

واجعل عذري ثانياً ان التقديم لكتاب لا يعني دوماً الاضافة على أصل الكتاب أو الحكم عليه من أعلى ، انما افترض نفسي ـ كما ارجو . واحداً من اولئك الذين تلمذوا على دروس هذا المعلم العظيم والمربى الكبير مدة انشغالي بترجمة كتابه (الذنوب الكبيرة) ، وعلى ذلك فاني اكتب هذا التقديم بوصفي متعلماً ينقل بعض تصوراته .

مناهج الدراسة العقائدية :

ان مطالعة للكتب العقائدية ـ سواء القديمة والحديثة ـ ومنهجها الدراسي يلفتنا الى تعدد المناهج والاساليب في بحث العقيدة الاسلامية ، وحيث كنت أجد أن مؤلف هذا الكتاب (الشهيد آية الله دستغيب) وقد تفرد بمنهج خاص أحببت الوقوف عند هذه النقطة بالذات أعني (المنهج) .

هناك ثلاث مناهج للدراسة العقائدية .

١ ـ المنهج النظري :

هذا المنهج في دراسة العقيدة الاسلامية هو المنهج الذي ألفناه في عموم الدراسات الفلسفية للعقيدة ، والذي يهتم بالتركيز على الجانب النظري والفلسفي مثبتاً بالبراهين الفلسفية والنظرية صحة المعتقدات الاسلامية ومفنداً لجميع الشبهات والاشكالات التي ترد عليها . ان جميع كتب الفلاسفة والمتكلمين القدامى في دراسة العقيدة تدخل في هذا المنهج ، كما يدخل في هذا المنهج ايضاً بعض الدراسات الفلسفية الحديثة للعقيدة مثل كتاب (فلسفتنا) للسيد الشهيد الصدر رضوان الله عليه ، ان هذا المنهج يتعامل مع الفكر والمنطق وبلغة الفكر والمنطق ايضاً والمهم لديه أن يقيم البرهان الصحيح من الناحية الفلسفية والمنطقية على صحة العقيدة الاسلامية ، اما ما وراء الفكر وما بعد فهي مسألة ثانية لا يستعرض لها هذا المنهج .

٢ ـ المنهج الحضاري :

هذا المنهج هو الذي يهتم بعرض العقيدة الاسلامية لا باعتبارها مقولات فلسفية مجردة وانما باعتبارها اصولا لحضارة كاملة تهتم بالانسان في جوانبه الحياتية كافة ، فهذا المنهج يتناول الابعاد العملية للتوحيد والعدل والنبوة والامامة والمعاد ، كما يتناول الانسان وموقعه في هذا الكون ، وعلاقته مع الطبيعة ، ودوره في عملية التغيير الاجتماعي .

يتناول كل هذه المسائل مقارنة بالحضارة الغربية والشرقية الحديثة . ان افضل نموذج لهذا هو كتابات الشهيد مطهري رضوان الله عليه في (النظرة الاسلامية للعالم) فهو يقدم دراسة للعقيدة الاسلامية في سائر جوانبها مقارنة بالحضارة الحديثة .

٣ ـ المنهج التربوي :

يهتم هذا المنهج بعرض العقيدة الاسلامية عرضاً تربوياً مؤثراً بهدف احداث تغيير روحي في السامع والقارىء اكثر مما هو بهدف البرهنة العلمية على صحة المعتقد الاسلامي أو كمال الحضارة الاسلامية وجدارتها .

والحقيقة ان هذا المنهج هو المنهج القرآني في عرض العقيدة الاسلامية كما انه المنهج المأثور في احاديث أئمتنا عليهم السلام .

ولعل آية الله الشهيد دستغيب هو أفضل في سلك هذا المنهج في الدراسات المعاصرة

للعقيدة الاسلامية بل يمكن اعتباره مؤسسا لهذا المنهج في الدراسات العقائدية .

ويعتمد هذا المنهج على حقيقة ان العقيدة الاسلامية ليست نظريات مجردة ، ولا اطروحات حضارية فحسب انما هي مضافاً الى ذلك تربية اخلاقية خالصة للعباد في طريقة تعاملهم مع الخالق ومع المخلوقين . ومن هنا قال العلماء بان التوحيد هو توحيد عملي :

« ان جميع العلوم عملية حتى علم التوحيد ، فله ايضاً أعمال قلبية وقالبية ، ان التوحيد هو من باب التفعيل وهو عبارة عن اعادة الكثرة الى الوحدة ، وهذا من الأعمال الروحية والقلبية . . »[1] .

الحاجة الى المنهج التربوي :

لا شك اننا بحاجة الى المناهج الثلاثة السابقة ، ولا شك أن العالم أولى من غيره باستيعاب الجوانب المختلفة للعقيدة الاسلامية فلسفياً ، وحضارياً ، وتربوياً .

الا انني اعتقد بفقرنا البالغ الى دراسة تربوية للعقيدة الاسلامية ، وحاجة جمهور المسلمين الى ذلك .

لقد استطاعت الفلسفة الاسلامية أن تتفوق على الفلسفات الاخرى المادية والمثالية ، والمسلم اليوم يعيش ثقة عالية بعقيدته في مجال قوة البرهان الذي تملكه ، وقد حقق كتاب (فلسفتنا) وبعده (الاسس المنطقية في الاستقراء) لنابغة دهره الشهيد الصدر انجازاً كبيراً في هذا المجال ، كما حققت كتابات فيلسوف الاسلام السيد محمد حسين الطباطبائي انجازاً مثل ذلك .

اذن فنحن من الزاوية الفلسفية والنظرية لا نواجه مشكلة .

كما اننا من زاوية الطرح الحضاري للعقيدة الاسلامية ايضاً لا نعاني مشكلة . خصوصاً بعد أن نجح الاسلام في تحقيق أعظم ثورة معاصرة ليس في حدود الجمهورية الاسلامية في ايران وانما هي ثورة ما تزال في أول الطريق . .

ان المسلم اليوم اقرب الى الثقة بقوة حضارته الاسلامية ، بل إن غير المسلمين اصبحوا يتطلعون الى هذه الحضارة المنقذة .

أما نقطة الفراغ التي يعاني منها المسلمون اليوم فهي الجانب الروحي والتربوي ،

(١) الامام الخميني (دام ظله) الاداب المعنوية للصلاة ٣٠٥ .

فالمفاهيم الاسلامية ربما تكون واضحة لدى الجميع الا أن ما ينقصهم هو تحكيم تلك المفاهيم في سلوكهم الحياتي .

ان (التوحيد) لا يختلف فيه اثنان من المسلمين لكننا نجد القرآن الكريم يقول « وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون » سورة يوسف ١٠٦ .

و (النبوة) هي كذلك ايضاً بينما نجد القرآن يقول « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم » سورة النساء ٦٤ .

وعلى ذلك فان العقيدة الاسلامية هي اخلاقية تحكم تحركات الانسان المسلم دائماً وليست مجرد مفاهيم كما سبق .

اذن ، فنحن اليوم أحوج ما نكون الى الطرح التربوي للعقيدة الذي يشد الناس اليها ، بل يصبغهم بروحها ، وان المهمة المطلوبة اليوم من علماء الدين هي ان يزكوا أرواح الناس ويطهروها مما علق بها من شوائب لا حد لها ، وهنا تأتي أهمية هذا الكتاب وسائر كتب الشهيد دستغيب .

مقومات المنهج التربوي :

ان النقطة الاساسية التي يتوقف عليها النجاح في هذا المنهج هي البدء أولا باصلاح الذات وتربيتها وتحكيم العقيدة فيها ، وبمقدار ما يكون المبلّغ الديني ، والمربي الروحي مهذباً لنفسه ، ومجسّداً للمفاهيم التي يمليها على الناس ، وقدوة صالحة ، يكون تأثيره في الآخرين اكثر ، وأوضح ، وأسرع .

ومن هنا ورد في الحديث الشريف عن أمير المؤمنين (ع) :

« من نصّب نفسه للناس اماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه ، ومعلّم نفسه ومؤدبها احق بالاجلال، من معلم الناس ومؤدبهم » نهج البلاغة ـ القسم الثالث .

هذه الملاحظة أعطت ميزة اخرى لمحاضرات وكتابات الشهيد دستغيب ، فالقارىء لكتاباته ، والمستمع لمحاضراته يجده قد بلغ مرتبة عالية في تزكية النفس وترويضها وتهذيبها ، لدرجة يسبق السامعين في التفاعل والتأثر بما ينقله ويرويه من أحاديث شريفة أو قصص مربية طريفة .

ان القارىء لينجذب الى حديث هذا الشهيد العظيم ، وينتقل معه لا ارادياً الى الآفاق

الروحية العظيمة التي يفتحها له .

واني بهذا الصدد أحببت أن أؤكد لسائر اخواني في الله ممن وضعوا انفسهم لهداية الناس وتربيتهم أن علينا البدء بممارسة هذا المنهج مع انفسنا أولاً ثم عكسه على الآخرين بسلوكنا واحاديثنا ، وبدون ذلك فاننا لا يمكن أن نحدث تأثيراً حقيقياً في الناس ، بل بدون ذلك لا يمكن ان نكون صادقين مع أنفسنا ونحن نفترض أننا الجسور التي تربط الناس بالله ، كيف ذلك ونحن لم نربط أنفسنا ؟

ولا يفوتني أن ادعو هنا كافة اخوتي واساتذتي من علماء الدين ، وطلاب العلوم الدينية الى مزيد التأمل والمطالعة لما ورد عن أئمتنا الطاهرين في هذا الجانب واستفيد من هذه الفرصة لنقل الحديث النبوي التالي :

« أوحى الله الى داود (ع) لا تجعل بيني وبينك عالماً مفتوناً بالدنيا فيصدك عن طريق محبتي فان أولئك قطاع طريق عبادي المريدين ، ان ادنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة مناجاتي من قلوبهم » اصول الكافي ص ١ .

طريقان لاصلاح الذات :

كيف نبدأ باصلاح الذات ، وتربية النفس ؟

هناك طريقان : طريق العمل وطريق العزلة ، طريق مواجهة الاحداث وطريق الانهزام منها ، طريق تحمل المسؤولية وطريق الهروب من المسؤولية ، طريق العمل من أجل اداء التكليف وطريق الفرار من التكليف .

بعض الناس ـ وانا اوجه هذا الكلام بالخصوص لطلبة العلوم الدينية الذين يتحملون مسؤولية هداية الناس واصلاحهم ـ يتصور ان من الافضل له ان يعكف في زاوية بيت او مدرسة او مسجد مشغولا بأصلاح نفسه بعيداً عن هموم المجتمع ، وقضايا الناس .

لكن هل يمكن اصلاح النفس بهذا الطريق ؟ وما الذي رسمه لنا الاسلام ؟ وما هو الطريق الذي سلكه الائمة الطاهرون (ع) ؟

لا شك ان اعباء المسؤولية ثقيلة ، ولا شك ان الابتعاد عن حمل الهموم اقرب لراحة النفس ، ولا شك ان الخلوة لمناجاة الحبيب ، و التفرغ للصلاة والدعاء وتلاوة القرآن أحلى وأجمل ، ولكن هل هذا هو طريق اصلاح الذات ؟ وهل هذا هو التكليف الشرعي علينا وكل ما حولنا يستغيث ويطلب الحركة والنشاط وبذلك الجهد لنصرة الاسلام وتوعية المسلمين ؟

تعالوا نستمع الى أمير المؤمنين (ع) وهو يقول « اما والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة ، لولا حضور الحاضر ، وقيام الحجة بوجود الناصر وما أخذ الله على الناس الا يقارّوا على كظّة ظالم ، ولا سغب مظلوم ، لا لقيت حبلها على غاربها ، ولسقيت آخرها بكأس أولها » نهج البلاغة . الخطية ٣ .

وتعالوا نقرأ الاحاديث الشريفة عن أئمتنا (عليهم السلام) .

يقول معاوية بن عمار قلت لابي عبد الله (الامام الصادق) رجل راوية لحديثكم يبث ذلك في الناس ويشدده في قلوبهم وقلوب شيعتكم ولعل عابداً من شيعتكم ليست له هذه الرواية أيهما أفضل ؟ قال (ع) : الرواية لحديثنا يشدد به قلوب شيعتنا أفضل من الف عابد » اصول الكافي ص ١ .

وعن أمير المؤمنين (ع) :

« ان الله لم يأخذ على الجهال عهداً بطلب العلم حتى أخذ على العلماء عهداً ببذل العلم للجهال ، لأن العلم كان قبل الجهل » اصول الكافي ص ١ .

الشهيد دستغيب قدوتنا في هذا الطريق :

ان مؤلف هذا الكتاب (الشهيد دستغيب) هو أفضل مثل يمكن أن نتخذه في هذا المجال ، فالشهيد دستغيب هو عارف من العرفاء ، وولي من اولياء الله ، ومن العلماء الصالحين الابرار ، ثم هو الرجل الواعظ والمرشد والمبلغ الديني الذي صرف عمره في التبليغ وهداية الناس ، ثم هو الرجل المجاهد والثائر ، والصابر على المعاناة في سبيل الله ولنصرة الاسلام ، واخيراً جمع البرهان على كل هذه الصفات حينما أصبح (شهيد المحراب) وخر ملطخاً بدمه وهو في طريقه لاداء صلاة الجمعة في شيراز .

لم يبتعد هذا الشهيد العظيم عن حمل هموم مجتمعه ، ودينه ، وشرعة اجداده الطاهرين ، ولم يتخل عن مسؤوليته من مواجهة الظالمين ، ولم يعتزل العمل للاسلام بحجة اصلاح النفس ، وتربيتها وتهذيبها ، انما أصلح ذاته من خلال أداء التكليف ، من خلال الحضور الدائم في ساحة المجتمع ، ومواجهة الاحداث .

هذه الترجمة دليل اخر :

وأنا أحب في الختام ان اضع بين يدي اخواني طلبة العلوم الدينية دليلاً آخر على ان

التوفيق للعلم والعمل الصالح انما هو بتحمل المسؤولية لا بالفرار منها ، بالحضور مع الناس لا باعتزالهم ، هذا الدليل هو هذه الترجمة نفسها .

فانا أدري أن معظم هذه السلسلة في ترجمة كتب الشهيد دستغيب التي وفق لها اخي وعضدي السيد احمد القبانجي انما انجزت في صفوف المقاتلين ، وفي اعماق الجبهات القتالية ، وفي قلب الاهوار المحررة من اراضي عراقنا الحبيب ، هناك وفي ساعات متأخرة من الليل او مبكرة من النهار وفي مواقع المجاهدين الابطال ، او في الكمائن الموضوعة لمنع تسلل العدو الى ثغور الاسلام كانت انامل المترجم تكتب سطور هذه الترجمة ، بينما اليد الأخرى تمسك البندقية .

وانا أعرف ان هذا هو (التوفيق الالهي) ولا استطيع ان اطلق عليه اسماً آخر ، ولا أشك ان هذا التوفيق المترجم ببركة اخلاصه ، وتحمله للمسؤولية ، وحضوره في ساحات الجهاد ، وتفكيره باصلاح النفس من خلال ذلك .

اسأل الله له ، ولنا جميعاً احسن التوفيق ، وافضل العمل ، وان يختم لي وله بالشهادة والرضوان .

٤ / جمادي الاولى / ١٤٠٦ ه .

صدر الدين القبانجي

الفصل الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

الامام امير المؤمنين (ع) يقول في اول خطبة في نهج البلاغة : اول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به وكمال التصديق به توحيده وكمال توحيده الاخلاص له . .

بالتفكر تتكامل المعرفة الفطرية :

معرفة الله هي المبدأ للدين الالهي والبداية لدعوة الانبياء واول برامج الاديان الالهية فيجب ان يكون اول تفكير للبشر هو التفكّر حول الله . . ان تتكامل المعرفة الاجمالية الفطرية وتصل الى المعرفة التفصيلية ، معرفة الله تعني ان لهذا العالم صانعاً، لأن العالم حادث ولكل حادث محدث ، وهذا الحد من المعرفة فطري وكل انسان يجد هذا المعنى في ذاته فلا يوجد شيء بدون سبب وعلة . .

عندما يصل الطفل الى مرحلة الشعور ويوضع شيء امامه من خلفه فقبل ان تمتد يده الى ذلك الشيء ينظر ليرى من الذي جاءه بذلك الشيء ؟ فالشيء الذي لم يكن موجوداً ثم وجد بعد ذلك فلا بد ان له موجداً ولا بد ان احداً اوجده لأن حصول امر حادث . وهكذا عندما ينظر الى عالم الوجود يفهم بحسب فطرته ان له موجداً لأن « الايجاد » حدث اذن لا بد ان له محدثاً . .

وعندما ينظر الى بدنه ويرى الحكمة والنظام الدقيق في جميع اجزائه فيتيقن بان له خالقاً قادراً وعليماً . وهذه المعرفة الاجمالية التي هي فطرية يجب تنميتها بالتدبر في الآيات والتفكر في الاثار . ويستمر ينميها ويغذيها حتى تصل الى مرحلة التصديق . . تصل الى مرحلة اليقين والاذعان القلبي ـ يصل الى مرحلة بحيث لا يبقى له اي شك او تردد .

اجسامنا جميعا من التراب :

في سورة الروم المباركة وفي ضمن الايات التي تذكر افعال الخالق وترشد الى دلائل حكمته وقدرته تذكر في البداية آيات حول هذا البدن ، هذه الاية الالهية الكبرى :

﴿ **ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون** ﴾[1] لو ان اي شخص رجع الى الوراء ليرى كيف كان قبل مائة عام . . كان ذرات منشرة في هذا العالم في التراب والهواء والماء . . وقد اجتمعت هذه الذرات بقدرة الله في الاطعمة . . في الحنطة والأرز وكذلك العلف في الصحراء لتأكل منه الحيوانات وبعد ذلك أكل الأب والام من هذا اللحم والقمح والأرز، ثم جاوز مراحل المظم الاربعة وفي المرحلة الرابعة يتم دفع القسم الزائد منها ويبقى القسم الآخر في اوعية المنى وفي الرحم .

اذن فقد كنا جميعاً تراباً وقد جمعته يد القدرة في الأب والأم ثم تكامل البدن في رحم الام فهل ان التراب الذي جاوز لحد الآن هذه المراحل هو الذي رتب ونظم البدن على هذه الصورة ، او ان الذي فعل ذلك هو قوة ذات شعور وادراك ؟ . .

العلم والقدرة اللامتناهية هي التي اوصلت التراب الى هذا الحد بايد مربية .

السمع والبصر بحاجة الى ملايين الاجزاء :

الا ينبغي ان نتأمل في انفسنا ونعمل بامر القرآن الكريم الذي يقول لنا ﴿ **فلينظر الانسان مم خلق ـ خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب** ﴾[1] .

لا يوجد عرق واحد او عظم في هذا البدن بدون حكمة وفائدة فكلما تطور علم التشريح تتضح اكثر المنافع والحكم المخلوقة في اجزاء هذا البدن ، فمع هذه الاكتشافات الاخيرة المحيرة حيث يقال بان الاذن تحتوي على ثلاثة ملايين جزء (خلية) بحيث لو لم يوجد قسم منها فلا يكون السمع كاملا . وفي تكوين العين هناك سبعة طبقات مدهشة صنعت من ملايين الاجزاء حتى يكمل جهاز التصوير والبصر . وهكذا كل واحد من اعضاء البدن . . الشيء اللازم هو التدبر والتفكر .

(١) سورة الروم آية ٢٠ .

(١) سورة الطارق ٨٦ آية ٥ ـ ٧ .

على الاقل يجب في الليل والنهار تخصيص ساعة معينة للتفكر والتحقيق في آيات الله واكتساب العبرة منها حتى يصل من المعرفة الاجمالية الى المعرفة التفصيلية ومقام التصديق .

« وكمال معرفته التصديق به »

ان يصل الى منزلة بحيث يقترب قلبه من خالقه ، يعترف ويسلم لله ، ويصل الى مرتبة علم اليقين بحيث لا يحتمل الخلاف واحد بالمائة فقد جاوز الشك فليس له اي وهم او وسوسة او احتمال الخلاف ، ويتجاوز علم اليقين ويرتفع ليصل الى عين اليقين حتى تكون عنده معية الله اوضح من كل واضح ، واظهر من كل ظاهر .

مع كل موجود بدون حلول واتحاد :

المعية تعني مصاحبة الله التي يقول القرآن الكريم عنها : ﴿ وهو معكم اينما كنتم ﴾ .

قيوم عالم الوجود هو الله ووجودنا وكيلفنا جميعاً متقوم بالله ، فهل يوجد ظل بدون صاحب الظل .

وفي نفس هذه الخطبة المباركة من نهج البلاغة يقول :

« مع كل شيء لا بمقارنة » .

الله مع كل موجود لكن لا بالتصاق وتقارب خارجي ، فلو افترض ان وجود اي موجود منفصل عن وجود الله فهل يمكن ان يكون العدم موجوداً ؟ فالله هو الذي اعطى الوجود لذلك الموجود « مع كل شيء لا بمقارنة » كأن نقول الله وزيد . . فليس الوجود هنا بأن يكون الشخص بذاته موجوداً وخالقه ايضاً موجود ، أي انهما موجودان في عرض واحد وفي نفس الوقت ، بل ومع قطع النظر عن الوجود الذي اعطاه الله له فهو عدم وليس بشيء .

« الممكن من شأنه ان يكون ليس ، ومن عليه ان يكون أيس » كل موجود ليس بشيء من جهة ذاته (بما هو) ولكن من حيث ان وجود الله معه فهو موجود .

وهناك جملة منسوبة الى الامام امير المؤمنين (ع) حيث يقول : « ماوأيت شيئاً الا ورأيت الله قبله وبعده ومعه » فاني ارى الله مع كل شيء اراه .

يجب على الانسان ان يصل الى حد يكون فيه النظر الالهي بالنسبة اليه امراً عادياً ، لا اقل يصل الى مرتبة علم اليقين ، فلو لم يتمكن من الوصول الى حق اليقين وعين اليقين ، فعليه ان يعلم بان وجود كل موجود من الله ، لا حلول ولا اتحاد فكلاهما كفر والحاد ، فليس

الله داخلا وحالا في الشيء ، ولا ان كل موجود متركب منه ومن خالقه ، فهذان الامران (الحلول والاتحاد) غلط وكفر ، وانما وجود كل موجود من الله فكل احد ليس له أي شيء من نفسه .

اي همه هستى زتو پيدا شده خاك ضعيف از تو تو اناشدة

أي : يا من صدر منك جميع الوجود ، التراب الضعيف اصبح مقتدراً منك . . اصبح مقتدراً ، عالماً وسمعياً وبصيراً . .

قلت اننا جميعاً لم نكن سوى حفنة من التراب والآن نحن موجودات نفهم ، ونسمع ، ونبصر فهل هذه المظاهر منا ؟ يعني من التراب ؟ ام من اين ؟ . . من ذلك الوجود التي ظهرت منه هذه الآثار . . المقصود « وكمال معرفته التصديق به » فالـلازم ان يقبل الانسان دعوة الانبياء . . ان يجعل نفسه من بداية سن التكليف في طريق المعرفة والتدبر ، والتفكر في الآيات الالهية . . ان يدرك حقيقة وجوده ووجود الآخرين .

لماذا الشك والانكار مع كل هذا الوضوح ؟

وهنا سؤال كثيراً ما يرد على الاذهان . . وهو ان اثبات اي موجود يتم بدليل او عدة ادلة . . فلماذا نرى الكثيرين لا يصدقون بوجود الله ؟ مع ان الادلة والبراهين على ذلك بعدد موجودات العالم ، وبعدد ذرات الصحاري وقطرات المطر . . بعدد شعر وشرايين وعظام الاجسام وهي كلها شاهدة على وجود الخالق ويقول سعدي الشيرازي :

برك درختان سبز در نظر هو شيار هرورقش دفتر يست معرفت كردگار

أي : ان اوراق الشجر الخضراء في نظر المتفطن . كل ورقة منها دفتر في معرفة الله .

وكذلك في اطراف عالم الوجود وكل ما تراه العين الذي لا يمكن احصاؤه حتى لو اصبحت جميع الاشجار اقلاماً والبحار مواداً وحبراً وكل متحرك يصبح كاتباً لما تمكنوا ان يحصوا كلمات الله وعلائم حكمته وقدرته ، فكل ما نراه وما لا نراه دليل على وجود الله ، فكيف لا يصدق ذلك الكثيرون ؟ وحتى اولئك الذين قبلوا ذلك نجد الشك والوسوسة تساورهم عادة ولم يصلوا الى مرحلة اليقين والتصديق الحقيقي لماذا ؟

حجاب على عين القلب :

جوابه هو ان خالق العالم مع كل هذه الآيات والكلمات والدلائل غير المحدودة هو خفي .

محل العلم والتصديق هو القلب فقلب الانسان يمكن ان ينظر . . عين القلب لا الحس . . عين البصيرة لا البصر . . هذه العين لا ترى الا الاجسام والله خالق للجسم ومنزه ان يرى بهذه العين ، اما الفهم فبامكانه ان يؤمن ويصدق به وتحصل له علاقة خاصة به ويتحرك نحوه الى ان يصل به الأمر ان يفدي نفسه من اجله ، ويقدم وجوده الى خالقه مثل هؤلاء الشباب الاعزاء الذين يقدمون ارواحهم فداء للاسلام في جبهات الحرب في هذا الوقت .

الحجاب العظيم الذي يغطي مرآة القلب هو المانع الكبير للرؤية وذلك الحجاب هو حجاب النفس والذات ، فما دام الانسان يرى نفسه فمن المحال ان يرى الله . . وما دام يركض خلف اهوائه النفسية فمن المحال ان يتبع الله . . ما دام يطلب راحة نفسه وسرورها فمن المحال ان يطلب رضا الله . . وما دام مشتاقاً الى الدنيا والرئاسة والمقام والمال فسوف لا يرى مهما كان المطلب واضحاً ، فالغارق في عشقه للشهوات والميول النفسية فسوف تخفى عليه اوضح الامور وهي وجود الله . . والذي بينه وبين قلبه حجاب فكيف يمكن لقلبه ان يدرك ؟ كما لو انه وضع على العين قماشاً او أي مانع آخر فنجده لا يتمكن من رؤية الشمس مع كل هذا الضياء ، فطلب الجاه والمقام وحب الدنيا كذلك ايضاً . . لا يجتمع حب الذات وحب الله . وفي المثل العامي يقال : (لا يمكن ضرب غرابين بحجر واحد ولا يمكن اصابة هدفين بسهم واحد) .

حب النفس من أشد الحجب ظلاما :

الناظر لنفسه لا يكون ناظراً لله ، فهذا هو الذي يمنع الانسان من رؤية الله ، والايمان به يعني الاعتقاد وليس القول باللسان « لا اله إلا الله » بل ان يؤمن قلبه بالله ويدور حوله ويطلب رضاه ، فذلك الايمان مكانه القلب وليس اللسان « الهي قلبي محجوب » فما دام للقلب حجاب . . ذلك الحجاب الذي صنعه بنفسه واخذ يقويه يوماً بعد يوم . . الحجب التي كثرها بيده وكل عمل قام به من اجل حب النفس والانانية فهو يتنافى مع المعرفة بل يوجب البعد عن الله وقد ـ لا سمح الله ـ يوجب الانكار ، فقد يصل الشخص الجاهل الى حد يقول انا موجود اما الله . . ؟ هذه هي نتيجة حجاب القلب . . ولو صارت « انا » و « الانانية » قوية فسوف ينسى كل شيء عن نفسه ، وينسى انه كان تراباً ثم نطفة وبعد ذلك يصير ضعيفاً ، كما ينسى الهرم والشيخوخة والمرض والحاجة واخيراً الموت ايضاً .

الامام الصادق (ع) يقول : « لا حجاب اظلم واوحش بين العبد وبين الله تعالى من

النفس والهوى وليس لقتلهما وقطعهما سلاح وآلة مثل الافتقار الى الله سبحانه والخشوع والجوع والظمأ بالنهار والسهر بالليل » [1] .

الصوم والسهر علاج لحجب القلب :

والآن ما العمل لازالة هذه الحجب ؟ الحجاب الذي مع وجوده يستحيل وجود الايمان والمحبة والعلم ، وازالته بيد الانسان وطريقته مذكورة في نفس ذلك الحديث الشريف ـ الامام الصادق (ع) يقول :

« ولا سلاح لدفعهما مثل الظمأ والسهر بالليل والافتقار الى الله » .

فالاسلحة التي تقلع هذا الحجاب من جذوره وتكسر هذا السد هي الجوع والعطش في النهار يعني الصوم والسهر للعبادة في الليل والاحتياج الى الخالق .

الصوم له تأثير كبير في اخضاع النفس وازالة ميولها خصوصاً في وقت العصر الذي تظهر فيه هذه الخصوصية اكثر ، ويمكن ان يدرك البعض ذلك . وقد ورد في الخطبة الشعبانية عن الرسول الاكرم (ص) : (والشياطين مغلولة) فلعله اشارة الى هذا المعنى فكل وقت يصوم فيه الناس تكون الجرائم والذنوب اقل ايضاً .

النهوض في السحر ايضاً له اثر في كسر سد الجهل وحجابه النفسي ﴿ **والمستغفرين بالاسحار ، وبالاسحار هم يستغفرون** ﴾ فالله سبحانه وتعالى قد ارشد المؤمنين في القرآن المجيد الى هذا الطريق فالنهوض في وقت السحر واللجوء الى الله في الثلث الاخير من الليل هو دواء قد اجازه الطبيب الحقيقي يعني رب العالمين .

الحاجة الى الله و « الافتقار الى الله » والتوجه اليه في كل الاحوال بحيث يصبح ذلك ملكة في الانسان سيقلع الانانية وحب الذات . . في منتصف الليالي وعندما يكون الجميع مستغرقين في لذة النوم يمد اولئك الذين وقعوا موضعاً لنظر الله ولطفه يد الحاجة الى الحضرة الالهية الغنية .

ويقول امير المؤمنين (ع) في نهج البلاغة ايضاً في خطبة همام :

« اما الليل فصافون اقدامهم تالين لاجزاء القرآن يرتلونها ترتيلا يحزنون به انفسهم ويستثيرون به دواء دائهم » .

(١) مصباح الشريعة باب الجهاد .

الفصل الثاني

بسم ا الرحمن الرحيم

الحركات الكمية والكيفية دليل على محرك العالم :

اول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به .

معرفة الخالق من الامور الفطرية ، ودلالة الاثر على المؤثر . . دلالة المصنوع على الصانع ـ دلالة المعلول على العلة عند العقل امر فطري ، فكلما رأى متحركاً فسيتوجه الى المحرك له . . عندما يرى حركات الاجرام السماوية غير القابلة للحصر وهي تدور في مدارات منظمة فان نظام هذه الاجرام شاهد على ان هناك محركاً ذا ارادة وعلم وقدرة غير متناهية . كذلك الحركات الكيفية والكمية والمكانية التي نشاهدها في الوجودات العنب في بداية طلوعه تكون حباته غائرة وغير ناضجة ، ففي البداية يكون صغيراً جداً ولكن بالتدريج تبدأ الحركات الكمية والكيفية فيه الحركة الكمية له هو ان تلك الحبة التي كانت في البداية تكبر بالتدريج حتى تصبح بمقدار سبابة الاصبع او اكبر ، اما الحركة الكيفية : فاوله شديد الحموضة ولكن تقل هذه الحموضة بالتدريج وتزداد حلاوته : وكذلك من حيث اللون ترون انه يتغير ايضاً ويميل من الاخضرار الى الاصفرار .

هذه الحركات الكمية والكيفية الموجودة في كل الموجودات بزيادة ونقيصة ألا تدل على ان لهذه الحركات محركاً ؟ فالغرض من المسألة هو دلالة الحركة على المحرك والاثر على المؤثر ، والصنوع على الصانع .

التوجه الى العين والوجه :

اذا رأيتم ورقة مكتوبة بخط جيد فستتوجهون فوراً الى كاتب ذلك الخط والى مهارته

وفنه في تنظيمه للخط . والى علمه وقدرته على ذلك ، فدلالة الخط على كمال الكاتب امر فطري يتوجه اليه الشخص فوراً ؛ وهكذا الرسام مثلا عندما يرسم وجهاً معيناً فأي شخص يراه يدرك فوراً قدرة ذلك الرسام واطلاعه ، فهل ان دلالة هذا الرسم على الرسام اكبر ، أم دلالة رسم وجه اي واحد منا ؟ توجهوا الى كيفية تصوير وابداع هذا الوجه على مساحة شبر مربع واحد . . العين ، والشكل اللوزي الذي خلقها الله عليه ، فلو كانت مربعة فكم سيكون قبيحاً . وكم سيكون قبيحاً اذا كانت على شكل سداسي او اي شكل آخر ؟

مع ذلك فالشكل اللوزي للعين له خاصية اخرى ، فعندما يدخل الغبار والتراب والاوساخ الأخرى الى العين فبواسطة السوائل التي تترشح من العين ستخرج من زوايا العين فلو لم يكن هذا الشكل بل كان للعين شكل آخر فسوف لا تكون له هذه الخاصية بهذه الصورة فكم سيكون الصانع لهذه العين عالماً وقديراً .

الحاجب والاهداب واجفان العين تدفع الى الحيرة :

لننظر الى الحاجب اولا فمكانه اعلى العين ، فاضافة الى الجمال الذي يضفيه على الوجه جعله مقوساً حتى لا يصل العرق النازل من الجبهة الى العين الحساسة جداً ويتسرب من زوايا الحاجب ، اضافة الى انه مضلل للعين وينظم بلونه الاسود نور الشمس للعين لترى بصورة احسن .

اجفان واهداب العين تدفع الى الحيرة ايضاً ـ شعيرات الاهداب جعلت متفرقة عن بعضها بفاصلة شعيرة واحدة ، يعني ان العين عندما تغلق لا تقع شعيرات الاهداب على بعضها ويقع بينها فراغ نتيجة لذلك فلو كان كذلك فهو للغرض منها اذ يمكن ان يدخل الغبار الاتربة الى العين ، بل جعلت هذه الفاصلة بين الشعيرات لكي تلتحم الاهداب بصورة كاملة وتتداخل وتسد تلك المنافذ ولا تدع اي منفذ للغبار الى العين .

سواد الاهداب والحاجب له خاصية وحكمة اخرى وهي تنظيم النور الى العين فالنور لو لم يقابله شيء مظلم فسوف ينتشر وقد جربتم ذلك عندما تريدون مشاهدة شيء بعيد فأنتم تضعون يدكم في مقابل العين حتى لا ينتشر نور العين ويصل الى ما تريدون بصورة مباشرة . فشعيرات الاهداب والحاجب سوداء خصوصية تنظيم النور .

لو ان شعرة واحدة منها دخلت الى العين ، او انها نبتت في الاجفان من جهة الداخل مثلا فكم سيكون ذلك صعباً للانسان ، وقد يصاب بذلك بعض الافراد ليكونوا عبرة للاخرين .

وللعين اربع حركات الى الاعلى والاسفل واليمين واليسار دون ان يكون محتاجاً لتحريك رأسه ، بل هي تتحرك الى الاعلى والاسفل واليمين واليسار بمجرد الارادة ، عندما يسير يرى امام اقدامه بشكل اعتيادي دون الحاجة الى احناء رأسه . وهذه الحركات الاربع للعين ناتجة عن اربعة اعصاب بحيث لو تلف اي واحد منها فسوف لا تتمكن العين من ان تتحرك تلك الحركة .

تفكر في الفم والشفاه والاسنان :

لاحظوا الشفاه ما اعظم الدقة في صنعها ، وكيف انها تنطبق على بعضها وتمنع تسرب الاطعمة التي يأكلها الانسان الى الخارج وكذلك هي وسيلة لخروج الحروف والكلمات من الفم فكثير من الحروف تظهر بواسطة هذه الشفاه .

وانظروا الى داخل الفم ، الاسنان في المقدمة من اجل تقطيع الطعام ، والاسنان الخلفية لطحنه فكل قسم منها صنع بشكل يتناسب ووظيفته .

يجب التأمل في هذا الشبر المربع من الوجه وكيف ان لصانعه وخالقه تلك القدرة والعلم اللامحدود .

بداية طلوع الانسانية في الانسان هو التفكر ، والفارق بين الانسان والحيوان هو المعرفة التي هي نتيجة التفكر كما قال :

اي برادر توهمين انديشه اي ما بقي خودا ستخوان وريشه اي

أي : اخي انما انت هو هذا التفكير وما بقي منك فهو عظام فحسب . اللحم والجلد والعظم والعروق والعصب اشياء مشتركة بين الانسان والحيوان ، والشيء المنحصر في الاسنان هو التفكر والمعرفة ، والتفكر هو الذي يخرج الانسان من العلم الاجمالي الى المعرفة التفصيلية ، ولا بد من التعب للوصول الى المعرفة ، ولو لم يصل الاستدلال الى المعرفة فالفائدة قليلة ، ويمكن ان ينهار في بعض الاحيان لشبهة واحدة لذلك قيل :

بأي استدلاليان چوبين بود بأي چوبين سخت بي تمكين بود

أي : ان ارجل اصحاب الاستدلال من الخشب ـ والارجل الخشبية هزيلة جداً .

مع عدم العلم سينهار لشبهة واحدة :

من الواضح ان المنكرين للخالق ليس لهم دليل اصلا وانما يلقون شبهات فقط فمثلا

يقولون ان حركات الكواكب نتيجة لقوة الجاذبية ، فالذي لم يصل الى نور العلم يمكن ان يتوقف عند هذا الحد ولا يفهم على انه ما الخالق لهذه الجاذبية ، فالجاذبية حادثة ولا بد لها من محدث لكي يجعلها في هذا المدار المعين وينظمها .

او شبهات اخرى ـ الانسان كان قرداً في البداية وبعد التكامل وانتخاب الطبيعة اصبح بهيئة الانسان ـ ولكن لم يقيموا اي دليل على هذا المطلب وانما مجرد احتمال والقاء الشك ، فالذي لم يصل الى نور العلم بعد فسيتوقف هنا ويقول : لعله صحيح في حين ان هذا الكلام غير مقبول ابداً . اولا اذا كان القرد قد تكامل واصبح انساناً فيجب ان ينتهي نسل القرود ، لان احد القردة قد تكامل فما الداعي لوجود البقية ؟ والآخر هو الانتخاب الطبيعي فهذه الكلمة غلط لأن الانتخاب فعل اختياري ونابع من الشعور والفهم ، في حين ان الطبيعة ليس لها شعور .

ويذكر في كتاب انيس الاعلام : بان بعض الماديين يرون ان السبب في اختلاف الوان جلود النمور هو ان هذه الحيوانات بما انها تسكن في الغابات وتحت الاشجار ، والنور الذي يمر من بين اوراق الاشجار يقع على جلده ولهذا اصبح جلده مرقطاً .

علينا ان نقول لهم اذن هذا النمر الذي ولدته امه في هذه الساعة ولم يستقر تحت الاشجار مدة كافية لماذا نرى جلده ملوناً ومرقطاً ؟ انهم ليس لديهم سوى الكلام الفارغ والقاء والشبهات .

فلو اكتفى الانسان بالعلم الاستدلالي ولم يتعب نفسه في تحصيل العلم الحقيقي فمتى سيحصل على الايمان ؟ متى يصل الى السكينة ﴿**انزل السكينة في قلوب المؤمنين**﴾ وحتى لو وصل الى العلم عليه ان يستمر في ذلك ليزداد نور علمه فالبداية علم اليقين ، وبعد ذلك ومع التعب يصل الى مرتبة عين اليقين الى ان يصل به الامر لو ان جميع من كان على الارض على خلاف عقيدته فلا يتزلزل او يتردد في عقيدته ابداً .

انه يرى الله بعين القلب ، وقد تخلص من الشك والتردد والاعتقاد التقليدي ، لذلك اوصانا بطلب العلم والمعرفة مهما بعدت المسافة « **اطلبوا العلم ولو بالصين** »[1] حيث انه كان ابعد نقطة في ذلك الزمان .

ارجو ان يوفقنا الله جميعا الى تحصيل نور العلم والمعرفة .

(١) مصباح الشريعة .

الفصل الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علماً .

سورة الطلاق الآية الاخيرة

الخلق من اجل العلم بقدرة الله وعلمه :

في هذه الآية الشريفة يبين لنا الغرض من خلق السماوات والارض والموجودات بينهما .

والهدف ان يصل الأنسان الى العلم ، ان يتيقن بقدرة الله اللامتناهية وعلم الخالق اللامحدود اذن فالهدف من خلق الأنسان وجميع الأشياء هو الوصول الى العلم ، فالمعرفة الاجمالية غير كافية بل يجب ان يصل الى الكمال الذي يقول عنه امير المؤمنين (ع) :

« وكمال معرفته التصديق به »

يجب ان يصل من المعرفة الاجمالية الى اليقين ، ويصدق .

اليقين لا يسمح للشك والتزلزل ان يتسرب الى العقيدة ، ويحصل في القلب من النور بحيث تحصل ببركة هذا النور حالة السرور والابتهاج والشوق الى الوصول فيه . فلو اضاء ذلك النور في القلب فله عدة آثار ونتائج قد ذكر قسم منها في رواية مروية في اصول الكافي ، فمن جملة آثاره العلم بحقائق وواقعيات الامور ، ويصغر العالم المادي في عينه ويكبر عالم البقاء .

ميزان الحق عند الشخص الانساني هو النفس :

وطبعاً لا يتيسر الكنز بدون التعب ، يجب تحمل المشقة للوصول الى العلم . ومركز

اليقين هو القلب فيجب ان تفتح ابواب القلب حتى يحصل فيه نور العلم ، فذلك القلب المسدود يجب كسر سده . ويجب ان يقال بصراحة بأن السد الوحيد الذي يمنع الانسان من الوصول الى العلم واليقين والشهود ، وان يصبح الهياً ، ويصل الى الكمالات الانسانية هو (الانا) والانانية فما دام الانسان لا يرى الا نفسه ويريد لها التقدم في المال والجاه والمقام فمن المستحيل ان يرى الله ، فحتى لو طلب الحق فسوف يجعل من نفسه ميزاناً للحق فكل ما وافق ميله فهو حسن . وكل ما كان لا يلائم نفسه فهو باطل .

يرتكب اقبح الاعمال ويرى انه لم يصنع غير الصحيح ، هذا الحجاب الاعظم الذي نجده مذكوراً في ادعية اهل البيت (ع) ، ففي دعاء ابي حمزة الثمالي نجد الامام زين العابدين (ع) يتضرع ويقول :

« وانك لا تحتجب عن خلقك الا ان تحجبهم الاعمال دونك » . والامام ابو عبد الله الحسين (ع) يقول في دعاء عرفة :

« عميت عين لا تراك » .

فالله غير محجوب بل ظاهر ، ولكن ما العمل ؟ اذا كان « الانا » موجوداً فالانسان في حجاب .

ويقول اهل المعرفة :

خطوتيني بودايـن ره تاوصال مانده ام درره زنسستي چندسال

اي ان طريق الوصال هذا كان خطوتين ومع ذلك فقد بقيت في هذا الطريق من الكسل عدة سنوات .

فيقول بأنه لا يحتاج الى اكثر من خطوة واحدة وتلك الخطوة هي على النفس ، فعندما تتجاوز ذاتك وتمحوها فقد اتصلت بالحق ، والحجاب سيزول اذا لم تنظر الى نفسك . يجب السعي ولو لم يكن لتقليل الحجاب فلا اقل من عدم زيادته .

الانانية عند الشباب اقل ، وهم اقرب الى الصلاح :

الشباب هم اقرب الى الفطرة فمن الطبيعي ان يكون حجابهم اقل ايضاً . لذلك نجدهم يتذكرون ويتأثرون اسرع عندما يذكرونهم بالله . لان تلك ال (انا) لم تصبح قوية بعد ووصلت اليها قوة قليلة فيمكن ارشاده وتوجيهه .

الشباب الذين يتوجهون الآن بشوق الى جبهات القتال وفي بعض الاحيان يبكون ليسمحوا لهم بالذهاب هو بواسطة عدم او قلة الحجاب بحيث يضحي بكل ما لديه في سبيل الله .

ولكن عندما يغرق نفسه في الآمال والاحلام ويتبع اوامر النفس فستزداد يوماً بعد يوم انانيته وتشتد حتى يصل به الحال الى ان يقول انا موجود لكن الله غير موجود ، انه يرى نفسه موجداً مستقلاً فاين هذا من الحقيقة والواقع وهو ان العبد لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً فهذه هي الحقيقة التي ينبغي ادراكها وكذلك سائر الموجودات .

واذا كان الانسان يهتم بنفسه واقعاً فعليه الا يترك هذا الحجاب يشتد ويقوى على قلبه :

حذر از پيروي نفس كه درراه خدا مردم افكن تر ازاين غول بياباني نسيت

فالغول والمارد الصحراوي هو هذه النفس والويل لمن يتبع ذلك القول . وفي لحظة من اتباع النفس يشتد الحجاب اكثر .

اليقين بالحقائق التي هي كمال الانسانية لا يجتمع مع عبادة الهوى قاما عبادة الله او عبادة الهوى فالذي يطيع كل ما تسول له نفسه كيف يتمكن ان يجد الطريق الى الله مهما درس وتعلم ؟ فما دام القلب غافلا فلا تنفع معه هذه الاستدلالات .

بالرياضة والمناجاة يمكننا تضعيف الحجاب :

امير المؤمنين (ع) يقول في اواخر نهج البلاغة :

« وانما هي نفسي أروِّضها بالتقوى » .

واكبح جماحها واقف امام شهواتها ، مع ذلك نتوقع ان نصل نحن الى درجات المعارف العالية بدون ترويض النفس .

اذن فالحجاب الاعظم هو عين نفس الانسان فيجب ان نعمل شيئا لازالته فتحصيل علم اليقين ليس بالقراءة بل بازالة حجاب النفس والذات فما لم يتحطم هذا ال « انا » لا يتم ذلك ، وتحطيم هذا السد هو بان لا نطيعه .

ولأجل تقليل الحجاب فالمناجاة والتوسل الى الله نافع ، خصوصاً هذه المناجاة الشعبانية وغيرها ، فاشكُ الى الله من نفسك « واغوثاه من هوى قد غلبني » الهي قد اهلكتني

هذه النفس « ومن عدو قد استک ب علي » الشيطان والنفس لا يتركاني .

ولو ان الانسان اصبح واقعاً مصداقاً لكلمة « اياك نستعين » وطلب من الله المعونة فالله سوف يعنية حتماً .

ونقرأ عند السجود في آخر دعاء الصباح :

« الهي قلبي محجوب ونفسي معيوب وعقلي مغلوب » فبدل ان يتلهى الانسان بعيوب الاخرين عليه ان ينظر الى عيوب نفسه .

ويذكر في حالات المقدس الاردبيلي او شخص آخر من الاكابر انه لم يمد رجله اربعين سنة ولما حضرته الوفاة كان يقول :

« الهي لقد سعيت ان لا امد رجلي في محضرك ولكن الآن فالامر امرك » الهي انت ساعدنا على ان نجاهد انفسنا ، ولا نتبع اوامر ونواهي النفس ، وان نطلب رضاك لا ما تريده انفسنا .

خدايا چنان كن سرانجام كار توخشنود باشي وما رسگار

الهي اكتب لنا في اعمالنا ان تكون لك رضاً ولنا فيها صلاح :

يا من له مائة قلب اجعل قلبک واحدا :

ونقرأ في نهج البلاغة عن مولانا امير المؤمنين (ع) الذي هو احب العباد الى الله هذه العبارة :

« تخلَّ من الهموم الا هماً واحداً انفرد به » .

فهمه ان يعرف الله ، فما دامت النفس لها هذه الامال المتعددة فهنيئاً لذلك الذي يوحد هذه الامال ويجعل همه الوحيد هو الله .

الفصل الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم

« اول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به »

الانتقال من الجزئي الى الكلي من خصوصيات الانسان :

تبين في ما سبق ان امير المؤمنين (ع) قال في نهج البلاغة بأن أول الدين وأول دعوة الانبياء وبداية برنامج الرسل هو معرفة خالق العالم وأنْ يعرف الناس خالقهم .

واول ما يظهر من خصائص الانسانية هي العقلية والذي يكون الانسان قبل ظهورها مشتركاً مع الحيوانات ، فادراك الحيوان محدود بالامور المحسوسة وكذلك الانسان فهو مشترك مع الحيوان من هذه الجهة الى ان يصير عنده ادراك الكليات والذي هو الاستدلال من وجود الاثر الى المؤثر .

فالانسان الذي لم يدرك هذه المعرفة العقلية الاستدلالية والتي هي من البديهيات فهو لا يزال في مرتبة الحيوان وادراكه محدود بالمحسوسات السمعية والبصرية وغيرها . وعندما تبدأ قوته العقلية في العمل يبدأ بالانفصال عن الحيوان فيدرك الكليات عن طريق الجزئيات . ومن اهمها واوجبها هو ادراك الواجب والمحدث من الممكن والحادث ـ ادراك المؤثر بواسطة الاثر

ادراك المؤثر عن طريق الاثر لا يحتاج الى تعلم :

وطبعاً هذا الموضوع فطري بحيث يكفي فيه مجردُ الالتفات فلا يحتاج الى دراسة ، وليس بحاجة الى تعلُّم ، وليس فيه مشقة فمجرد التوجه الى الشيء من جهة انه اثر يكفي ذلك لأنْ نتوجه فوراً الى المؤثر وانه لا بد لهذا الشيء الحادث من محدث وهذا الممكن سينتهي الى الواجب حتماً ، يعني ان الشيء الذي لا يكون الوجود من ذاته يمكن ان يوجد ويمكن الا يوجد فعندما يوجد فلا بد ان هناك واسطة هي التي دفعته الى الوجود .

والقرآن الكريم يذكِّر الناس دائماً بهذا النوع من المعرفة الاستدلالية ومن جملتها ما ذكر في سورة الروم المباركة في عدة آيات وفي بدايتها ما ذكر عن خلق الانسان من تراب الذي سبق ذكره .

القرآن يذكر دائما بخلق الانسان :

هذه المراحل التي يطويها الانسان من التراب حتى يصل الى النطفة وبعدها تكون الحركات الكمية والكيفية ويظهر هذا الجهاز العظيم للبدن واجزاؤه المختلفة من كِلْيَة وكبد وقلب وامعاء وغيرها ، وكذلك الحواس الظاهرية من العين والأذن وغيرها بحيث ان عدم وجود أيّ جزء منها سيجعل البدن ناقصاً بالنسبة اليها .

فمثلا نجد ان بدن الانسان يحتوي على ٢٤٨ قطعة من العظام ومع فقدان واحد من هذه العظام يصير البدن ناقصاً ، فتأملوا كيف خلقتهم من التراب ؟ هذا الحدوث يعني وجودكم انتم دليل على أية قدرة غير محدودة لذلك الفنان الذي ابدع هذه الصور والرسوم ؟

فالرسم يجب ان يكون فوق جسم جامد وفضاء وضياء وان يكون على سطح ظاهر ، في حين ان يد القدرة جعلت ذلك من قطرة الماء السائلة التي هي الطفة وايضاً في ظلمات ثلاث الرحم والمشيمة والبطن ، والاخر هو ان التكوين والتصوير كان في الباطن وليس في السطح لذلك فهو فاقد للشروط الثلاثة للرسم .

ترتيب الاجزاء التي في باطن البدن شيء عجيب ايضاً فشكل القلب صنوبري وله حكم عديدة ، وشكل الكبد والرئة كل واحد منها مناسب لوظيفته فكما ان الرسم الظاهري يدل على قدرة ذلك الرسام ، فهذا الابداع الالهي في بدن الانسان كم له من دلالة ؟

الذكر والأنثى والمحبة بين الزوجين من ايات الله :

ويقول في الآية التالية من نفس سورة الروم :

﴿ وَمِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُم أَزواجاً لِتسكنوا إِلَيْها وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

تأملوا في موضوع الذّكر والانثى والرجل والمرأة وكيفية خلقتهم والاختلافات التي بينهما وكذلك ما خلق الله من وضع الرحم وشروط استقرار الطفل فيه وتربيته وكفية الوضع .

والمرأة محل لسكون الرجل ، الإضرابات التي تصيب الرجل تزول وتسكن عندما يصل الى زوجته وربما لا يكون احدهما قد رأى الآخر قبل الزواج .

أمّا ما هذا الحب الذي خلقه الله بينهما بحيث يتألم احدهما من اجل الآخر ؟ انه من آيات الله العظيمة .

النوم وآثاره المدهشة :

وفي آية اخرى يذكرنا الله بدلائله التي منها نوم الانسان[1] ، الآية الالهية المتكررة ، فقد يتصور الانسان انه لا يريد النوم ولكن النوم يتسلط عليه وينام ، والحكمة في ذلك معلومة ، فالبدن بحاجة الى الاستراحة بمقدار معين والا فان قواه ستحلل .

فلا بد من الاستراحة وان لا تكون اختيارية ، لأنه ربما لا ينام بسبب الحرص او شيء آخر ، وسينهار البدن بالتدريج ، فنومه من آيات الله واستيقاظه كذلك ، وكذلك العجائب التي يراها الانسان في نومه وهي الاحلام والتي تعبر عن ارتباط النفس مع الملكوت حيث يرى المستقبل ثم تقع تلك الامور التي يشاهدها في المنام .

الكواكب والغيوم مسخرة لإرادته :

انظروا الى الأعلى الى تلك الكواكب والاجرام اللامتناهية كيف أنها تدور في حركات منتظمة وفي مدار معين مع كل هذا الثقل والحجم بحيث ان ادنى انحراف عن ذلك المسير قد يؤدي الى تصادمها وبالتالي انهدامها وتحطمها .

ومن الدلائل والعلامات الالهية هي الغيوم .

﴿ والسحاب المسخر بين السماء والأرض ﴾[1] .

فتشاهدون ان بعض الغيوم تجتاز الجبال الشامخة ولا تمطر قطرة واحدة ولكنها وعلى بعد عدة فراسخ تهطل امطاراً غزيرة فهي مسخرة يعني انها تحت اختيار وإرادة اخرى ، ولها مدبر ومحرِّك .

وهناك رواية وردت حول الآية التي تتحدث عن خلق السماوات والارض في أواخر سورة آل عمران :

﴿ ان في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي

(١) ومن آياته منامكم بالليل : سورة الروم ٢٣

(١) سورة ٢٠ الاية ١٦٤ .

الالباب ﴾[٢] . فالرواية تقول :

« ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأمل ما فيها »[١] اي لا ان يقرأها فقط بل يلزمه التّدبُّر فيها .

يجب النظر من حيث انه من آيات الله :

﴿ التفكر ساعة خير من عبادة سنة ﴾ . لأجل الاستدلال بالنسبة للمبدأ يكفي التدبر والتوجه . . ان ينظر الى الأثر على انه من اثار الله وإلا فالنظر الظاهري اعتيادي عند الجميع والحيوانات جميعها تنظر ايضاً أمـا الذي علينا ان ننظره فهو النظر الانساني يعني مع التوجه الى ان هذا الشيء من آيات الله ، فقبلا لم يكن وبعداً كان وصار فهو بحاجة الى مؤثر ومحدث .

وان ينظر الى ذلك المؤثر باعتباره في غاية العلم والحكمة والقدرة ، فلذلك يـدرك بـأنّ هذا المؤثر غير محدود من حيث العلم والقدرة ، فعليه ان يتوجه الى هـذه المعاني فهـذا النظر يلازم كون الاشياء من دلائل وآيات الله .

والقرآن الكريم يذكر دلائل القدرة بصـورة متكررة حتى يقـرأ المسلمون هـذه الآيات ويتأملوا فيها ولا يكتفوا بالقراءة فقط ، فالقراءة وان كانت في نفسها امراً جيداً ولكنَّ المهم هو النتيجة المترتبة على التدبر .

وهناك رواية واردة عن الامام الرضا (ع) :

« . . وكان (ع) يختمه في كل ثلاث ، ويقول لو اردت ان اختمه في اقرب من ثلاث لختمته ولكني ما مررت بآية قط الا فكرت فيها وفي اي شيء انزلت وفي اي وقت ، فلذلـك صرت اختم في كل ثلاث . . . الحديث[١] .

ساعة تفكر في عظمة الخالق :

من الضروري جداً ان لا يصرف الانسان عمـره الثمين في الامـور الجزئيـة من الحياة المادية لكي يصل الى رغباته وشهواته الحيوانية ، ولا يجعل نفسه ضعيفاً وذليلاً بسبب ذلك وان لا يسقط نفسه من مقام الانسانية الشريف وانما عليه ان يصرِف مقداراً من وقته على الأقل في

(٢) آل عمران الاية ١٩٠ .

(١) تفسير مجمع البيان .

(١) وسائل الشيعة ج ٤ ص ٨٦٢ الحديث ٦ .

التفكر في الامور الكلية وبذلك ينمي نفسه ويوسعها وجودياً حتى يصل الى مقام الانسانية فمثلا ان يخصص ساعة من وقته للتفكر في عظمة عالم الوجود حتى يتعرف بنحو من الانحاء على عظمة الله الخالق للعالم .

التوجه الى هذه الشمس التي تعادل مليون وثلاثمائة الف مرة حجم الكرة الارضية وفاصلتها عن الأرض تسعون مليون ميل ولها تسعة سيارات والتي تكون الأرض واحدة منها ، وتدور هذه السيارات حول الشمس لمدة شهر او اكثر للدورة الواحد بحسابنا الأرضي في حين ان هذه المنظومة الشمسية جزء من مجرة تحتوي على اكثر من مائة الف مليون سيارة والبعض منها اكبر من الشمس عدة ملايين مرة .

وقالوا بأن قطر هذه المجرة مئتان وعشرون الف سنة ظوئية . وهناك ملايين المجرات المجرات غير هذه المجرة وتقع اقرب واحدة الى الأرض على بعد ثمانمائة وخمسون الف سنة ضوئية ، والمقصود بالسنة الضوئية : السنة اثنا عشر شهراً وكل شهر ثلاثون يوماً وكل يوم اربعة عشرون ساعة وكل ساعة ستون دقيقة وكل دقيقة ستون ثانية والنور يسير في كل ثانية ثلاثمائة الف كيلو متر اذن السنة الضوئية تساوي :

١٢ × ٣٠ × ٦٠ × ٠٠٠ / ٣٠٠ = ٠ / ٠٠٠ / ٠٠٠/ ١٢٠ / ٩٣٣ كيلو متر وقالوا ايضاً بأن ابعد السيارات عنا بمسافة اربع مليارات سنة ضوئية . والطنطاوي المصري في تفسير سورة والنجم يقول بأن عدد النجوم في هذا الفضاء غير محدود يساوي ٢ باضافة ٢٦ صفر تقريباً ﴿ يا من في السماء عظمته ﴾ .

هل ان حركة الكواكب بدون هدف :

يجب التفكر في حركة هذه السيارات الدائمية التي لها هدف وغاية حتماً ، فالخروف الذي هو من اضعف الموجودات الارضية عندما يتحرك نحو الماء والعلف فإنما يتحرك لهدف وغاية فهل ان الكرة الأرضية بهذه السرعة والتحرك في الليل والنهار حول نفسها بمسافة ٤ فراسخ في الثانية وتدور حول الشمس بقدار ٤ فراسخ في كل دقيقة فهل كل ذلك بدون هدف ؟ احد اهدافها هو حصول الليل والنهار والفصول الأربعة .

الحركة الدقيقة جداً والمنظمة لسائر الكواكب والأرض كذلك وقد توضّحت في الآونة الأخيرة بشكل كبير بحيث ان علماء الفضاء بإمكانهم حساب الحركة لذلك الكوكب المعين ثم يحسبون سرعة الصاروخ الذي يريدون اطلاقه باتجاه ذلك الكوكب بعد ذلك يطلقونه ، فمثلا

يحسبون سرعة الزهرة وكذلك هذا الصاروخ المتوجه نحوها الآن ، ولنفرض انه سيصل الى كوكب الزهرة لمدة اربعة اشهر فيجري تنظيم هذا الصاروخ واطلاقه الآن على ان يصل الى الزهرة بعد اربعة اشهر ، فكم تكون هذه الحركة منظمة ومرتبة بحيث انهم يطلقون هذا الصاروخ الآن وعن طيب خاطر واطمئنان على ان يصل بالمدة المحددة .

الانسان موجود غير مادي :

ضمناً فإن المقصود من كلامي هو أن نتوجه الى اقسام من التفكر بحيث نستفيد من آثار ذلك التفكير ونعلم بأن الانسان موجود غير مادي بل هو يحيط بالمادة ويطلع على الحقائق والأوضاع ، اذن فالانسان الذي يحيط بهذا العالم على سعته - كما مر في كيفية محاسباته وإرساله للصاروخ الى الكواكب الأخرى - يجب ان يوصله تفكيره من المخلوقات الى الخالق لها ، ومن الموجودات الى الموجد لها لا ان يبقى في الأمور المادية لها .

الخلاصة أن على الانسان ان يعرف ، حقيقة نفسه بأنه موجود روحاني وليس ماديا قابلاً للفناء . . هو مخلوق لمقاصد عالية جداً وجاء الى هذا العالم لذلك الغرض .

اختلاف الأفراد والنظم الاجتماعية :

﴿ واختلاف السنتكم ﴾ فهي ايضاً من آيات الله العظيمة حيث تشاهدون ٥ / ٤ مليارد انسان على سطح الأرض مختلفين من حيث الخلقة يعني اننا لا نجد اثنين متشابهين بحيث لا يوجد أي تمايز وافتراق بينهما ، والحكمة في ذلك حفظ النظام الاجتماعي للبشر والا فسيؤدي الى الفساد ، فلو أن زيداً قتل عمراً وأرادوا إلقاء القبض على القاتل فسوف يشتبهون في غيره ويجاوزونه بدل ذلك القاتل ، او يشتبهون في جهات اخرى كالامور الدينية والعائلية وغيرها .

ومن جملة ما يتميز به الناس ويختلفون فيه هو اختلاف الالسن واللغات فتشاهدون بأن كل انسان له وجه وله عينان وحاجبان وغيرها ولكنها تختلف في كل فرد وتتميز بصفات خاصة ، ومن جملتها الحناجر والأصوات فهي ايضاً غير متشابهة مع أن الحنجرة التي يخرج منها الصوت متساوية في جميع الأفراد تقريباً الا انه يمكن معرفة الشخص من لهجته ونبرات صوته ، فعندما تسمع صوت التمكلم في الهاتف سوف تفهم من هو دون أن يُعَرِّفَكَ بنفسه .

ظهور القدرة في خطوط السبابة :

ويقول (تعالى) في سورة القيامة : ﴿ بلى قادرين على أن نسوي بنانه ﴾[1] .

فحتى خطوط سبابة الأصابع مختلفة مع ان حجم الأصابع عند الأفراد متساو تقريباً ولكن خطوطها غير متشابهة بل إننا لا يمكن ان نجد اثنين من البشر متشابهين في ذلك ، لذلك اصبحت بصمة الأصابع متداولة بين البشر ومن الأمور العالمية التي لا تخص شعباً دون شعب لأنها اهم من التوقيع والأمضاء ، حيث ان الإمضاء والتوقيع قد يحتمل التزوير أمّا بصمة الإصبع فهي لا تقبل التزوير والجعل ، يعني انها أدقُّ من التوقيع والختم .

وحقيقة الإنسان هي علمه وادراكاته الباقية وإلا فالبدن سيتحول الى تراب ، اما الذي يبقى فهو عقله وادراكه الذي به يكون انساناً لذلك يجب السعي لتقوية الجهات الوجودية فينا وطريق ذلك هو التدبُّر في مثل هذه الآيات من أجل زيادة المعرفة الالهية .

(١) القيامة آية ٤ .

الفصل الخامس

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يسبِّح لله ما في السماوات وما في الأرض﴾ .

التسبيح التكويني شاهد على حكمة الله :

عدة مواضع تحدث فيها القرآن المجيد حول تسبيح الموجودات في جميع اجزاء عالم الوجود من العرش الى الفرش فجميع مراتب لخلقة تسبح الله وتحمده .

والتسبيح التكويني العقلي ؟ يعني ان كل جزء من العالم وكل موجود من الموجودات شاهد على أن الصانع عالم ومقتدر وخصوصيات كل موجود ووضعه شاهد صادق على أن صانعه ليس فيه اي نقص وقد وضع كل شيء موضعه وكذلك في جميع النباتات والحيوانات وجميع الموجودات .

الأرض هي الحاضنة لشجرة البطيخ :

عندما تنظرون الى البطيخ ترون انه لو كان لشجرته ساق لما تمكنت من تحمُّل وزن البطيخ ما عدا واحدة واثنتين لا أكثر ، فإذا ارادت ان تحمل اكثر من ذلك فسوف يتعرض الساق الى الكسر ، فلهذا وجب على الأرض ان تحتضن شجرة البطيخ وبذلك تساعد على حفظ البطيخ .

جذور بعض الاشجار يمتد في الأرض افقياً واخرى ينزل عمودياً في داخل الأرض ، فعندما ينزل المطر سترتوي تلك النباتات التي لها جذور افقية وقريبة من سطح الأرض اما تلك النباتات التي جذورها عمودية فستكون حصتها من الماء قليلة فلذلك نجد اوراق هذا النوع من النباتات مثل الفجل والشلغم على شكل اوراق عريضة تتفرغ من الساق مباشرة وتنمو

بشكل يمكنها عند نزول المطر من اكتساب اكبر عدد من الماء وتجعله يتسرب ويصب في اساس تلك النتة وايصاله الى تلك الجذور .

هذا النبات يسبِّح يعني يشهد بأن الصانع له غير متناه في الحكمة والقدرة .

اسنان ومعدة الحيوانات مناسبة لجميع الأنواع :

في عالم الحيوانات نجد ان تلك الحيوانات التي تتغذى على النبات والعلف اعطيت اسناناً ومعدة مناسبة لذلك ، واعطيت الحيوانات التي تعيش على أكل اللحوم اسناناً ومعدة مناسبة ايضاً . والحيوان الذي يأكل العظام مثل الكلب اعطيت له اسنان قاطعة ومهشمة للعظام ومعدة نارية لهضم مثل هذه المادة .

وبالنسبة للانسان نفسهُ نجد أن له أسناناً في المقدمة (القواطع والأنياب) حادة لقطع الطعام وتمزيقه ، وجعلت اسنانه الأخرى (الطواحن) عريضة ومسطحة لأجل طحن الطعام وسحقه .

اللسان الذي في الفم والميزات العجيبة التي فيه ، اذ أنّ له دوراً مهماً في الأكل وفي انتقال اللقمة الى زوايا الفم ثم بعد ذلك ارسالها الى الداخل .

هل توجهتم الى أن هضم الطعام في الفم بواسطة الأسنان بحاجة اولا الى حركة الفك ، وقد جعلت الحكمة الالهية الفك الأسفل هو المتحرك وليس الأعلى . تصوروا أن الفك الأعلى هو الذي يتحرك اثناء الأكل وهذا يعني أن رؤوس الجميع تتحرك اثناء الأكل فكم سيكون ذلك قبيحاً ؟ ! واذا كان مجرد اصطلكاك الفكين لا يكفي في هضم الطعام فأحسن طريقة هي الطحن والدوران فلا يتم اصطكاكهما بصورة مباشرة وانما يجب ان يدور الفك الأسفل قليلا .

وعندما يضغط على الطعام بين الأسنان ويحركه فهو بحاجة الى ملعقة متحركة ومحركة في نفس الوقت حيث يقوم اللسان بهذه المهمة ويحرك الطعام يميناً وشمالاً فكلما خرج الطعام من تحت الأسنان متهشما اعيد مرة اخرى تحت الأسنان لأجل هضمه اكثر واحسن ، كل ذلك يتم دون ان نكون ملتفتين ومتوجهين لذلك وبدون أن يقع اللسان في المصيدة ويسحق تحت الأسنان وفي بعض الأوقات يصير طرف منه بين الأسنان حتى نعرف قدر العافية ونتذكر النعمة الالهية .

الأسنان واللسان تسبِّح الله ، وتشهد بأن الخالق لي ولجميع اجزاء البدن التي ترتبط بي بنحو من انحاء الأرتباط هو عالم وقادر مطلق ، هذا القسم من التسبيح التكويني يتمكن جميع العقلاء من ادراكه ولكن بحاجة الى التأمل والتدبر .

هر گیاهی که اززمین روید وحده لا شریك له گوید

أي ان كل نبات ينبت على الأرض ينادي « وحده لا شريك له » .

الأذن غير الملائكية لا تسمع التسبيح الملكوتي :

هناك مرتبة اخرى من التسبيح غير التسبيح العقلي الذي ذكرناه من تسبيح الأثر الذي يدل على المؤثر وأن كتاب عالم الوجود دال على عدم نقص صاحبه . والتسبيح الآخر مثل التسبيح الأختياري للأنسان ولكن بلسان ملكوتي فجميع اجزاء عالم الوجود حتى ذرات بدني وبذلك تسبح الله تسبيحاً ملكوتياً غير قابل لسماعنا فنحن في عالم الملك . وهذه الجهة الظاهرية والشكل الظاهري صامت ولكن ملكوته ذاكر .

ويقول القرآن المجيد :

﴿ **وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم** ﴾ . فذلك التسبيح العقلي الذي ذكرناه يفهمه العقلاء ، اذن فالمقصود من التسبيح في هذه الآية هو التسبيح الملكوتي ، فجميع اجزاء العالم اصواتها مرتفعة بالتسبيح ، فالذي يخرج من عالم الملك ويدخل الى عالم الملكوت سيفهم ماهية ذلك الضجيج في عالم الوجود من الذكر والحمد والتسبيح لله .

ومن الروايات المسلمة في معجزات الرسول الأكرم (ص) هو تسبيح الحصى في يده فقد أخذ (ص) الحصى في يده وفتحها امام الأصحاب فسمعوا صوت تسبيح الحصى في يده .

المعجزة في إسماع الأصحاب لذلك التسبيح وإلا فنفس الحصى يسبح ، فالذي يعيش في عالم الملك لا يستطيع سماع صوت الملكوت لكن بقدرة الاعجاز أسمعهم الصوت الملكوتي بآذانهم الملكية ، ولا يمكن انكار التسبيح الملكوتي لمجرد عدم الأحساس به فعلم البشر بالنسبة لما لا يعلم كقطرة في البحر ، وكنسبة المتناهي الى اللامتناهي فلا يأخذه الغرور . ولا يتصور انه فهم جميع الاشياء بل عليه أن يفكر فيما لم يفهمه وسيعلم بأنه جاهل .

الانسان والعوالم الأخرى مع النملة وعمود التلغراف :

احد المحققين يضرب لذلك مثالا جيداً ويقول بأن النملة عندما تمر على عمود التلغراف فهي لا تدرك منه سوى انه جسم جامد لا اكثر فهل بإمكانها أن تفهم بأن هذا العمود قد نصبه الأنسان ووضع عليه الاسلاك ليتم الأرتباط بين مدينتين او مدن متعددة ويمد احتياجات كثيرة سياسية واقتصادية واجتماعية للمجتمع فهي لا تدرك شيئاً عن هذا العمود وهذا السلك وانما ترى الظاهر فقط .

الانسان كذلك بالنسبة الى ما وراء المادة وهو جاهل بما في عالم الأرواح وكيفية الأتصال بينها وما هو رزقها وكيف يكون . . وكيفية حياتها وكيفية الملكوت ، وانما يرى الظاهر فقط والعاقل لا ينكر وجود اشياء اذا لم يعلم بها فالعقل يحكم بأن « عدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود » .

فالتسبيح الحقيقي والتكويني للأشياء مربوط بعالم الملكوت وليس مرتبطاً بالأصوات التي تصل الى اسماعنا عند اصطدامها بالهواء فآذاننا ملكية (وليست ملكوتية) .

حلم الله وكفر وجهل الانسان :

هناك ملاحظة اذكرها بالمناسبة وهي أن آخر الآية تقول : ﴿ **وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً** ﴾ فكيف ذكر حلم الله بعد بيانه لذلك المطلب .

ما هو السر في ذلك ؟ لعل الله سبحانه وتعالى اذا اراد ان يفهم البشر ذلك التسبيح الملكوتي للأشياء فسوف يهلك الناس لأنه ليست لديهم القدرة على تحمل سماع الصوت الملكوتي . فكل من يسمع الصوت الملكوتي لأجزاء جسمه لا يتمكن من الحياة وسوف يتلاشى ولكن الله حليم مطلق .

أن مقتضى العزة الالهية ان يسمع البشر ويفهمهم ذلك الملكوت حتى لا يطغى بنفسه ، لكن بما أن استماعه لا يتلاءم مع حياته وسيذهب عقله ايضاً فالله سبحانه وتعالى حليم رغم كفر هذا الانسان ، فمع ان جميع اعضاء وذرات بدنه تقول « سبحان الله » لكنه منكر فكان من الجدير ان يفهمه ملكوته ولكن الله بحلمه ولطفه حليم بالانسان مع كفره .

والاعجب من ذلك لو ان الانسان قضى شيئاً من العمر في اتباع الهوى ومعصية الله ثم بعد ذلك تاب ورجع الى الله فإن الله سيعفو عنه « والاسلام يجب ما قبله »[1] فالاسلام يغطي على ما مضى لسعة رحمته ، ﴿ انه كان حليماً غفوراً ﴾ فالله يرحم ضعف هذا الانسان ويقبل عذره ، ومسكين ذلك الأنسان الذي لا يتوجه الى هكذا إلـه .

ابراهيم (ع) والضيف الكافر الذي اصبح موحدا :

هناك رواية وردت في ارشاد القلوب للمجلسي (ره) بأن ابـراهيم الخليل (ع) كـان يأكل الطعام وحده من دون وجود الضيف ، وفي الأيام التي لا يوجد عنده ضيف كان يسير مسافة ميل بحثاً عن ضيف ليأكل معه الطعام ، وفي احد الأيام خرج للبحث عن ضيف يأكل معه الطعام فرأى شخصاً فدعاه لتناول الطعام وعندما جلسا للغداء قال إبراهيم (ع) ﴿ بسم الله ﴾ ولكن ذلك الشخص بقي ساكتاً ولم يقل شيئاً فقال لـه إبراهيم (ع) . انت لم تـذكر الله ، فقال :

من هو الله ؟ انا لا اعرفه . فقال له ابراهيم : اذن قم واذهب من هنا فأنا لا آكل مع شخص ينكر الله .

فانصرف ذلك الشخص وبقي ابراهيم وحيداً فأوحي اليه أنْ يا ابراهيم اننا اطعمنا هذا الشخص لسنوات ولم نعترض عليه بشيء ولكن عندمـا اصبح رزقـه بيدك اليـوم فقد منعتـه وطردته .

فقام ابراهيم من مكانه فوراً وراء ذلك الشخص ورجاه ان يرجع ولكن الكافر ابى ذلك وبعد الإصرار الشديد من ابراهيم (ع) قال بأني اقبل بشرط واحد وهـو أن تبين لي السبب الذي طردتني لأجله اولا وبعد ذلك جئت تدعوني مرة اخرى وبهذا الإصرار الشديد وتطلب مني الرجوع ؟

فبين له ابراهيم (ع) الحقيقة وهي أن الله تعالى عاتبني على طردك ، فقال الرجـل : اذن ما أحمقني انا اذ تركت مثل هذا الاله الرحيم فعرفني يا ابراهيم بربي . وبعد ذلك اصبح مؤمناً موحداً .

(١) مجمع البحرين مادة جب .

الغرض هو أن الانسان لو فكر قليلاً ليرى ماذا منعه الله ولم يعطه ؟ فكل ما هو بحاجة اليه من النعم المادية والمعنوية قد اعطاني اياها فماذا عملت انا في مقابل ذلك ؟ أية عبادة ، أية معرفة « ما عبدناك حق عبادتك وما عرفناك حق معرفتك » .

بنده همتان به كه تقصير خويش عذر بدر گاه خدا آورد

يعني : انا ذلك المقصر الذي جاء الى ربه معتذراً من تقصيره .

الفصل السادس

بسم الله الرحمن الرحيم

اول الدين معرفته وكمال معرفته توحيده .

معرفة الله واجبة بحكم العقل :

مسألة معرفة الخالق من الواجبات القطعية عند العقل بحيث أن أي عاقل يحكم عقله بأنه من الواجب عليك معرفة الخالق لك المنعم عليك وأن تشكره على نعمه . والأوامر التي وردت في القرآن المجيد حول وجوب المعرفة من قبيل : تفكروا . . تدبروا . . انظروا . . كلها من قبيل الأرشاد الى ذلك الحكم العقلي . يعني ان القرآن المجيد بَيَّنَ الأحكام التي يأمر بها العقل بقطع النظر عن اوامر القرآن ، فهو يدرك لوحده بأنه يجب عليك أن تعرف خالقك والمنعم عليك وتشكره على ذلك .

فالعقل يقول ان تتفكر وتتدبر في الآيات والموجودات والقرآن ايضاً يذكر بهذا المعنى ، بل قد يذكر في بعض الآيات مع تأكيد اكثر .

انظر الى خلقتك والى طعامك :

﴿ فلينظر الإنسان مم خلق ﴾ على الإنسان ان ينظر الى اصل خلقته كيف صار هذا الكيان العظيم من قطرة ماء عفنة .

﴿فلينظر الأنسان الى طعامه ﴾ على الإنسان ان يتفكر في هذا الطعام الذي يأكله لكي لا يكون مثل الحيوان الذي لا يهمه الا التوجه الى الأمور المادية ولذة البطن وإلا فما الفرق بينه وبين أكل الحيوان من هذه الجهة ؟ بل عليه أن يتوجه عندما يريد أن يأكل الطعام الى اصله كيف كان ؟ ومن الذي صنعه ؟ . . هذا الخبز الذي يأكله ، ماذا كان قبل الأكل ؟

﴿ انا صببنا الماء صبا ﴾ صببنا وما اجمل ذلك الصب . . حبة حبة وقطرة قطرة وليس دفعة واحدة . .

ما الأيدي التي جعلت من حبات القمح خبزاً طرياً سائغاً للأكل !؟ كل هذه وسائط النعم الالهية . وهناك اسرار وحكم في هذا الخبز والماء الذي نأكل ونشرب وكيف يصل بكل سهولة الى افواهنا فيؤكل ويهضم وتدفع الزوائد . على الانسان ان يتدبر في هذه الحوادث والامور وان يتعرف على ولي نعمته .

الحيوان ينحني برأسه للأكل :

كل حيوان يأكل وهو مطأطىء برأسه الى الأرض وعندما يشرب الماء يحني رأسه الى الأسفل . . اما الأنسان فقد أعطي يدان بعنوان الخادم فهو يتناول الطعام ويضعه في فمه بسهولة دون ان ينحني برأسه وهذا نوع من التكريم للأنسان ، لأن الرأس مركز الأدراكات ولا يصح ان ينحني للأكل ،وانما يجب ذلك فقط لرب العالمين لأنه عزيز وشريف وهذا الرأس العزيز والشريف يضعه لرب العالمين على اذل الاشياء وهو التراب .

البعير .. اعجوبة في الخلقة :

في اية اخرى :

﴿ أفلا ينظرون الى الإبل كيف خلقت ، والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الأرض كيف سطحت ﴾ .

لماذا لا تتفكرون في خلق الجمل ، هذا الحيوان العجيب ، وكيفية خلقه ؟ جميع الحيوانات الأخرى لها مفصل واحد في كل رجل ولكن لرجل الجمل مفصلين وتنطوي رجله مرتين ، وانظر الى ذلك النظم والتناسق بين رقبته ورجله .

قيل انهم اخبروا افلاطون بأن في الجزيرة العربية حيوان له ارجل طويلة ولكل منها مفصلان فقال :

اذن يجب ان يكون لهذا الحيوان عنق طويل لأنه عندما يريد ان يأكل فيجب ان تكون رقبته متناسبة مع ارجله .

طعامه ايضاً متناسب مع المحيط الذي يعيش فيه ، ففي مناطق الجزيرة العربية والصحارى الحارة التي لا يوجد فيها نبات ، نجد أن طعامه الاشواك وهذا يعني أن له لسان

وفم ومعدة متناسبة لهذا النوع من الطعام كي يمكنه اكل وهضم هذه الاشواك دون ان يصيب لسانه جرح فيتألم .

وكم يصبر ويتحمل العطش والجوع لأنه يريد ان يلائم نفسه مع المحيط الذي يعيش فيه ،فيمكنه ان يتحمل العطش لمدة عشرة ايام ويقال إنَّ له ما يشبه الكيس قرب نحره يحتفظ بالماء فيه .

الأجرام السماوية .. والأرض المناسبة :

وانظر الى فوق رأسك . . الكواكب العظيمة مع فاصلة مليون كيلو متر ضوئي ، وذلك الضوء والنظم في الدوران بمقدار بحيث لا تصطدم مع بعضها اطلاقاً .

وانظر ايضاً الى الأرض التي تحت اقدامك لترى تلائم صنعها . فمع انها كروية الشكل ومتحركة دائماً إلا انه جعل سطحها قابلا للحياة فلا هو مائع او متزلزل غير ثابت بحيث لا يمكن الاستقرار عليه . ولا هو صخور صعبة باجمعه بحيث لا يمكن البناء او الزراعة فيه ، بل جعله مختلفاً حتى يكون ملائماً للحياة فيه ويمكن الاستفادة من ذلك بصور مختلفة من بناء وزراعة وامور اخرى .

وانظر الى الجبال : ﴿ ووتد بالصخور ميدان ارضه ﴾ فالجبال هي المانعة من تلاشي الأرض ، الجبال كالمسامير المثبتة في الأرض حتى تمنع من تلاشي وتفتت الأرض نتيجة تحركاتها الهائلة الوضعية والانتقالية .

اليقين الذي لا يزيله شك .. لازم :

اجزاء عالم الوجود كلها آيات الله على الانسان ان ينظر اليها بعنوان أنها آية ، مرآة الهية له . . وعندما يقولون لجميع الوجود بأنه عالم فلأنه « يعلم به الله » وبواسطة هذا العالم يمكن الحصول على العلم بالله ، فكل ما في عالم الوجود كتاب لخالق الوجود يشهد على علمه وقدرته . طبعاً هذه المعرفة الاستدلالية العقلية ناقصة ويجب ان تتكامل ، يجب ان تكون هذه مقدمة الى العلم ، لأن الاستدلالات العقلية لا تنتج الا الظن ولا تجلب الاطمئنان فيجب على الانسان ان يسعى ليصل الى مرتبة العلم واليقين الذي من آثاره السكون والاطمئنان والذي من آثاره ان لا يبقى اي شك وريب عند الانسان .

يجب على الانسان ان لا يكتفي بهذا المقدار من المعرفة بل يسعى حتى يصل الى العلم

ويعرف الله بالعلم لا بهذه المعرفة الاستدلالية للفعل فقط ، والوصول الى العلم هو عبارة عن الإدراك الذي لا يتزلزل بتشكيك المشكك ، ان يدرك الواقع بحيث لا تزيله الشبهات وفي بعض الأحيان يعبر عنه بالعلم واخرى باليقين وهذه المرتبة من العلم قد امرنا الله بها .

النظر الاستقلالي والمرآتي :

عندما تنظر الى المرآة فهناك نوعان من النظر : نظر استقلالي ومرآتي .

النظر الاستقلالي هو ان ينظر الى المرآة من جهة نفسها، مثلاً عندما يريد ان يشتري تلك المرآة فينظر الى حجمها ومقدارها وصفاتها ومساحتها ففي هذه اللحظة لا يرى صورته المنعكسة في المرآة ويصطلح على ذلك « وفيه ينظر » .

والنظر المرآتي هو ان ينظر الى المرآة حتى يرى صورته فيها وليس لديه غرض في نفس المرآة .

فالذي ينظر الى موجودات العالم بنظر الشراء والرغبة فأنه لا يرى الله وفي هذا المجال يقول الامام أمير المؤمنين (ع) :

« من ابصر بها بصَّرته. ومن ابصر اليها اعمته »[1] .

فمن ابصر الى الدنيا بنظر العبرة والبصيرة ورأى ان العالم وسيلة للمعرفة والوصول الى مقام الانسانية فسوف تبصِّره الدنيا ويحصل على نتائج انسانية . . اما الذي وقعت عينه عليها وطلبها واصبح عاشقاً لها واتخذها هدفاً وجعل قصده وهمَّه الوصول الى المقاصد المادية فسوف يعمى عن رؤية الحقائق والواقعيات ويؤدي ذلك الى الضلال وعمى القلب والملاحظة الملفتة في عبارة نهج البلاغة هي في تعبيره « بها واليها » والتي يجب التأمل فيها .

حب الدنيا واتباع الشهوات ، طلب الثروة ، والتحرر من المسؤولية وارتكاب المعاصي تمنع الانسان من الوصول الى مقام المعرفة ، بحيث ان كل ذنب سهم في عين البصيرة فكيف يمكن ان يرى الله هكذا القلب ؟ فالذنب يحجب القلب عن رؤية الحقيقة مهما كانت واضحة ويجعله محروماً ، وهذا المعنى يمكن فهمه بصورة جيدة من رواية الامام الصادق (ع) اذ يقول :

(١) نهج البلاغة الخطبة ٨٢ .

« النظرة سهم من سهام ابليس مسموم »[1] .

عندما يصبح القلب مظلماً من كثرة الذنوب ويكون قد «أَحَاطَتْ به خطيئته» فسوف ينكر ايات الله وأوضح الحقائق التي هي وجود الله[2] . .

اذن فالذي يطلب السعادة عليه ان يتجنب كل ذنب حتماً ، ولو اتفق ان صدر منه ذنب فعليه ان يتوب فوراً .

« اللهم اجعلنا من التوابين واجعلنا من المتطهرين » .

ويتضح مما ذكرنا جواب هذا السؤال بأنه لماذا يكون حضور الخالق الذي هو قريب من جميع الموجودات عند بعض الأفراد مشهوداً واكثر وضوحاً من الشمس وعند البعض الآخر مبهماً ومشكوكاً ، اجل . . فان الكنز لا يتيسر حصوله الا بالتعب ، فيجب تحمل تعب ترك المعاصي ومجاهدة النفس في طريق الحق حتى يصل الى كنز المعرفة .

ويقول : ﴿يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله﴾[3] .

فهناك مرتبتان من الايمان ، المرتبة الأولى هي ذلك الايمان الذي يكون بحكم العقل ، فكل انسان يفهم بأن له خالقاً عليماً وقديراً فهو مسلم وكل عاقل يدرك هذا المعنى ، ولكن ذلك لا يكفي .

المرتبة الثانية الايمان الملازم النابع من القلب ، بأن يصدق بقلبه حتى يكون في امان من اي شك ووسوسة ويصل الى السكون والطمأنينة يعني الهدوء القلبي .

ومن آثاره حالة الخوف والرجاء يعني الخوف من مخالفة الخالق والأمل بالله عند اطاعته .

وفي آية شريفة اخرى يقول :

﴿ الم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ﴾[1] .

(١) سفينة البحار الجلد ٢ ص ٥٩٦ .

(٢) ﴿ ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوء ان كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤون ﴾ سورة ٢ آية ١٠ .

(٣) سورة ٤ الاية ١٣٦ .

(١) سورة ٥٧ الاية ١٦ .

وعن ابن مسعود حيث يقول : بعد ان انقضى على اسلامنا ثلاث او أربع سنوات نزلت هذه الآية : ﴿ الم يأن للذين آمنوا ﴾ . (يعني ذلك الإيمان العقلي الذي قلته وهو الأعتقاد بالله بحكم عقله وفطرته أما الآن فيجب على قلبه ايضاً التصديق) وان يكون خاشعاً لربه ويحصل على العلم واليقين ، فبعد مدة من السير في خط الاسلام والاعتقاد الاستدلالي العقلي يجب السعي للحصول على الايمان القلبي الثابت الذي ليس فيه طريق للريب والوسوسة ويصل الى مقام الخشوع . . ان يصبح محباً لولي نعمته وان يضحي في سبيله ، وان يتجاوز عن أيّ شيء من أجل رضا خالقه ، ويتعامل مع ربه بالمال والنفس .

وما دام لم يصل الى هذا الايمان القلبي فعنده عبادة الهوى ويطلب رضا نفسه فمع انه مسلم ويصلي لكنه ناقص « وكمال معرفته التصديق به » فيجب ان يصل الى مرحلة التصديق القلبي ويعترف قلبه ويصدِّق بالله .

خشوع المحبة يكون مع التذلل ، والانسان عندما يكون له علاقة بأي شيء ويتبع ذلك الشيء فله ايمان به ، وايمان الانسان يجب ان يكون بخالقه ويفكر في طلب رضاه من الوقت الذي يستيقظ فيه في الصباح الى ان ينام في الليل لا أن يتبع هواه وشهوته .

« وكمال معرفته التصديق به » المعرفة النظرية والاستدلالية يجب ان تصل الى العلم القلبي الذي من آثاره خشوع القلب وهذا هو الذي عُبِّرَ عنه في الروايات بالنور .

على الانسان ان يسعى بمقدار استطاعته لكي يشرق هذا النور في قلبه .

النور الذي يجعله الله في القلوب :

ورد في حديث عنوان البصري ان الامام الصادق (ع) قال له : « وليس العلم بكثرة التعلم والتعليم بل هو نور يقذفه الله في قلب من يشاء ان يهديه »[1] .

فالمقصود من العلم هو ذلك الايمان القلبي والا فهو علم كسبي فحتى علم التوحيد قابل للدرك وجميع العلوم الكسبية في اختيار البشر ، فكلما اتعب نفسه اكثر يصل اليه اكثر ، اذن فالمراد من هذا العلم الذي ليس بالتعلم والتعليم هو العلم بالله . . العلم القلبي وشهود الحق والواقع فالادراك الحقيقي هو النور الذي يكون من الله وهو الذي يضيء القلب حتى يتمكن الانسان ان يرى الحقائق كما هي .

(١) بحار الانوار جلد ١ .

الهي افهمنا الحقائق لأنها ليست اشياء نتمكن من اكتسابها ، فاستاذها هو الله ، وما يمكن للانسان ان يعمله في هذا المجال هو الاستعداد ، ان يهيء نفسه لقبول ذلك النور القلبي حتى يحصل لديه ذلك الايمان والتصديق .

وظيفة الانسان ازالة المانع :

ازالة المانع تعني ازالة الحاجب ـ وهو أمر بيد الانسان نفسه ـ يعني أن يزيل ذلك الشيء الذي يحجب النور ويمنع القلب من الرؤية .

القرآن المجيد كثيراً ما يتحدث عن عين القلب ، فالانسان له عين ظاهرية ، والذي يكون بها مشتركاً مع الحيوانات والتي ينظر بها الى الاجسام ، وله عين للقلب يعني البصيرة والتي يدرك بها المعنى والحقيقة .

فكما انه لو وضع شيء حاجب امام العين الحسية فسوف لا تتمكن من الرؤية فكذلك عين القلب اذا كان امامها حجاب فيكون مانعاً من تنوّر القلب وادراكه وعلى الانسان نفسه ان يزيل هذا المانع حتى يشرق نور العلم والتصديق القلبي عليه ، يعني ان الله سبحانه وتعالى يقبض عليه ذلك .

ويقول الشاعر حافظ « انت بذاتك حجاب ذاتك فَقُمْ من مكانك يا حافظ » .

اما ما هو هذا الحجاب المانع من رؤية الحقيقة ، في حديثنا السابق اشرت الى ان هذا الحجاب هو الانانية والذاتية ، فاذا تمكن الانسان من اضعافه وازالته في النهاية فقد وصل الى تمام السعادة ، فحجاب هذا القلب هو تلك النفس والانا ، وهي المانعة من رؤية الحق فلو انها اصبحت قوية فسوف يتصور نفسه انه هو الحق ويقول أنا الحق وكل من اتبعني فهو على الحق فالشيء الذي يليق بالله فقط يتصوره لنفسه .

فالذي عبد الهوى فإنَّ حجابه سيزداد ويشتد حتى يصل إلى حدّ لا يريد الا نفع نفسه فمن المحال على هذا الشخص ان يصل الى التصديق القلبي فتصديق قلبه بذاته (لا يرى الا نفسه) مثل الشيطان الذي قال (انا خير منه) .

فاذا تمكن من تقليل رغباته النفسية يوماً بعد يوم وقلل تقيداته بنفسه فسوف تزداد علاقته وايمانه بالله .

ففي سورة « الشمس » المباركة يقول بعد اربعة عشر قَسَماً :

﴿ قد أَفْلَحَ من زكاها ﴾[1] وطهرها وتمكن من اضعاف وتقليل هذا الحجاب حتى يزول نهائياً .

(١) الاية ٩ .

الفصل السابع

بسم الله الرحمن الرحيم

الانتقال من الاسلام الى الايمان :

أوّل الدين معرفته ـ فالمسلم لا بد وان تكون له معرفة عقلية إبتدائية بخالقه ، ولكن هذا غير كاف وهو حسب الاصطلاح اسلام بالمعنى الاعم فيجب عليه التوصل الى مرتبة الايمان والاعتقاد القلبي والذي هو الاسلام بالمعنى الاخص ، ويوصينا القرآن الكريم بذلك .

﴿ ولا تموتن إلاّ وَأَنْتُمْ مسلمون ﴾ .

يعني عليكم ان تكونوا مستسلمين وخاضعين لأمر الله ، والمقصود من ذلك هو الايمان القلبي وما لم يحصل هذا الايمان القلبي فلا يمكن التوصل الى الكمال الإنساني إذ أنَّ كمال الإنسان بالمعرفة القلبية لله والعبور على الطريق المؤدي الى الخالق .

ويقول في سورة الحجرات :

﴿ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أَسْلَمْنا ولما يدخل الإيمانُ في قلوبكم ﴾ .

فبعض سكان البادية الذين لم يشمّوا رائحة المعارف الإلهية وانما أسلموا بالظاهر فقط كانوا يدعون بأنّهم آمنوا ، ففي هذه الآية الشريفة يصرح بأنكم اسلمتم بالظاهر فقط وهذا لا يؤدي الى الكمال إلا أن يكون مقدمة الى الايمان والاعتراف القلبي . نعم انتم مسلمون لكن فقط الاسلام بمعنى الاستدلال العقلي والمعرفة الاجمالية وفقط التسليم للاحكام .

فعليكم السعي للحصول على الايمان القلبي والوصول الى الكمال « وكمال معرفته التصديق به » ان يحصل في قلوبكم الايمان والتصديق بالحق والخشوع لله . . ومن اجل

الحصول على الايمان والعلم في القلب يجب كما قلنا ازالة حجاب النفس . . فما دام يرى نفسه مستقلا وما دامت الانانية مانعة فكيف يمكنه رؤية رب العالمين ، فما لم يرتفع هذا الاشتباه كيف تظهر الحقيقة بأنه ممكن الوجود . . يعني أن موجوداً قد اعطى له الوجود وليس هو ذاته ، في حين ان هذا الشخص لم يصدق لحد الآن ان الوجود وجميع آثاره من الموجودات محتاجة الى الله .

فالذي وجوده عين ذاته هو فقط واجب الوجود . . اما غيره من جميع مراتب الوجود فهي لا شيء ، يجب ان يُعطى لها الوجود . . فما دام لم يفهم هذا المعنى لحد الآن بل ويتصور نفسه موجوداً مستقلاً فكيف يكون عارفاً بالله .

تذكر العجز علاج الانانية :

يجب السعي لازالة هذا الحجاب يعني التصور الخاطئ . ولا بد من مجاهدة النفس لكي يفهم واقعاً ان تصوره وهم وباطل . يجب ان يتعب نفسه حتى تنكشف له ماهية الـ «أنا» . فانا لم اوجد في هذه الدنيا باختياري وذهابي من الدنيا ايضاً ليس باختياري . . انا ليس عندي اطلاع عما يجري في بدني ونفسي . . فماذا يمكنني عمله ؟! الربح والخسارة والموت والحياة القوة والعجز كلها خارجة عن اختياري . . هل يمكنني ان احتفظ بشبابي وصحتي او أمنع عني الموت ، ان لا اسمح لشعري بان يصير أبيض؟ يجب ان يدرك عجزه وفقره الذاتي .

ايها الناس انتم الفقراء الى الله . . الجميع محتاجون في جميع الامور في القوة والقدرة والادراك والحياة التي هي منشأ جميع الاشياء ، يجب ان يصدّق بالفقر الذاتي الذي هو امكان الوجود حتى يرتفع حجاب النفس ، وان يبحث عن العلاج بالتفكر والتدبر والعمل ، ولا يغذي نفسه فالتحرر وعدم تحمل المسؤولية يوجب زيادة وتقوية حجاب النفس .

المعرفة بمقدار الاستعداد والعمل :

« وكمال معرفته التصديق به » . . الايمان القلبي والتصديق بالله . . العلم واليقين الذي من آثاره الخشوع والتذلل امام الله لا يحصل دفعة واحدة وهو غير محدود بحد معين ، فكما ان الله سبحانه وتعالى غير محدود فمعرفته ايضاً غير محدودة فعلى كل شخص ان يسعى بمقدار ما أعطاه الله من المؤهلات لزيادة يقينه يوماً بعد يوم .

ففي البداية عليه ان يصل اولاً الى مرتبة العلم والتي هي بحاجة الى مجاهدة نفسية ولازمها التضرع الى الله فيجب ان يفاض عليه من الله كي تندفع نفسه نحو الارتياض يعني ان

يقلل من العمل المطابق لميوله .

وعندما يصل الى العلم يجب عليه الا يتوقف لأن الحجاب ما زال موجوداً ، وانما اصبح رقيقاً ويحتاج الى مدة طويلة لأزالته نهائياً .

حجب الظلام والنور :

ورد في رواية : بأن بين العبد وبين الله سبعين الف حجاب من ظلمة وسبعين الف حجاب من نور . ومن الطبيعي ان هذه المطالب اعلى من ادراكاتنا ، فلا يمكن ادراكها الا لأفراد معدودين ، فعندما يصل الى مرتبة العلم فسوف ترتفع بعض حجب الظلام ولا تزول جميع الحجب .

معنى ان العلم هو الحجاب الأكبر :

قال بعض الاكابر بان « العلم حجاب اكبر » ومقصوده على الظاهر انه حجاب نوري ، فيجب ان يكون معلوماً بأن القائل لهذا الكلام لم يذم العلم ، وانما اخبر عن كونه حجاباً ، وانما يكون ذلك في الوقت الذي يجمع الانسان معلومات كثيرة ويراها انها من نفسه ويعتمد عليها ويعتقد بأنه قد وصل الى الواقعيات وحقائق الأمور او ـ لا سمح الله ـ ان يرى نفسه اعلى من الآخرين والخلاصة فما دام لا يرى إلا نفسه وعلمه فهو في حجاب الغرور والتصورات الخاطئة .

اما انه حجاب اكبر يعني العلم فلأن الحجب الأخرى يمكن ان يلتفت اليها الانسان ويسعى بعد ذلك الى التخلص منها وازالتها ، بخلاف ما اذا اصبح علمه حجاباً فأنه لا يلتفت الى ذلك حتى يسعى الى اصلاحه وانقاذ نفسه الا أنْ تشمله العناية والرعاية الالهية ليلتفت الى ذلك .

على كل حال فـ « سوء الحال » يعني ان الشخص مذنب ولا يترك هذا الذنب ويتوب منه ، فهو حجاب ولا يسعى للتخلص منه .

اما « اسوأ الحال » فهو الا يرى نفسه مذنباً محجوباً ، ومن الواضح ان الفرصة للنجاة والخلاص في الأول موجودة ، اما الثاني فحسب الظاهر انه لا أمل في نجاته الا بفضل من الله . وبتعبير آخر ان الأول هو الجهل البسيط والثاني هو الجهل المركب .

فلو اراد الانسان الا يكون علمه حجاباً فالمفروض ان يكون علمه مصحوباً بتزكية النفس وترويضها وتهذيبها حتى يكون علمه معيناً له في طريقه وليس مانعاً .

زيادة العلم ورؤية القلب :

بعد العلم عليه ان يصل الى العين ، حيث ان كمال العلم بالعين ، فيصل من علم اليقين الى عين اليقين والذي يسمى رؤية القلب . وعندما يصل الى هذا الحد وهذه المرتبة عليه الاّ يكتفي بذلك بل يرتفع الى اعلى من ذلك .

﴿ وفوق كل ذي علم عليم ﴾ . وقد أمر الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم في القرآن المجيد ان يطلب زيادة العلم من خالقه .

المرتبة التالية هي الوصول الى الحق ، ولا يمكن توضيح حق اليقين بالعبارات العلمية والشيء الممكن هو تقريبه الى الذهن بالامثلة والتشبيهات وإلا فإنه اعلى من الحس .

من رؤية الدخان الى الاحتراق بالنار :

وينقل هذا الكلام عن المحقق الطوسي حيث قاله في بيان مراتب المعرفة وهي علم اليقين ، وعين اليقين ، وحق اليقين .

ينظر الشخص من بعيد فيرى دخاناً يتصاعد فيحصل له العلم بوجود النار ، فالعين ترى علامة النار واثرها فعنده الآن علم اليقين ، وعندما يقترب اكثر حتى يرى تلك النار بوضوح فقد وصل هنا الى عين اليقين ولو اقترب اكثر بحيث اخذ يمس حرارة النار وسخن جسمه واحترق فقد وصل هنا الى حق اليقين . ولا يمكن تشبيهه باحسن من هذا .

الشيء الضروري والمهم هو همة الشخص في التكامل وأن لا يبقى في مرتبة معينة وانما يسعى دائماً للوصول الى مرتبة اعلى ، والوصول الى مرتبة العلم مهم جداً وقد امر القرآن الكريم بذلك .

﴿ فاعلم انه لا اله الا الله ﴾[1] .

ولا يعني ذلك المعرفة الاجمالية العقلية بل الوصول الى العلم الذي لا يخالجه الشك والريب وانما يحصل معه السكون والاطمئنان بحيث لو لم يكن غيره موحِّداً على الأرض فلا يتزلزل ولا يضطرب لذلك وانما لا يوجد في قلبه سوى كمال السكينة والاطمئنان الحقيقي .

(١) سورة ٢٧٠ الاية ١٩ .

الوصول الى العين ، اعلى من ذلك ، فالسعادات الروحية عند صاحب عين اليقين تصل الى حد انه الآن يعيش في جنة روحية يرى نفسه دائماً مع محبوبه . . يدرك الله .

التقرب من الحق امل المشتاقين :

تقرأون في دعاء كميل « غاية آمال العارفين » فنهاية آمالهم هو الله ، والوصال والقرب من الله منتهى طموحهم ورجائهم .

وفي مناجات الامام زين العابدين (ع) :

« جوارك طلبي (طلبي القرب المعنوي والجوار الحقيقي) ووصلك مني نفسي ، وفي هواك صباوتي ، ولقاؤك قرة عيني ، يا نعيمي وجنتي يا دنياي وآخرتي » .

ومن البديهي ان اللقاء هو بالقلب وليس بالعين الظاهرية . ارادة القرب الحقيقي الذي هو « معكم اينما كنتم » . . إرادة ذلك القرب الذي ليس له ربط بالحلول والاتحاد . . فليس هو اتصال موجود بموجود آخر او دخول موجود بموجود آخر او دخول موجود في موجود آخر ، بل انه ازالة الساتر بحيث يفهم أنَّ ذاته وجميع الموجودات هي آيات الحق واسماء الله وغير موجودات بالاستقلال .

ان يكون مطمئناً بأن وجوده ووجود كل موجود من الله « الله نور يعني انه ظهور ووجود السماوات والأرض » . . والله هو قَيُّوم جميع الموجودات فقوام ونحقق كل موجود منه . . ان يفهم ويدرك هذه المعاني ، الادراك الذي يمكن ان يعبر عنه ب (اللمس) . . لا ان يفهم فقط ، وانما يجد .

وفقنا الله لنتقدم في طريق معرفته خطوة ، واعاننا إدامة ذلك .

الفصل الثامن

بسم الله الرحمن الرحيم

تحقق الاشياء بالوجود :

طرح السؤال بالنسبة الى ما ذكر في مطالب الجلسة السابقة حيث قلنا بأن جميع اجزاء عالم الوجود ممكنة ، ومعنى الممكن هو اللاشيء والعدم ، فالعدم والفقر الذاتي معدوم ولا شيء بحسب الذات ، بعد ذلك قلنا بأن الوجود عارض لها بعد ذلك ، فالسؤال هو ان العارض والمعروض مرتبتان من مراتب الوجود فكيف يكونان عدماً في حين ان لهما أثراً وهو نفس العروض .

وجواب هذا الاشكال هو انه عندما يقال أن الوجود والماهية عارض ومعروض فهو ليس العارض والمعروض الاصطلاحي الذي يقع على الاجسام الخارجية اللذان هما مرتبتان من مراتب الوجود بل إن الماهية هي حد الوجود لا انهما شيئان اثنان ، وعندما يقال إن هذه الماهية حصلت على الوجود واصبحت موجودة ببركة الوجود فلا يعني هذا انها كانت موجودة ثم ان الوجود عرض عليها (فهذا تحصيل حاصل ومحال) لذلك فعندما يتصور الانسان حدوداً للممكن فإن الوجود هو الذي يوجد هذا الحد .

ان الوجود عارض الماهيهْ تصوراً واتحادا هويّهْ

وبحسب الحقيقة فان زيداً موجود من الموجودات ، ولكن عندما يحلل ذلك عقلياً لا يرى الا وجوداً واحداً مع حدوده وخصوصياته . . فهو وجود واحد له حدود بالتحليل العقلي ، اذن فالعارض والمعروض انما هو بحسب التصور لا الحقيقة ، وهو وجود واحد بحسب الحقيقة .

عاشق لكل ما في العالم لأن الجميع منه :

ولأجل تكملة ما ذكرنا ، يجب على الانسان ان يسعى للحصول على التصديق القلبي بالنسبة لمعرفة خالقه ، يجب ان يكون بشكل بحيث يزداد يوماً بعد يوم ، فلو انه وصل الى العلم مثلاً فآثاره وعلائمه ان تتكامل علاقته ومحبته لخالقه ، فلو وصل الى عين اليقين فسوف تزداد علاقته « فالانسان عبد الاحسان » فلو ان احداً احسن اليك كأن تكون العين مصابة وقد عالجها الطبيب فسوف يتعلق القلب بهذا الطبيب ، ويغفل عن ذلك الخالق الذي اعطاه هذه العين ، فهذا الخالق الذي صدر منه كل ما في عالمنا الوجودي كم يجب على الانسان ان يتعلق به ويحبه ، وان يكون كل ما يحبه وكل من يحبه انما هو لأجله ؟

اينما ينظر فهو الوجود وآثار الوجود المتعلق بالله ، لذلك فان كل شيء يوجب محبة الله والسرور بحضور الحق .

« والارتباط بالله اكثر والتقرب اليه وانما يكون بتقليل وتضعيف الحجب والموانع بحيث يرى الله حاضراً و ناظراً وان يدعو الله في مكان منفرد ويطلب من الله الزيادة في العلم « وقل ربي زدني علماً » .

ربي أرني انظر اليك :

عين اليقين هو رؤية القلب الذي هو أعلى مرتبة من العلم ، وعندما يصل الى تلك الرؤية يجد لها آثاراً احسن ويتضح ذلك من خلال قصة موسى عليه السلام .

بعد ان حصل موسى على علم اليقين ووصل الى مقام التكليم « وكلم الله موسى تكليماً » وسماع موسى لكلام الله راجع الى عوالم القلب « نزل به الروح الأمين على قلبك » وبعد أن وصل الى مقام التكليم واصبح قلبه الشريف مستعداً للتكلم ، عند ذلك طلب من الله الرؤية وقال ربي ارني انظر إليك .

فموسى عليه السلام أجَلُّ من ان يطلب الرؤية الحسية فهو يعلم بانه من المستحيل رؤية الله سبحانه بهذه العين ، فالعين الحسية للبشر لا ترى الا الاجسام والالوان وتحت شرائط خاصة بأن لا يكون القرب والبعد كثيراً والا يكون هناك حائل او ظلام دامس ، بعد ذلك فهي ترى ما تراه العين الحيوانية فما تراه العين البشرية لا يفترق مع العين الحيوانية ، أمّا الله سبحانه وتعالى فهو « مُجسِّم الاجسام فلا يقال له الجسم ومكيِّف الكيف فلا يقال له كيف واين

الأين فلا يقال له أين .

فهو صانع الاجسام فكيف يكون جسماً بحيث يكون محتاجاً للتركيب ؟ لأن الجسم حادث وممكن ، وهو صانع المكان وخالق للسماوات والأرض فلا يقال له بعد ذلك « أين » وهو الموجود والخالق لكيفيات الاشياء .

اذن فعندما يقول موسى ربي ارني انظر اليك فلا يتصور احد أن الرؤية بالعين الظاهرية .

عندما يتحطم جبل النفس يحصل الشهود :

قال لن تراني ـ يحتمل ان يكون « لن تراني » اشارة الى ان موسى لم يخرج بعد من حجاب نفسه فلذلك استحال عليه ان يرى الله فعندما يقول ـ ارني انا ـ فهذه ال (أنا) هي الحجاب .

وطبعاً هذه الأمور دقيقة جداً وعميقة، حقائق فوق ادراك عقولنا الجزئية .

« ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني » ، ويحتمل ان يكون هذا الجبل النفس فاذا انهدم وآندكّ هذا الحجاب الاعظم وهو جبل الانانية والذاتية حينذاك يحصل الشهود وعند ذاك تحدث الصعقة ويموت الحجاب الأعظم وهو ال (أنا) موتاً ارادياً « فخَرَّ موسى صعقاً » .

وطبيعي ان ننقل هذا المعنى بصورة الاحتمال لا انه المقصود مائة بالمائة من هذه الآية ، فعندما تدمر وتحطم الهيبة الالهية انانية وذاتية النفس وتموت الذات فسيحصل على الاستعداد والقابلية لان يصل الى مرتبة عين اليقين واكثر من ذلك الى حق اليقين بحيث لا يوجد اي انانية في البين .

من انا حتى اثني عليك ؟

المرتبة الكاملة لذلك هي عند خاتم الانبياء (ص) حيث لم تكن « انا » في البين مطلقاً ، وفي دعاء السجدة لخاتم الانبياء (ص) نقرأ :

« رب لا أُحصي ثنائي عليك انت كما اثنيت على نفسك » .

الهي من انا حتى احمدك واشكرك انت كما اثنيت على نفسك وانت الذي يجب ان تثني على نفسك .

او في سجدة النصف من شعبان لرسول الله (ص) :

« سجد لك سوادي وخيالي وآمن بك فؤادي » .

ما عرفناك حق معرفتك ـ فممكن الوجود يبقى ممكن الوجود مهما توصل الى مراتب عالية ، فالعبد عبد ، والله هو الله . . فلا يمكن ان يصير محمد إلٰهاً في أي وقت مع انه في أعلى درجات القرب بحيث انكشفت الحقيقة لمحمد (ص) ما لم تنكشف لأحد ، ومع ذلك « ما عبدناك حق عبادتك » .

اردت اولا ان نسعى لنتقدم خطوة في بيان المراتب بشكل مختصر من اجل الا نقنع ونتصور بان هذا هو كل شيء ـ بل علينا ان نسعى ببركة الله للتقدم والتوصل ـ وثانياً ان لا يستولي علينا الغرور في هذه المرتبة التي نحن فيها بل يجب ان نعلم بأن امامنا مراتب كثيرة جداً ﴿ وفوق كل ذي علم عليم ﴾ .

الفصل التاسع

بسم الله الرحمن الرحيم

أول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به .

الاطمئنان نتيجة الايمان وليس نتيجة العلم فقط :

مهما كان الموضوع مهمّاً الا انه يجب تكراره حتى لا تبقى أيُّ شبهة في الذِّهن ، فلا يتصوَّر أحد بأن المعرفة الإستدلالية العقلية كافية ، فمعرفة الله والرسول والمعاد بحكم العقل معرفة ناقصة ومخطورة يعني أنها في معرض الشك والوسوسة ، ويمكن أن يصرعه الترديد ويهلكه ، فالذي يوجب الاطمئنان هو الايمان القلبي بان يصدق قلبه بما حكم به عقله .

فعندما يصدِّق القلب تظهر اثار ذلك الايمان بالترتيب فمن جملتها ان الانسان الذي آمن قلبه بان الله عالم وقادر وهو المنعم عليه سيحصل في قلبه حب الله فيتجنب كل معصية في حين اننا نجد كثيراً من الاشخاص الذين قضوا في هذه الاستدلالات العقلية عمراً طويلاً لكن لا يوجد شيء من ذلك في قلبه ، فكل ما عنده انما هو باللسان فقط وليس في قلبه شيء من الحقائق والمعارف .

الشيء الموجود في قلبه هو حب الدنيا ، اذن فايمانه بهذه منحصر في الدنيا وعبادته لهذه الدنيا وللصعود المادي وكل ما تطلبه النفس وتشتيهه . . اذن فليس كل من درس شيئاً حصل على العلم القلبي ، لقد فهم الاصطلاحات العقلية لا ان قلبه قد آمن وصدق وتنور بنور الايمان .

اليقين بالموت اشبه شيء بالشك :

نضرب مثالا على ان العقل قد يكون متيقنا من بعض الامور ولكن القلب غير مصدق

بذلك . في مسألة الموت وفناء الدنيا . فكل عاقل يعلم بان كل مركب لا بد وان ينحل ، وايضاً بطريق الاستدلال العقلي على الغاية يعلم بان كل موجود مخلوق لغاية معينة وهدف ، وعندما يصل الى تلك الغاية فسوف يكون الموت حتمياً .

والعقل التجريبي شاهد على ذلك ايضاً بانه لا يوجد احد مكتوب له البقاء . . لم يبق احد من الافراد الذين كانوا قبل مائة سنة ، فهذا يعني انه لا يبقى احد من هؤلاء الناس بعد مائة عام تقريباً ويحصل له اليقين بذلك .

لكن القلب لا يصدق ابداً بهذا المعنى . وهناك عبارة مروية عن الامام علي (ع) حيث يقول :

« ما رأيت يقيناً أشْبه بالشك من اليقين بالموت » .

يعني ان الانسان يرى ذلك دائماً ويدرك ذلك ايضاً بالاستدلال ومع ذلك لا يصدق ، فالقلب لم يؤمن بذلك بعد لذلك لا يذكر الموت وزوال الدنيا ابداً ، لذا نرى عمله الدؤوب في طلب المال والثروة ، في حين ان عمره لا يكفيه للاستفادة من هذه الاموال ، فلماذا لا يرى الواقع ، لأن ساتراً قد غطى على عينه الباطنية ، فهو في غفلة ، وحرصه في جمع الثروة في تزايد مستمر كما لو انه سيبقى ابد الدهر .

او طالب الرئاسة ـ هذا الامر الوهمي والمسبب للاتعاب والمصائب يسلب الحريات ـ بجرده من تلك الراحة والفراغ الذي كان لديه ، وكل ذلك لايام معدودة ايضاً ، فلماذا لا يرى الانسان نهاية الامر حيث يتصل كرسي الرئاسة بتابوت الموت . . احسب مقدار عمرك ثم اعمل من اجل ذلك . . لكنه لا يصدق بالموت والفناء لان القلب محجوب فلا يرى الا نفسه ورغباته ، وفي الحقيقة فهو ما زال في المرتبة الحيوانية التي لا تدرك العبرة .

فلو زال الحجاب واضاءت عين القلب ورأى الحق وعرفه فعند ذلك يصبح طالباً له ، ويمشي في طلب رضا الله . . يتبدل ، ولكن ما دام هذا الحجاب محيطاً بالقلب فلا يمكن ان يكون طالباً للحق .

كونوا روحانيين لتصبحوا علماء :

ورد حديث في كتاب منية المريد للشهيد الثاني نقلا عن المسيح (ع) حيث يقول :

« ليس العلم في السّماء فينزل اليكم ، ولا في الارضين فيخرج اليكم ولكنه مجبول في نفوسكم ، تأدبوا بآداب الروحانيين تجدوه » .

فالمنبع موجود في قلب الانسان الا انه يجب ازالة المانع والحجاب الذي فوقه . فلو ان عين الماء كانت مغطاة بالاتربة وكانت تمنع خروج الماء او كانت فوقها صخرة ، وجب ازالة هذا المانع حتى يتم جريان الماء . لذلك يقول : تأدبوا بأداب الروحانيين حتى تجدوا العلم .

يعني ما دمتم تسيرون في طريق غير روحاني ومادي فلا يمكنكم العثور على العلم الراجع بعالم المعنى والحقيقة والروحانية . فازيلوا هذا المانع وتأدبوا بآداب اهل المعنى عند ذلك تعثرون على العلم وتجدوه .

الاخلاص في العبودية وعيون الحكمة :

وفي رواية اخرى عن رسول الله (ص) يقول :

« من اخلص لله اربعين صباحاً (وسيتضح معنى الإخلاص في العبودية بعد ذلك) جرت ينابيع الحكمة من قلبه الى لسانه » [1] .

بامكان الشخص ان يقرأ الروايات والتفسير والعلوم الاخرى ويحفظها في ذهنه ثم يلقيها بعد ذلك مثل جهاز التسجيل ، فهذا العلم لم ينبع من القلب وانما هو كما عبرنا عنه مثل جهاز التسجيل ليس له قيمة ، انما هو معرفة اصطلاحات لا اكثر . . العلم الحقيقي هو ما ينبع من قلب الانسان ويتحقق به ويتأثر بآثاره .

فلو ان احداً عرف الله بالعلم فسوف لا يرتكب ما يخالف رضاه . واما لو خالفه وعصاه فسيتضح انه لم يعرف الله بالعلم . . ونقرأ في ضمن دعاء أبي حمزة :

« الهي لم اعصك حين عَصَيْتُكَ وأنا بربوبيتك جاحد . . ولا لعقوبتك متعرض ولكن خطيئة عرضت لي وسولت لي نفسي » .

وعلامة ذلك انه يندم بسرعة ويستغفر ، فلو ان احداً كان يرى الله حاضراً وناظراً فسوف لا يختلف عنده حال الظهور والخلوة ، فغير ممكن ان يرتكب في محضر خالقه ما يخالف امره ، وطبعاً للعلم مراتب ايضاً .

مجاهدة النفس ضرورية ، وعندما تزول الـ (أنا) يرتفع حجاب كبير ، وما دامت هذه الـ(أنا) و(الانانية) موجودة فلا يمكن الحصول على الله . . والحذر مما صار اليه الشيطان الذي قال (انا) ورأى نفسه وجوداً مستقلاً فاصبح مطروداً الى الابد .

(١) عدة الداعي .

المعرفة لا تجتمع مع الجهل بالواقع :

على كل حال فطريق الله لا يجتمع مع الجهل فالذي لم يفهم لحد الآن بأنه عدم فكيف يجد الطريق الى المعارف الالهية ؟ . . والانانية والاستقلال ، والغفلة عن العدم ناشئة من الجهل فلو كنا نريد التعرف على توحيد الله واقعاً يجب علينا اولا ازالة هذا الحجاب . . فالمجاهدات لازمة لكي لا تبقى الـ (أنا) ، ولا يكون هناك حب الذات بل حب الله . ، واقبح انواع الشرك الباطني هو هذا النوع بأن يرى وجوده من نفسه ولا يرى الله ، في حين ان ذاتنا بقطع النظر عن الوجود لا شيء ، ومع الوجود لا شيء ، ومع الوجود فهي غير مرتبطة بنا بل مرتبطة بالله . . يجب ان يكون هذا المعنى ضرورياً لنا .

الهي اظهر لنا حقائق الاشياء ، كما هي واقعاً (ارني الاشياء كما هي) واجعل هذه القلوب المحجوبة بدون حجاب بقدرتك القاهرة ولا مفزع ولا مهرب الا الى الله ، فيجب الفرار اليه فقط . . ففروا الى الله .

الفصل العاشر

بسم الله الرحمن الرحيم

« أَوَّلُ الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به وكمال تصديقه توحيده » .

التوحيد الذاتي والصفاتي والافعالي :

قلنا بأن كمال المعرفة ليس بالاستدلال ، بل بالتصديق القلبي والايمان . وقد بينا في البحوث السابقة معنى التصديق القلبي ومراتب من علم اليقين وعين وحق اليقين . وهذا التصديق لا يصل الى الكمال الا بأنْ يعرف الله بالوحدانية ولا يعرف له اي شريك وانما هو الله وآثار الله وتجلياته .

التوحيد ايضاً له مراتب . . التوحيد الذاتي والصفاتي والافعالي التوحيد الذاتي هو ان لا يعلم الهاً غير الله الواحد الأحد ، والتوحيد الصفاتي هو ان الصفات كلها ترجع الى واحد وهي عين ذاته وليست زائدة عليه ، والتوحيد الافعالي ان يفهم فاعلية الحق في جميع الامور .

التوحيد الذاتي : واجب الوجود واحد ، وهو ازلي وابدي الوجود ، يعني انه كان موجوداً وسوف يبقى ايضاً ، ووجوده ليس عارضاً عليه بل هو ذاتي . وادراك وحدة واجب الوجود اقل مراتبه هو بالاستدلال العقلي ، ان يفهم بأن مبدأ العالم واحد ، والادلة العقلية كثيرة نذكر لذلك بعض النماذج .

التعدد في واجب الوجود محال :

اذا كان المبدأ اكثر من واحد لزم التركيب في حين ان واجب الوجود لو كان مركباً للزم ان يكون محتاجاً لاجزائه ولمن يركبه ، فكل مركب ممكن ومحتاج للاجزاء وللفاعل ايضاً ، اذن فعندما يكون واجب الوجود مركّباً فهو ليس بواجب الوجود بل ممكن الوجود ومركب ومحتاج .

واذا كان واجب الوجود متعدداً واصبح اكثر من واحد فلا بد ان يكون هناك ما به الاشتراك وما به الافتراق والامتياز ، يعني ان هناك جهات مشتركة واخرى مختلفة . والا فلو لم يكن ما به الامتياز امتنع ان يكونا اثنين وهو خلاف الفرض ، اذن فكل واحد منها اصبح مركباً من امرين وهما عبارة عن ما به الاشتراك وما به الامتياز ، والمركب محتاج وممكن لذلك فهو ليس بواجب الوجود .

فلذلك يجب بحكم العقل ان يكون المبدأ واحد ، فلو كان اكثر من واحد فكل واحد منهما غير واجب الوجود فكل واحد محتاج الى موجد وجاعل وهو ذلك الذي جعل التركيب بينها .

التعدد يؤدي الى الفساد ، والوحدة الى الصلاح :

او الدليل الذي ذكره القرآن على ذلك :

﴿ لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ﴾ (١) .

فمما لا شك فيه ان مبدأ عالم الوجود والخالق اذا كان اكثر من واحد فان هذا النظام لا يكون هو الاحسن ، وانما كان هذا النظام احسن لانه من مبدأ واحد وفي آية اخرى يقول :

﴿ اذا لذهب كل إله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض ﴾ (٢) .

والخلاصة ان كل فساد ناشئٌ من التعدد والكثرة ، وكل صلاح ناشئٌ من الوحدة .

ادلة التوحيد في علم الحكمة والكلام كثيرة ، ولكن ما لم تكن مصحوبة بالتصديق القلبي فهي غير كاملة ، يجب ان تصل الى مرحلة الشهود ، وان يصدق بها بحيث لا يبقى عنده أيُّ شك أو وسوسة ، فكل شيء يمكن فيه الشك الا في المبدأ والمعاد .

وطبعاً انما يكون ذلك عندما لا تكون (الذات) والـ (انا) موجودة والذي شرحناه بالتفصيل . عند ذلك يصدق واقعاً بان وجوده ووجود جميع الموجودات من الله ، فالحدود مع قطع النظر عن الوجود هي لا شيء وعدم ، يجب ان يفهم هذا المعنى جيداً فالوجود هو الذي تظهر منه هذه الظهورات لا الحدود التي هي اعتبارية ، هذه المعاني يمكن ادراكها بالقلب .

(١) سورة ٥ آية ٢٢ .

(٢) سورة ٢٢ الاية ٩١ .

يخاف الله لانه لا يفهم :

هل يمكن لأحد ان ينكر الوجود ؟ . آثار الوجود مع قطع النظر عن الحدود والماهيات شاملة للجميع وفي كل مكان وهو واحد ، فالوجود واحد حيث ان السماء والارض والحيوان والانسان وغيرها كلها موجودة السماء موجودة ، الارض موجودة وهكذا ، ونفس السماء والارض بقطع النظر عن الوجود هما لا شيء وعدم .

وطبعاً ادراك هذه الامور يكون سهلاً جداً بعد مجاهدة النفس وانما يكفر الانسان بهذه الامور لان قلبه محجوب (المرء عدو لما جهله) فيتصور نفسه عالماً والآخرين هم الجهلاء ويرى التوحيد كفراً ولا يمكنه ادراك الواقع والحقيقة ورؤيتها لوجود حجاب النفس ويرى ان الآخرين هم الجهلاء .

يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم :

﴿ الله نور السماوات والارض ﴾ .

فالنور هو الوجود ، والا فكما قلنا بأن السماء والارض بغض النظر عن الوجود لا شيء .

الوجود هو الذي جعل من السماء سماءاً ومن الانسان انساناً ، هو الذي اوجد الجميع . فلو لم يكن الوجود لحظة واحدة فسينعدم كل شيء ، فنفس الماهية لا شيء ، والوجود هو الذي يعطيها الظهور ويظهر لها هذه الحدود . فالمظهر هو الوجود « فالله هو الذي اظهر السماء والارض وجميع الموجودات واعطاها الوجود » فهذا الوجود مع كل هذه السعة والشمول وهذه الوحدة التي لا ينفصل عنها اي موجود والا فهو غير موجود . . فلو انه ادرك هذا المعنى بنور القلب فسيفهم جيداً قرب الله والمعية والقيمومية الالهية .

القرب ليس زمانيا أو مكانيا وليس بالمرتبة والشرف :

ونقرأ في نفس خطبة نهج البلاغة بانه ، « مع كل شيء » فهو مع كل موجود لأن وجود كل شيء منه ، ولكن « لا بمقارنة » فهو ليس قرباً اقترانياً ملازماً للاجسام ، وليس قرباً مكانياً وكذلك ليس بزماني ، فمثلاً هذا الجزء من الاصبع ملاصق لهذا الجزء فهو قريب منه بحسب المكان ، والقرب الزماني مثلا ان اليوم بالنسبة الى ليلة امس قريب ، ومن حيث العمر فالعشرون سنة قريبة من الواحد والعشرين .

وكذلك فهو ليس قريب من حيث الرتبة ، ولا يمكن ان ننسب الى الله القرب بهذا المعنى . . لا يوجد قرب مكاني بين الله والخلق فالله في هذا الظرف والمخلوقات في الآخر ، فلو كان كذلك بان قلنا مثلا واستغفر الله بان الله في السماء فهذا يعني ان الارض واهلها موجودات مستقلة في مقابل الوجود ، فهو ليس بقرب زماني ولا مرتبتي ولا اشرافي ، فلا قرب بين المخلوق والخالق بأي شكل من هذه الاشكال .

قرب امير المؤمنين (ع) من رسول الله (ص) هو قرب الرتبة والشرف وهذا القرب لا يوجد بين الله وبين أي واحد من المخلوقات ابداً حتى قرب الماهية واجزائها او قرب الفصل للجنس ، فالله سبحانه وتعالى منزه عن هذه الاشكال من القرب .

اذن لا يمكننا ان نضرب مثالاً للقرب من الحق لانه « ليس كمثله شيء » ومهما كان معنى القرب في اصطلاحنا ، فهو منزه عن ذلك بالرغم من ان البعض حاول تشبيه ذلك بقرب الموج بالنسبة للبحر ، لكن الله اعلى واجل من هذا التشبيه .

الحلول والاتحاد كفر :

لذلك يقول امير المؤمنين (ع) :

« مع كل شيء لا بمقارنة » .

مع كل شيء لكن لا يعني ذلك انه قريب منه وقرين له بحيث يكون زيد والوجود امرين مقترنين مثلا ، فالاتحاد كفر ، فلو ان احداً قال باتحاد الخالق والمخلوق ، وانه وجود وهذا ايضاً وجود فهو شرك كما ان الحلول ايضاً كفر وهو أن يكون الله داخلا في شيء كما يكون الماء في داخل الاناء .

الحال والمحل اثنان ووجودان . . اذن هو معكم ولا يتصور بان الله منفصل عنه وان هناك وجودين اثنين .

و « غير كل شيء لا بمزايلة » فالله غير كل شيء لكن بشكل منفصل بحيث يكون لله وجود ، ولغير الله ايضاً وجود آخر .

وطبعاً كما قلنا فإن الموضوع عميق جداً ودقيق بحيث لا يمكن ادراكه بالفهم العادي والطبيعي . وايضاً يقول الامام علي (ع) :

« بينونة الصفة لا بينونة العزلة » فالمخلوق مباين للخالق في الصفة لا انه منفصل عنه في

التحقق والوجود بحيث يكون منعزلا عن الله سبحانه وتعالى ، والله سبحانه وتعالى منفصل وفي معزل عن الخلق .

تجب مجاهدة النفس طول العمر والمواظبة والمراقبة وان يصفي قلبه حتى يمكن لنور التوحيد ان يضيء قلبه لكي يصل برؤية القلب الى ادراك وحدانية الله الحقيقية بمقدار ما له من قابلية واستعداد وان يصل الى مرتبة حق اليقين وهي المرتبة الكاملة للتوحيد التي على رأسها محمد وآل محمد (ص) . . ان يصل الى مرتبة : « الهي هبني كمال الانقطاع اليك » فهو منقطع كلياً عن غير الله ومرتبط بالله .

يعمل بالعين والاذن واليد الالهية :

ورد في اصول الكافي :

« كنت سمعه الذي به يسمع وبصره الذي به يبصر ويده التي بها يبطش » .

فكل شيء يكون الهياً . . لقد توضحت لديه حقيقة ذاته وفهم بانه الله وآثار الله . . ظهور وتجلي الله . . وكلمة التجلي وردت في القرآن والحديث ففي القرآن ﴿ فلما تجلى ربه للجبل ﴾ وفي دعاء المبعث « اللهم اني اسألك بالتجلي الاعظم » .

والتجلي الأعظم لله هو خاتم الانبياء ، فلا يستوحش احد من هذه التعبيرات ، فلأن الانسان يرى نفسه دائماً فيستوحش من هذه المطالب ولكن عندما يفهم بان انا وانت وهو والجميع عدم بقطع النظر عن وجود الله فسوف يزول عنه الترديد والاستيحاش ، وطبعاً فان ادراك ذلك صعب ، وبما انكم شباب فيمكنكم ان تجدوا الطريق لذلك فارحموا ذاتكم ولا تغذوا انفسكم ولا تعملوا على تقويتها حتى لا يشتبه ويختلط عليكم هذا المعنى ، بل اعملوا على تضعيف حجابكم بالمجاهدات الصحيحة والشرعية واعملوا على تقوية الجوانب المعنوية منها ، نسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق لكل خير .

الفصل الحادي عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

« أَوَّلُ الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به وكمال تصديقه توحيده » .

جميع الحوادث من محدث واحد :

بعد ان يحصل الانسان على العلم بخالقه يجب ان يكون على اساس من الوحدانية وإلاَّ فهو ناقص في معرفته ، وذلك بأن يتيقن بانه « وحده لا شريك له ذاتاً وصفةً وفعلاً » يعني التوحيد الذاتي والصفتي والفعلي وبعد ذلك التوحيد في مقام العبادة والطاعة .

التوحيد الذاتي هو ان يعرف بان ذاته المقدسة هي مبدأ عالم الوجود . وجميع الموجودات والحوادث حاصلة منه وصادرة عنه ففي عالم الوجود إله يرجع اليه جميع الوجود والموجود ، فالواجب الوجود واحد وهو ازلي وابدي وكان دائماً وباقياً كذلك ، وغيره ممكنات وحوادث ، ويقال في تقسيم ذلك بحسب التصور بان الوجود على اقسام ثلاثة :

إمّا واجب ، او ممكن ، او ممتنع .

فاذا كان الوجود عين الذات ، ولم يعط له الوجود فهو واجب الوجود ، واما اذا لم يكن ثم كان بعد ذلك يعني ان الوجود لم يكن في ذاته ، وليس هو حتمياً بالنسبة اليه اي انه يمكن ان يكون ويمكن ألاّ يكون فيقال عنه انه ممكن الوجود ، اما الممتنع فهو ان يحكم العقل باستحالة حدوثه ووجوده وتحققه في الخارج مثل شريك واجب الوجود بان يفترض وجود خارجي للشريك ، هذا مستحيل ، ولكن لماذا ؟

محال ان يكون شريك :

لأنه لو كان واجب الوجود اثنين فلا بد وان يكون بينهما فارق وما به الامتياز ، فالشيئان

البسيطان من جميع الجهات ليسا باثنين حتماً وانما يجب ان تكون هناك جهة مختلفة بينهما لكي يكونا اثنين ، والا فالاثنينيه غير حاصلة . ويلزم من ذلك التركيب مما به الاشتراك ومما به الامتياز والتركيب ايضاً يؤدي الى الاحتياج ، فكل مركب محتاج الى اجزائه التركيبية والى مركب لها ، ويحصل عندئذ الأنقلاب ، يعني ان واجب الوجود ينقلب الى ممكن الوجود لأن المركب محتاج يقيناً فهو ممكن وليس بواجب ويحتاج الى واجب لكي يوجده ، فبهذه الادلة وامثالها يستدل على ان شريك الخالق ممتنع الوجود .

ثم انه لو افترضنا وجود إله فهذا يعني ان للعالم مبدأين ، وان هناك علتين للموجودات ، واللازم لذلك بقطع النظر عن الدليل العقلي على الامتناع هو الفساد الذي اشرنا اليه ، لأن اللازم لواجب الوجود هو الافاضة والخلق للوجود ، فيجب ان يكون لكل منها مخلوقات وكل واحد منهما عالم منفصل ، وايضاً هل يمكن لكل واحد منهما التسلط على الآخر ؟

فإذا لم يتمكن من ذلك فهو عاجز والعاجز لا يكون الهاً ، ولو كان قادراً على ذلك للزم الفساد « اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض » فيجب ان يستولي احدهما على الآخر ، ولو كان كذلك فهذا يعني الفساد ، ولو اصبح احدهما مغلوباً امتنع ان يكون واجب الوجود بعد ذلك لأن الله لا يمكن ان يكون مغلوباً ابداً . ويتضح امتناع الشريك لله من آيات القرآن والادلة العقلية..

وحدة الخالق من وحدة الخلق :

وايضاً يمكن ادراك وحدة الخالق من كيفية الوحدة في المخلوقات لأن كيفية الخلق واحدة فالخالق ايضاً واحد . فمثلاً ٥ / ٤ مليارد انسان مخلوقون من النطفة وكلهم على هذه الشاكلة اذن فالذي خلقني هو نفسه الذي خلقك وخلق ذاك وخلق الجميع ، فالجميع من حيث الخلقة متساوون ، وفي الحيوانات كل واحد منها كذلك ايضاً ، اذن فالخالق للجميع واحد وهو خالق الانسان والحيوان .

ولا حظوا ذلك ايضاً في عالم النباتات فجميع الأنواع المختلفة تنبت من حبة او قلم ، فظهور العظَمة والقدرة في حصول الزمان هو نفسه في التفاح والكمثري ونفس العظمة والقدرة في خلق الحبوب .

فالموجودات كلها مرتبطة بقدرة واحدة وبحكمة واحدة ، فالقدرة والحكمة الموجودة في

خلق الفيل هي تلك القدرة والحكمة في خلق البعوضة ، فذلك الخرطوم الرقيق في البعوضة ليس بأقل من حيث نوعيته من خرطوم الفيل بل انه ادق واسرع ، اضافة الى انه اعطى لها جناحين . اعضاء الفيل مع كل ذلك الهيكل الضخم نجدها قد استخدمت ايضاً في البعوضة كالقوة السامعة والباصرة والمعدة وجهاز الهضم وغيرها فهل أنكم لا تدركون وحدة الخالق من هذه الكيفية في الخلقة ؟ فذلك الذي صنع الفيل هو نفسه الذي صنع البعوضة .

التوحيد والهدف من خلق المخلوقات :

والاسلوب الآخر هو عن طريق وحدة الغاية وكيفية الربط والارتباط بين الموجودات ، فلا شك ان لكل موجود مخلوق غاية وأنه مخلوق لمنفعة معينة ، وكل موجود مرتبط مع الآخرين بنحو من الارتباط ، فهذا الموجود مخلوق لأجل غاية عند موجود آخر ، فجميع هذه الموجودات مرتبطة مع بعضها وعلى سبيل المثال ، انظروا الى اسنان الخروف فهي اسنان آكلة للعلف ومعدته ايضاً معدة هاضمة للعلف اذن فخالق الخروف واسنانه ومعدته هو نفسه الخالق للعلف . وانظروا الى اسنان ومعدة الحيوانات آكلة اللحوم فسوف يحصل لكم اليقين بأن الخالق لهذه الاسنان وهذه المعدة عند آكلات اللحم هو نفسه الخالق لتلك الحيوانات التي يستفاد من لحومها ، وانظروا الى اسنان ومعدة الكلب فستفهمون بأن الذي اعطى هذه القوة لأسنان الكلب وهذه الحرارة لمعدته هو نفسه الخالق للعظام .

وقد اعطى للحيوان قوة ذائقة في فمه فيتذوق ويدرك الحلو والحامض في الأشياء . ويدرك الفواكه والحلوة والحامضة والمرة ، اذن فالخالق لهذه الفواكه والاطعمة المختلفة هو الخالق للذائقة وإلا فما الفائدة من الذائقة ؟ عليه ان يفهم الله بالوحدانية ويفهم بأن الخالق للذائقة هو الخالق للاطعمة .

وكذلك الكلام في القوة الشامة ، فالصانع لأنواع الأزهار والورود بتلك الروائح المختلفة هو الخالق للشامة ، فالروائح موجودة مع هذه الغاية وهي أن يدركها الانسان ويتعرف على صانعها ويشكره .

اضافة الى الخصوصيات الأخرى لدى الحواس من شامة وذائقة واضافة للحصول على اللذة والالتذاذ ، يجب ان تدرك الأشياء المضرة ايضاً وتتجنبها ، فيجب ان تدرك الروائح الكريهة وتفهم من رائحة اللحم المتعفنة بأنه مضر ، ولا ينبغي اكله كي لا تتمرض ، وعندما تتذوق شيئاً مراً فالذائقة سوف ترفضه وترده .

والخلاصة ان هذا الربط والارتباط بين اجزاء الخلقة مع بعضها البعض ظاهر بكل وضوح ويظهر من الغرض الواحد من خلقها ان الخالق واحد ايضاً .

ارتباط الشمس وضوء القمر والزراعة ... :

يصل نور الشمس من مسافة تسعين مليون ميل لأحياء الأرض و الموجودات ، فنمو النباتات وحياة الحيوانات مرتبطة به ، ضوء القمر ايضاً يصل من مسافة ثلاثمائة الف كيلو متر وله تسعة عشر خصوصية للكرة الأرضية والتي احدها هو تبريد الحبوب وغيرها التي تسخن بواسطة الشمس ونور القمر يعمل على تبريدها ويحصل التوازن في ذلك فكيف تم ربط نور الشمس والقمر بالارض ؟

انظر هذا النّظْم الذي لا يكون فيه النهار باقياً باستمرار بحيث تحترق وتتلف الأشياء ولا يكون الليل دائماً بحيث لا تكون معه نتيجة ، والذي سخر الغيوم وجعلها تمطر هو نفسه الذي خلق النباتات وجعلها تنمو . . من الذي خلق الغيوم ؟ انه هو الذي خلق الشمس وجعل البخار يحصل من حرارتها وتتحرك ملايين الأطنان من الماء في السماء و . . .

علينا ان نفهم وحدة الخالق من وحدة الغرض . . فالغرض من نزول الأمطار هو احياء هذه الأرض الميتة ، فنفهم ان الخالق للغيوم والامطار هو الخالق للنبات ، والذي اعطى النمو للنبات هو الذي اعطى للحيوانات المعدة وجهاز الهضم والاسنان وهو الخالق للعين كي ترى طعامها وهو الخالق لليد الذي تهيئه به وتضعه في الفم .

ونفهم من نظرة اجمالية ان جميع الموجودات مرتبطة مع بعضها بنحو من الأنحاء وتشهد بأنه « لا إله الا الله ، وحده لا شريك له » فلا يوجد غير خالق واحد في عالم الوجود وغير مبدأ واحد عليم وحكيم وقدير الذي خلق الجميع لأجل غرض وغاية .

الفصل الثاني عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

لو كان مبدأ اخر لأرسل رسلا :

يقول الامام امير المؤمنين في وصيته لابنه الحسن في باب التوحيد هذه الكلمات :

« اعلم يا بني انه لو كان لربك شريك لاتتك رسله »[1] . فلو كان واجب وجود آخر وكانت له مخلوقات ايضاً بحيث يكون الناس مثلاً معلولين لكل واحد منهما ومخلوقين لكل منهما ، فكما كان خلق اجسادهم وتربيتها ورزقها منهما ، فكذلك تربيتهم الروحية المعنوية يجب ان تكون من كل منهما ، فلذلك يجب على الآخر ان يرسل الأنبياء والمرشدين لمخلوقيه ويرسل لهم هادياً وداعياً اليه لأن كمال البشر هو القرب من مبدئه وعلى المبدأ ان يرسل الداعين والهادين لأجل كمال البشر ، فلو لم يرسل احداً فان ربوبيته لا تظهر او تتضح . .

في حين اننا نرى ان الأنبياء من اولهم وهو آدم (ع) الى خاتم الأنبياء (ص) كلهم مبعوثين من مبدأ واحد وجميع الأنبياء كانوا يدعون للتوحيد « اين رسول الله اليكم من رب العالمين » فقد جاؤوا جميعاً من جهة خالق العالم ، الله الواحد الأحد ، القديم والأزلي فلو كان إله آخر ايضاً وجب ان يرسل انبياء ولما كان جميع الأنبياء قد جاؤوا من جهة واحدة وجميعهم يدعون الى إله واحد ليس له شريك ، فان هذا يدل واقعاً على انه لا شريك له .

لا اثر ولا علامة لوجود الشريك :

« ولرأيت آثار ملكه وسلطانه » فلو كان هناك خالق آخر وجب ان تكون في كل لحظة عوالم اخرى وتكون هناك قدرة وسلطة اخرى ، ويجب ان تشاهد آثار سلطنته .

(١) نهج البلاغة .

« ولعرفت افعاله وصفاته » فلو كان هناك خالق آخر وجب ان تتضح في كل لحظة آثاره من حيث الفعل والصفة في حين ان كل ما نجده نراه مرتبطاً بعضه بالبعض الآخر وكأنه عالم واحد لا أكثر فكل ما هو موجود بمنزلة عمل وتحرك كبير ناتج من الحركات الصغيرة كالمكائن والآلات والأدوات التي تشكل مصنعاً كبيراً .

« ولكنه اله واحد كما وصف نفسه : انما هو إله واحد » . « ولا يضاد في ملكه احد » فكل موجود قد اخذ وجوده منه فلا يمكن ان يكون له ضد » .

« ولا يزول ابداً ولم يزل » فقد كان دائماً وسيبقى كذلك ولا يمكن ان يزول ابداً .

ابتداء ورجوع الكل من الله والى الله :

« أوَّل قبل الأشياء بلا اولية » كل الموجودات صادرة عنه دون ان تكون له اولية لأنه لو قلنا بثبوت اولية الله فيلزم من ذلك الحدوث ، ولذلك فان معنى هو الأول يعني ان جميع الموجودات قد صدرت منه .

وهو الآخر ، فهو المرجع والمنتهى لجميع الموجودات ، فالأول لا يعني انه الحادث الأول وانما هو اول الوجود واول الإيجاد وكل ما وجد فقد اخذ الوجود منه .

« والآخر بعد الأشياء بلا نهاية » .

الثنوية .. ماذا يقولون ؟

وفي مقابل التوحيد الذاتي هناك بعض الأفراد يقولون بتعدد المبدأ وقد اشتهروا باسم (الثنوية) ولعل منهم جماعة في الهند لحد الآن . والسبب في انهم قالوا بتعدد المبدأ هو قولهم اننا نجد في عالم الوجود الخيرات مثل البقر والغنم وكذلك الشرور مثل الحية والعقرب والوحوش فلا يمكن ان يكون مبدأ الخير هو نفسه مبدأ الشر ، اذن فيجب ان يكون للعالم مصدران ومبدآن احدهما مبدأ الخير وهو النور ويزدان بالفارسي ، والآخر مبدأ الشر ويقال له ابليس والظلمة ، وطبيعي ان استدلالهم هذا مطابق لعقلهم الناقص .

لكن الشر المطلق غير موجود في العالم :

والجواب على ذلك هو انكم تقولون ان في العالم شرور لا يمكن ان تصدر من مبدأ الخير في حين اننا لا نجد لدينا في العالم شر مطلق بحيث تكون جميع جهاته شر محض وليس فيه اي خير فكل ما تشاهدون من اشياء فخيرها غالب وشرها بالعرض .

ويضربون لذلك مثلاً بأكثر الحيوانات السمية شراً كالحية والعقرب ويتصورون أنها شر ، فهل ان شرها في نفس خلقتها ؟ فالحية بهذا الجلد اللطيف لماذا تكون شراً ؟ ولو كان ذلك بلحاظ السم فكما يقال من ان سم الحيوانات انما يصير سماً بواسطة جذب سمومات الهواء ثم تصفيته للحصول على السم من الهواء الذي ننتفع به انا وانت للتنفس .

اضافة الى ذلك فان للسموم فوائد ومن جملتها صناعة الأدوية السامة التي يستفاد منها لمعالجة بعض الأمراض ، اذن فمن حيث تصفية الهواء وكذلك العلاج فهي نافعة ، مع ذلك فان ضد السم السم عادة موجود مع نفس الحيوانات السمية فلو اخذنا العقرب واحدثنا في وسطه شقوقاً ووضعناه على الجرح المتأثر بلدغة العقرب فسوف يبطل مفعول السم ، او ان دهنه مثلاً نافع جداً لمكان اللذعة وابطال تأثيرها .

اما لو كان الشخص غافلا ولدغه عقرب وصادف ان مات بعد ذلك فلا يمكن ان يكون ذلك دليلاً على ان العقرب شر وانما هو اثر طبيعي فمثلاً لو ان احداً سقط من اعلى السطح وتكسر يده ورجله او يموت فلا يصح القول بان السطح شر فهذا الأمر اثر طبيعي ووضعي لكل مكان مرتفع .

اذا كان الشخص يسوق السيارة بسرعة دون احتياط فالاثر الوضعي لذلك هو الاصطدام فلا يصح القو بأن السيارة شر ، اذن فأين الشر في هذا الحيوان وفي سمه ؟ فالشر ليس في اصل الخلقة فكل ما يتصور انه شر فهو اشتباه وخطأ . مثلاً عندما يشب حريق في مكان معين فلا يصح ان نقول بأن النار شر ولكن وبسبب بعض الأمور أدّت الى حدوث اضرار بهذا المكان .

فكل موجود ـ سواء فهمت ذلك او لم افهم ـ اما خير محض مثل الملائكة او ان خيره غالب على شره مثل سائر الموجودات المادية اذن فالشبهة الثنوية باطلة من الاساس حيث يقولون يجب ان يكون مبدأ الشرور غير مبدأ الخيرات ، لأنه ليس عندنا شرور حتى تحتاج الى مبدأ خاص .

بل ان كل موجود ما لم يغلب جانب الخير فيه وتكون خيريته اكثر لا يمكن ان يوجد والشر يحصل له بالعرض ايضاً ، ولا يكون الا بإذن الله . نفس اللدغة والموت لها مصالح ايضاً ومقدَّره بالتقدير الالهي ولأجل ذلك ـ وباعتبار ان في الشرور العريضة ايضاً مصالح كامنة وفي الحقيقة هي خير ـ مقدر تنسب هذه الى الله ويقال « يا خالق الخير والشر » فالشر

العارص له مصالح ايضاً سواء أكان مصلحة شخصية او اجتماعية ، والتي ينبغي ان تؤخذ جميعها بنظر الأعتبار .

شهادة العلماء على وحدانية الحق :

هذه الاستدلالات العقلية والفكرية مفيدة وضرورية ايضاً ، جميع العلوم العقلية لازمة ونافعة ، اما لو اراد الانسان ان يستفيد من هذه الاستدلالات للحصول على الإيمان وعلى العلم القلبي ويصبح من اولي العلم فيجب ان يصبح قلبه عالماً بذلك نفس الكلام الذي قلناه في باب المعرفة ، فلكي يكون الأمر مشهوداً بالنسبة اليه ، وان يصدِّق به وان يكون مطمئناً بوحدانيته يجب ان يسعى لازالة حجاب النفس عن عين القلب حتى يشاهد وحدانية الله برؤية القلب .

الله والملائكة واولوا العلم يشهدون على وحدانية الخالق[1] وعندما يشهد بذلك اولو العلم فالمقصود هو هذا العلم وليس العلم الكسبي والاستدلال وانما هو نور في قلب الانسان ، ولو اصبحت هذه العلوم العقلية مقدمة للعلم القلبي فهذا جيد جداً وإلا فانها قليلة النفع ، والتزكية ضرورية ، فقد ذكر في الآية الشريفة :

﴿ يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ .

فالأول هو التزكية وبعد ذلك التعليم ، فلو لم تكن تزكية فلا يصل الى العلم ، فحتى لو كان يعلم الأدلة بصورة جيدة فهو مع ذلك محجوب فمتى يصل الى العلم من غطى الحجاب عينيه . . ومتى يمكنه النظر ؟ أشْهَدُ مأخوذ من الشهود ، يعني انه يرى فالشهود بسبب الرؤية ، ان يفهم وحدانية الحق ومعيته ثم يشهد على ذلك .

اولو العلم ليسوا هم الذين درسوا فقط فكم من الأشخاص الذين تعلموا دروساً كثيرةً ولم يصيروا من (اولو العلم) وكم من الأشخاص الأميين الذين هم من (اولو العلم) ، الذي يضيء في قلب الانسان هو ظهور الحق وهو عنده اوضح من الشمس ، يرى معية وقيومية الله ويشاهد ﴿ هو معكم اينما كنتم ﴾ واقرأ آية من القرآن للاستشهاد على المطلب .

علامة العلم الخوف والرجاء من الله فقط :

﴿ أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة (يخاف من تقصيراته او

(١) شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة ولو لو العلم . آل عمران ١٨ .

تصوراته) ويرجو رحمة ربه (فعنده خوف ورجاء ايضاً) قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾[1] .

يعني ان مثل هذا الشخص الذي تنور قلبه بنور الإيمان تظهر اثاره بهذه الصورة ، اما الشخص الذي انحصر خوفه في الدنيا خوفاً على ارباحه وعنوانه ومقامه ان تقل ، فأمله ورجاؤه منحصر ايضاً بهذا السبب وذاك السبب ، فهذا الشخص جاهل مهما قرأ من العلوم العقلية او قام بتدريسها .

وطبيعي اننا لا ننكر العلوم ، وانما الغرض ان هذه العلوم انما تكون نافعة اذا كانت مقترنة بالتزكية فلو ان دراسة طالب العلم الذي يريد ان يصير مجتهداً كانت مقترنة بالتزكية فسيكون مصداقاً لقوله (ص) :

﴿ علماء امتي افضل من انبياء بني اسرائيل ﴾ . والا فيمكن ان يصبح مثل بلعم باعور .

اللهم انر ابصار قلوبنا بضياء نظرها اليك حتى تخرق ابصار القلوب حجب النور[1] .

(١) سورة ٣٩ الاية ٩ .

(١) المناجات الشعبانية .

الفصل الثالث عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

« أوّل الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به وكمال تصديقه توحيده » .

شرح الصدر وعلاماته :

توحيد الخالق يعني معرفة وحدانيته ، ويجب ان يكون ذلك بالتصديق القلبي . وحقيقة الأذعان والتصديق وادراك القلب هو نور يشرق في قلب الانسان والذي من آثاره السكون والاطمئنان والعشق لله ، وانما تحصل هذه عندما يشرق القلب وبتعبير الرواية يحصل له النور ﴿ العلم نور ﴾ و ﴿ الايمان نور ﴾ حتى انه ذكر في تفسير مجمع البيان وفي تفسير الآية الشريفة :

﴿ فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للإسْلام ﴾ .

رواية عن رسول الله (ص) انه سئل عن شرح الصدر ما هو ؟ فأجاب نور يقذفه الله في قلب المؤمن ، فقيل :

هل لذلك من علامة ؟ فمن اين نفهم حصول هذا النور . . هل أعطينا شرح الصدر ، ام لا :

فقال (ص) : التجافي عن دار الغرور ، والأنابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل حلول الفوت[1] .

فعندما يحصل ذلك النور يفهم بأن غير الله عدم ولا شيء وغير قابل للتعلق والمحبة ،

(١) اصول الكافي .

فكل مرتبة من مراتب الوجود التي يشاهدها ـ إلا الله سبحانه وتعالى ـ يراها محض وكل ما لديها ايضاً هو من الله ، فالله هو منشأ البركات ، لذلك سوف يرتبط بقلبه تماماً مع الله ويقطع نظره مما سوى الله وهو ما ذكر في المناجاة الشعبانية عن امير المؤمنين (ع) التي ورد في الروايات بأن جميع ائمتنا كانوا يقرؤون هذه المناجاة وليس لدينا من الأدعية التي يشترك في قراءتها جميع الأئمة الا القليل ، فقد ذكر هناك :

« الهي هب لي كمال الأنقطاع اليك » .

فالسعادة التامة للانسان انما هي في كون الانسان مرتبطاً بالله فقط لا غير ، ومتوكلاً على الله وأن يكون امله ورجاؤه هو الله فقط ، ورغبته في رضا الله فقط ، فعندما يصل الى هذا الحد يصدق : « كمال التصديق توحيده وكمال توحيده الأخلاص اليه » .

التزكية شرط للاستفادة من العلوم :

المراد بالعلم الذي هو النور نور القلب لا مجرد معرفة ادلة عقلية ، وقد ذكرنا هذا مكرراً ـ فالعلم بالاصطلاحات حتى في علم التوحيد لا يكون نوراً اذا لم يدرك بقلبه ، حتى علم الفقه الذي هو الاستفادة من كلمات اهل البيت (ع) والاحكام الاسلامية ، ويقول السيد بحر العلوم :

فان علم الفقه في العلوم كالقمر البازغ في النجوم

فعلم الفقه انما يكون نوراً فيما اذا كان مقترناً بتهذيب النفس ، وعلم الحديث وتفسير القرآن انما يكون نوراً عندما لا يكون هناك حجاب امام القلب ، فلو اقترن معه حجاب النفس فسوف لا يكون نوراً حينئذ ، والنقص ليس في هذه العلوم ، انما في الاستفادة من نورانيتها المشروطة برفع الحجاب وحينئذ سيكون وارث الانبياء « العلماء ورثة الانبياء » . والخلاصة اذا كان اكتساب العلوم الدينية لغرض شخصي فالعالم بها لا نور له ، اما لو كان لله وللمعرفة بالشريعة والعمل بها وارشاد الآخرين بذلك فانه سيكون نوراً ومنوِّراً ايضاً .

علائم تحصيل العلم لله :

لما كانت النفس بتصوراتها الخاطئة ترى ان اعمالها صحيحة فسوف يؤدي ذلك الى رؤية نفسه إلهاً في جمع الاموال وطلب الرئاسة والمقام ويقول : انني وفي سبيل خدمة الناس او انقاذ الناس وارشاد عباد الله سوف افعل كذا وكذا ، والمفروض ان نتخذ المال والمقام وغيرها على

انها وسيلة الى شيء آخر ، ولا بد من ذكر علائم حتى تنكشف الحقيقة ويعرف نفسه من اصيب بالغرور .

علامة الانسان الذي يطلب المال باعتباره وسيلة وليس هدفاً انه اذا لم يصل الى المال لو تضرر فانه لا يتأثر من ذلك ، او انه لم يصل الى المقام الذي كان يطلبه فسوف لا يهتم لذلك ، ولو انه وصل الى ذلك المال او المقام فانه لا يفرح لذلك ولا يختلف حاله قبل الوصول الى المقام ، فاذا كان حاله كذلك فهو صادق بادعائه بانه يريد المال او المقام من اجل الله او خدمة الناس .

ولكن اذا ازداد حرصه بعد الوصول الى المال واشتد بخله وامساكه وازداد كبرياؤه بالنسبة الى الفقراء ورأى نفسه اعلى منهم ، وقصر في اخلاصه في خدمة الناس وامتلكه الحرص للوصول الى المقام فيجب ان يعلم بانه في معرض الهلاك وعليه ان يعمل بسرعة على اصلاح نفسه .

الايثار علامة لطلب المال في سبيل الله :

من العلامات المهمة لطلب المال في سبيل الله الايثار وتقديم الاخرين على نفسه ، فلو رأى شخصاً اكثر منه احتياجاً للمال الذي اعطاه الله له فسوف يرجحه على نفسه ويعطيه ذلك المال ، او كانت له داران وهناك عائلة تفتقد المسكن فسيعطيها البيت الثاني دون ان يمن عليهم . او انه علم بعد وصوله الى المقام الفلاني بان شخصاً آخر اجدر منه في اداء هذه المسؤولية فسيقوم بتسليمه هذا المقام .

بهذا الترتيب يمكن تمييز الصادق من الكاذب وفي هذا الموقع يمكن للانسان ان يعرف نفسه ، والحقيقة ان هذه المواقع امتحان صعب وقلما يستطيع انسان ان يؤدّي مسؤوليته بصورة كاملة ويكون واقعاً من الذين نجوا من امراض البخل والحسد والكبرياء .

ولاجل توضيح المطلب خصوصاً لاهل العلم اذكر قصة احد العباد الصالحين .

يسلم كرسي التدريس الى اخر :

المرحوم آية الله السيد حسين الترك كان من اكابر علماء ومراجع المذهب وقد توفي في سنة ١٢٩١ في النجف الاشرف بعد ان كان من التلامذة البارزين لشريف العلماء وصاحب الضوابط وصاحب الفصول في كربلاء ثم هاجر الى النجف الاشرف واجتمع حوله الفضلاء واخذ بتدريس البحث الخارج ، وفي احد الايام صادف ان جاء قبل الوقت المعين للتدريس في

مسجد العمران في النجف ، ولم يكن احد من الطلاب قد جاء الى المسجد بعد ، فجلس في زاوية من المسجد وكان في زاوية اخرى شيخ نحيف مشغول بتدريس عدد قليل من الطلاب ، فاصغى السيد الى بحث الشيخ فتعجب من تحقيقاته الجيدة .

وفي اليوم الآخر جاء الى المسجد قبل الوقت المعين متعمداً واخذ يستمع الى تحقيقات الشيخ وبعد ان تكرر ذلك عدة ايام تيقن بأن هذا الشيخ افضل منه وانه يستفيد من دروس هذا الشيخ وبعد ان سأل عنه ظهر ان هذا العلامة الجليل كان الشيخ مرتضى الأنصاري الذي رجع جديداً من سفره الى ايران الذي دام اربع سنوات حيث تتلمذ في ايران عند محضر الحاج ملا مهدي النراقي .

فقال السيد لتلامذته بأن الشيخ الأنصاري افضل مني ودروسه انفع لكم مني وحتى انا ايضاً استفيد من دروسه فمن اليوم سنحضر جميعاً درس الشيخ .

ومنذ ذلك اليوم ازدادت شهرة الشيخ ثم اصبح مرجعاً عاماً بالتدريج ، وكان الشيخ ايضاً يحترم السيد اجلالاً ويرجع اليه في الكثير من الأمور والاحتياطات وبعد وفاة الشيخ في سنة ١٢٨١ وصل الى السيد كرسي التدريس .

اهل العلم يعلمون ان الشخص الذي كان استاذاً وصاحب كرسي للتدريس والمرجعية اذا كان منصفاً وصار بنفسه تلميذاً لمنافسه وكذلك سلم تلامذته اليه وجميع امور الرئاسة كم يكون قوياً وصادقاً في ايمانه وتاركاً اهواءه وتابعاً مرضاة ربه .

فعلى هذا لو لم يكن هوى النفس في البين وكان طلب العلم واقعاً في سبيل الله وخدمة الناس فنفس علم الطب ايضاً يكون سبباً للنور فكيف بعلم الفقه .

الظالمون لانفسهم والمتوسطون والسابقون :

ولأجل توضيح المطلب نكتفي بذكر آية شريفة من القرآن المجيد بضميمة تفسير لها ورد عن الامام (ع) ، والآية الشريفة تقول :

﴿ ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن ربهم ﴾ .

وبتعبير آخر إمّا ان يكون من اصحاب الشمال او اليمين او من السابقين .

وقد ذكر لذلك شروح وتفاسير عديدة واحتمالات متعددة ، والكثير من هذه التفسيرات

ليست مانعة الجمع يعني يمكن ان تكون صحيحة باجمعها

ومحل الشاهد هو رواية وردت في معاني الأخبار عن الامام الصادق في تعيين الظالم والمقتصد والسابق .

الامام (ع) يقول[1] : ان الظالم لنفسه هو الذي يحوم ويتبع شهواته النفسية فمعبوده هو نفسه ، فكلما ارادت نفسه منه شيئاً فسوف يلبي طلبها بأي ثمن كان ، فهو ذليل لرغباته النفسية ، يومكن ان يقوم بأي خيانة للوصول الى ما يريد ، فهو مسلم لكنه ظالم لنفسه ، فالذي يطلب الرئاسة والمنصب سواءاً كان من أهل العلم او من غيرهم يدور دائماً حول هذه الرغبة ، ويكون همه وخضوعه منحصراً بهذه الرغبة النفسية بدلا من ان يكون لله ، مثلاً ان يكون همه الحصول على قصر او ان تكون لديه سيارة من آخر موديل .

وطبعاً نحن لا ننكر البيت ووسائل الحياة وكذلك لا نعترض على التصدي للمناصب والمقامات الحكومية التي هي واجب كفائي وانما نقول لا ينبغي ان يكون غير الله هدفاً اصلياً وهذه الأمور يجب ان تكون وسيلة فقط لا أنها هدف ومقصد .

فلو ان نفسك ارادت كرسي الرئاسة فلا تقبل ، ولكن اذا طلبوا منك ذلك وقالوا بأنك لائق لتولي الرئاسة فاقبل من أجل اصلاح امر المسلمين وتحمل الصعوبات في ذلك ، ولو انهم اجتمعوا على مجتهد وطلبوا منه اصدار رسالة في الأحكام لكي يمكنهم ان يقلدوه فمن الجيد ان يقبل ، اما اذا كانت نفسه تريد المرجعية فلا ينبغي ان يقدم على ذلك ولا ينبغي ان يقدم نفسه وإلا فسيكون ذلك من عبادة النفس .

مرجعية شيخ العلماء والشيخ الأنصاري :

ذكروا ان فضلاء وعلماء حوزة النجف جاؤوا بعد وفاة المرحوم الحاج ميرزا حسين شيخ العلماء الى المرحوم الميرز الشيرازي (محمد تقي الشيرازي) وقالوا له : ان المرحوم ميراز حسين قد فارق الحياة والجميع متفقون على اعلميتكم فاسمحوا لنا بنشر رسالتكم .

فقال : عجيب ! هل وصل قحط الرجال الى هذا الحد حتى قيل بأعلميتي ؟ ! ولكن لو اقتضت الضرورة ذلك مثل اكل لحم الميتة فلا مانع من توزيع رسالتي العملية .

(١) الظالم يحول حول نفسه والمقتصد من يحوم حول قلبه والسابق بالخيرات من يحوم حول ربه « اصول الكافي » .

وكذلك لما توفي صاحب الجواهر اجتمع كبار علماء النجف حول الشيخ مرتضى الأنصاري وقالوا له بأنك اعلم الجميع يقيناً ولائق لتصدي المرجعية فاسمح لنا بنشر رسالتك .

فقال : عندما كنا في سنوات الدراسة كان لي صاحب في ذلك الوقت وهو سعيد العلماء المازندراني وكان اعلم مني وأكثر سعياً في طلب العلم فاذهبوا اليه واطلبوا منه ذلك .

فقالوا : انه في مازندران والطريق بعيدة .

فقال : هو ما قلته لكم ، فهو مقدم عليّ وليس صحيحاً ان اصدر رسالة مع وجوده .

فاضطروا للذهاب الى سعيد العلماء إلا انه قال لهم بأن ما قاله سماحة الشيخ صحيح فعندما كنا في النجف زملاء في الدراسة كنت متقدماً عليه ولكن عندما رجعت الى ايران تركت طلب العلم وتقدم هو عليّ ، والحق للشيخ .

فرجعوا وقالوا ذلك للشيخ الأنصاري فقال : اذا كان سماحته قد قال ذلك فلا مانع لدي .

اردت ان اقول انني لا اعترض على اصدار الرسالة ولكن اعترض على الرسالة التي كون الغرض منها هو التقدم على الآخرين ، ينبغي على العالم ان لا يطلب المرجعية فلو أن نفسه ارادت المرجعية فهو ظالم لنفسه ولكن لو اراد الله له ذلك وهيأ له أسباب ذلك فإنه يستطيع الأنتفاع بذلك لآخرته .

وكذلك المقامات والمناصب الحكومية مثل رئاسة الجمهورية ورئاسة الوزراء والوزراء والوكلاء والرؤساء والمدراء وأي منصب كان ، يجب الا يذهب الانسان وراء رغباته النفسية ، ولكن لو تهيأ له ذلك لأصلاح امر المسلمين يجب القبول ، فالذي يوجب كونه « ظالم لنفسه » هو السير وراء رغباته النفسية واتباعها وبتعبير احد أهل العلم يقول : لا تقدموا انفسكم ولكن لو قدموكم فلا تتصنعوا وترفضوا .

احسن الأعمال يقع باطلا اذا حام حول النفس ، وهذا الأمر دقيق جداً بحيث يشتبه على نفس الشخص حيث تكبر نفسه وتتأله وتدفعه لارتكاب اعمال وهو لا يشعر بذلك .

وما دام « ظالماً لنفسه » فهو محروم من العوالم القلبية ، من ايمان وشرح صدر وتصديق قلبي ، ومحروم من النفس المطمئنة والسكينة والكمالات الأنسانية ومن كل ما يجعله من أولي العلم فما زال في عالم النفس فسوف لا ينتفع من كل ذلك .

اما المقتصد فهو الذي « يحوم حول قلبه » وقد فهم حجاب نفسه ويفكر في تزكيتها ، وعلم ان حجاب النفس هو المانع لاضاءة القلب بالنور فهو يسعى للمجاهدة والتهذيب ، فهذا الذي تجاوز مرحلة الخطر وهو يسعى للوصول الى العلم لا بد وان يكون حذراً ولا يغذي نفسه ولا يطيعها بحيث يزداد حجاب قلبه ويكون اكثر ظلاماً .

ويقول امير المؤمنين (ع) في نهج البلاغة :

المؤمن هو ذلك الذي يطلب تزكية نفسه فهو يسيء الظن بنفسه ليل نهار ويحاذر دائماً ان يغره شيطان النفس ويجعله يرى الحسن في نفسه ، لذلك فهو سيء الظن بنفسه فكلما يعمل من عمل يحاسب نفسه على ذلك كي لا يصيب نيته الخلل ودائماً يكون ضارياً على نفسه وقاسياً عليها يجاهدها ويزيد في جهادها[1] .

(١) ان المؤمن يصبح ويمسي ونفسه ظنون عنده فلا يزال ضارباً عليها ومستزيداً لها نهج البلاغة .

الفصل الرابع عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الوجود المطلق غير قابل للتعدد :

التوحيد الذاتي من البديهيات العقلية بحيث يتضح هذا المعنى بمجرد التوجه والالتفات . ففي عالم الوجود كل ما هو موجود فقد وجد ، يعني انه لم يكن ثم كان ، فوجوده غير ذاتي وغير مستقل وبتعبير آخر ان الوجود عرض عليه فظهر وتحقق ، اذن فذلك الوجود الذي فيه هو وتر من اوتار دائرة ذلك الوجود الذي وجوده عين ذاته ، فيجب ان ترجع هذه الوجودات الى وجود واحد الذي هو عين الوجود والذي هو ازلي وأبدي وقائم بالذات .

ومعنى ان واجب الوجود لا شريك له هو أن كل شيء في مقابل صرف الوجود المطلق يسمى موجوداً وليس وجوداً فالوجود قد عرض على كل شيء وطبعاً ليس هو العرض الأصطلاحي وانما المقصود هو انه قد تحقق أي ان الوجود هو الذي جعله يكون ويتحقق .

فعلى ذلك لا يمكن أن يكون هناك وجودان مطلقان من جميع الجهات فصرف الوجود وحقيقته غير قابلة للتعدد . اذن فالذي في عالم الوجود هو الله وآثار الله . . هناك واجب الوجود وتجلياته وظهوراته ولا يمكن تحقق اي موجود إلا بأن يكون متقوماً بذلك الوجود .

لا نظير لمعية الله للموجودات :

« مع كل شيء لا بمقارنة »[1] يعني ليس هناك انضمام وجود الى موجود بحيث يكون هناك وجودان وجود لله ووجود لذلك الشيء .

« وغير كل شيء لا بمزايلة » الله غير الموجودات لكن لا يعني انه منزوع عنها بحيث

(١) نهج البلاغة صبحي الصالح ص ٤٠ .

يكون للموجودات وجود آخر .

ولأجل تقريب هذا المطلب المهم والعميق الى حد يكون قابلا للفهم يمكن تشبيهه من بعض الوجوه باحاطة النفس بالبدن ، وطبعاً فالمطلب اعلى من هذا الكلام ولكنه مجرد تشبيه وتقريب للأذهان وإلاّ فمعية الله للموجودات ليست مثل معية الروح للبدن من جميع الجهات ، وانما اذا اردنا ان نجد لذلك مثالاً وتشبيهاً مع انه « ليس كمثله شيء » فلا يمكن ان نجد احسن من هذا المثال ولا يعني أن واقع المطلب هو كذلك .

معية الروح للبدن تشبيه جيد :

فكما ان الروح محيطة بتمام البدن من الدماغ حتى اصابع القدم وفي نفس الوقت « داخل لا كدخول شيء في شيء » فهل ان الروح داخلة في البدن ؟ يمكن ان يقال من جهة نعم ، لأن خلايا الجسم لها روح واحساس وتقوم بفعاليات مختلفة ولكن دخول هذه الروح في هذا القالب ليس كدخول بقية الاشياء في الأشياء الخارجية بل ويمكن القول بأن الروح خارج البدن « خارج لا كخروج شيء عن شيء » ليس مثل خروج بقية الأشياء عن الأخرى ، وانما الروح مع البدن ومحيطة بالبدن بجميع اجزائه ولها علم به وتصدر اليه الأوامر وتعمل ، فلو ان شوكة اصابت القدم فستدرك ذلك فوراً .

ومن شؤون النفس انها تقوم بعدة اعمال في وقت واحد دون ان يزاحمها عمل عن عمل آخر ، فمثلاً جهاز الهضم مع كل هذا الطول والتعقيد لا يتنافى مع جهاز التنفس في نفس الوقت الذي تعمل فيه القوة الحافظة وكذلك القوة العقلية والأذن والعين كل واحد مشغول بعمله ، ففي الوقت الذي اسمع فيه وانظر لو كان هناك عطر لقمت باستشمامه . وكذلك حاسة اللمس التي تقوم بوظائفها بتلك الصورة . فهو من جهة مظهر اسم « يا من لا يشغله شأن عن شأن » فعندما يلتفت الأنسان الى نفسه حيث يقوم بكل هذه الأفعال مع أنه مخلوق وعاجز ومحدود فكيف الأمر بالنسبة الى الله الخالق القادر العالم المحيط ؟

. وفي نهج البلاغة انه (ع) سئل : كيف يحاسب الله الخلق على كثرتهم ؟ فقال : كما يرزقهم على كثرتهم ، قيل : فكيف يحاسبهم ولا يرونه ؟ قال : يرزقهم ولا يرونه[1] .

من احاطة النفس نفهم احاطة الرب :

ولأن فهمنا قاصر فبالامثال يمكننا الأقتراب من ادراك المطلب « من عرف نفسه فقد

(١) البحار ج ٧ ص ٢٧١ الحديث ٢٧ .

عرف ربه » فلو ادرك الأنسان احاطة النفس بالشكل الذي ذكرناه فيمكنه ان يدرك احاطة الرب ايضاً . فالعاقل يرى نفسه مديرة ومدبرة ، وهي التي تقوم بتدبير امور البدن فلو تعرض للخطر فستقوم النفس بأمر الدفاع والمعالجة بعد ذلك .

كل هذه نماذج صغيرة من أجل ان نفهم معية وقيومية الله سبحانه وتعالى الذي ليس له مكان ولا تجعله البينونة منعزلاً عن الأشياء ، وانما هو « الحي القيوم » وحياة وثبات كل موجود متقومة بوجوده هو .

لا يوجد استقلال لأي موجود في عالم الوجود ، فليس هو الذي اوجد نفسه او انه بنفسه الذي وقف على قدميه او انه « في نفسه ولنفسه ومن نفسه » . فكل موجود مخلوق ومربوب وعاجز ويرجع الكل الى وجود واحد الذي يكون وجوده عين ذاته وهو ازلي وابدي .

المطلوب هو انسان عارف باحث في الآيات :

هذا المعنى يدركه العقل بوضوح لكن المطلوب هو الانسان الذي يريد أن يفهم وبتعبير آخر ان الدلالات والشواهد على الوجود كثيرة وأن هذه ليست إلا آثاراً غير مستقلة بذاتها عند ذلك الأنسان الذي يريد ان يفهم واقعاً وحدانية الله ، ولكن الأمر المؤسف هو « وكأين من آية في السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون » لا يريدون ان يتعرفوا على الله وان يتعرفوا على صاحب هذه الآيات وهذا العالم وإلا فأن الدلائل في السماوات والأرض كثيرة ، الآيات التي في الآفاق يعني في الخارج والآيات التي في النفوس البشرية فلو كان عارفاً فسوف يفهم بأن الله حق وأن الوجود الحقيقي هو لله وغيره ليس الأشعاع له ، وان كل ما في عالم الحوادث هو من علاماته .

رمال الصحراء ، وعجز صدام آية الحق :

وقد سمعنا نماذج لهذه الحوادث ، ففشل المؤامرة الأميركية في طبس بأي ظاهري يمكن ان ننسبها ؟ فالدولة الاستكبارية الكبرى تهجم مع كل تلك التجهيزات والمدة الطويلة من التمرينات ولكن عاصفة الرمل تصنع معها ما صنعته ابابيل باصحاب الفيل ، فهذه الحادثة التي وقعت لشعبنا الا ينبغي ان تكشف « انه الحق » ؟ فالقدرة الالهية الغيبية هي الفاعلة لا غير ، وكل ما نصنعه الاسباب والوسائل فبمشيئته وارادته .

او الحرب المفروضة مع العراق والتي كان مقدراً لها ان تصل الى اهدافها خلال اسبوع واحد ، والاسباب الظاهرية كانت مساعدة لذلك حسب الظاهر ، وقد كانوا مطمئنين الى

ذلك مائة بالمائة وإلا لم يقدموا على مثل هذا العمل ، ولكن مضى ما يقارب سنة واحدة ولم يحققوا شيئاً مما ارادوا مع أن جميع القوى والدول المجاورة تعمل على مساعدة صدام الكافر ، وفي هذا الطرف لا يوجد بحسب الظاهر اي معين ، اما عند المجاهدين في جبهة القتال فمن المسلمات اليقينية ان هناك قوة غيبية تقدم المساعدة لجيش الاسلام وهي نفس القدرة التي نصرت الشعب الايراني بأيد خالية على النظام البهلوي .

تحول النفوس بالأخص عند الشباب اية الهية :

التحول الذي حصل في نفوس افراد هذا الشعب وعلى الأخص الشباب هو من آيات الله العظيمة واقعاً . هذا التحول الذي لم يكن موجوداً قبل هذا الزمان عند كبار السن من الناس قد حصل الآن عند شباب العشرين عاماً بل والأقل من ذلك عمراً ، فالشاب الذي لديه كل مقتضيات الشهوة بشكل وآخر نراه يتجاوز كل هذه الشهوات ويطلب الشهادة في جبهات القتال ويستقبل المدافع والقنابل .

فلو ان احداً اراد ان يفهم ويتدبر في السبب الذي صنع هذا التحول ، ماذا حدث حتى يصبح هؤلاء فدائيين للامام ؟ الحقيقة ان هذا التحول في النفوس والتوجه الى الامام هو من جهة الهية وذلك لأن فطرتهم طاهرة ونظيفة والامام مرجع وقائد ديني ، فلا يمكن ان يكون لهذا التحول سبب غير ارادة الله ، ولا يمكن تصور سبب آخر لذلك فمهما تفكرون لا تجدون لذلك سبباً سوى ارادة ولطف الله .

ينبغي الدقة اكثر في هذه الآية الشريفة من آخر سورة فصلت حيث تشير الى آيات الأفاق والنفس .

﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ﴾ .

فسخ العزائم طريق معرفة الله :

وكل نفس لها تحولات في حد ذاتها ، ومن مراتب ذلك التحول ما اشار اليه الأمام امير المؤمنين (ع) حيث يقول :

« عرفت الله بفسخ العزائم ونقض الهمم »[1] فعندما تزول ارادة معينة في النفس فإن لذلك سبباً حتماً ، ففي بعض الأحيان يحصل التحول في الإرادة بدون اي سبب .

(١) نهج البلاغة صبحي الصالح ص ٥١١ من الكلمات القصار .

الشخص الذي يكون في مقام التزكية ستكون عنده آيات الأنفس في المراتب العليا اعظم واجمل . فالتحولات الحاصلة في النفس تفهمه دائماً بأنها دلائل وشواهد على الاحاطة العلمية والقدرتية للحق و « حضوره مع كل شيء » فالله موجود مع كل نفس وحاضر مع كل موجود وهو المربي والرب والمدير والمدبر .

اذا اصبح الأنسان عارفاً بالآيات ﴿ يتبين له انه الحق ﴾ ، وفقنا الله لكي نكون في مقام تحصيل المعرفة ونكون عارفين بالله .

الفصل الخامس عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

متى غبت حتى تحتاج الى دليل :

الاستدلال على التوحيد سهل ، ولكن ذلك لا يكفي بل يجب ان يصل الى مرحلة الشهود بحيث يصدق بدون اي شك وريب وبدون أي وسوسة بأن الوجود المستقل والواجب الذي هو المنشأ لكل الآثار والموجودات هو الله فقط ، ومكان هذه المرتبة من العلم هو قلب الأنسان بحيث يحصل له الشهود ويدرك واقع الأمر ويكون له شهود قبلي بذلك .

وقد ذكرنا في باب المعرفة بأنه يجب ازالة الحجاب عن القلب وهو حجاب الذاتية والأنانية ، فما دام يرى نفسه موجوداً مستقلاً ويرى لنفسه ما يليق بالله فقط وهو الاستقلال فمن المحال ان يجد الوجود المطلق مهما عرف من ادلة التوحيد ، فالذي « حام حول نفسه » متى يمكنه ان يصل الى الشهود ؟ تزكية النفس تعني ان لا يعبد النفس لكي يرى الحقيقة بالتدريج ، عند ذلك لا يكون ناظراً الى نفسه وانما الى الله ، ويفهم ان (أنا) كان امراً وهمياً ، ويجب ان يزول هذا الوهم ، فالمجاهدات والرياضات انما هي من أجل ازالة هذا التوهم ، فبعد ان يزول هذا الوهم ويفهم ان (أنا) امراً ذهنياً لا أكثر ، وان وجوده وجميع مراتب الوجود ترجع الى الله ، عندئذ يضيء قلبه ويصير منشأ للآثار ، وهذا بالنسبة الينا لفظ ونرجو ان يصبح حقيقة ، فنحن نقرأ في دعاء عرفة لسيد الشهداء (ع) :

« ألغيرك من الظهور ما ليس لك؟ متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك ؟ » .

هل رأيتم موجوداً يكون ظهوره من ذاته ؟ طبعاً لا ، لأن وجوده ليس له . . متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك ؟

اذا فهمت بأن اللذة هي ترك اللذة ..

وهذه المرتبة من الشهود لا تكون الا بأن يكون قلب الانسان عارفاً ولا يصبح القلب عارفاً الا اذا زال الحجاب الأعظم ، وكلما اصبح الحجاب دقيقاً اكثر كلما اقترب الانسان من المطلوب . ولعلكم جربتم أنكم عندما تخالفون انفسكم وتسحقون على اهوائكم تجدون حالة من الارتياح والسرور عندكم طبعاً بذلك المقدار ايضاً .

وقد وردت هذه الحقيقة في الرواية الواردة في مورد النظر الى الأجنبية اذ يقول الامام الصادق (ع) :

« ما اعتصم احد بمثل ما اعتصم بغض البصر ، فان البصر لا يغض عن محارم الله إلا وقد سبق الى قلبه مشاهدة العصمة والجلال »[1] .

فكل مخالفة للنفس توجب ادراك لذة الايمان والوصول الى مرتبة من مراتب الشهود بنفس ذلك المقدار ، وهو كذلك واقعاً ، وهكذا نجد ان الانسان عندما يكظم غيظه سينشرح صدره في نفس الوقت وتحصل عنده حالة من السرور والإرتياح ، والخلاصة ان كل من يريد التقرب الى الله وفهم معية الله وقيوميته فطريق ذلك يكون في ترك النفس فما دام يتبع النفس فهو مستمر في الابتعاد .

وهذه المطالب نجدها من خلال التجربة ، ويمكن لكل احد ان يجرب ذلك ، فمع كف النفس يضعف الحجاب بشرط الا يتغذى بعد ذلك ، وهكذا يقترب من الحقائق الى ان يصل الى حد يدرك فيه بوضوح وبكل سهولة معنى « هو معكم اينما كنتم » و « ما يكون من نجوى ثلثةٍ الا وهو رابعهم . . » و . .

معية القيومية هي نفسها الرحمة الرحمانية :

معية القيومية الالهية مع كل شيء غير معية الرحمة الرحيمية التي تكون مختصة ببعض الطوائف نظير : ﴿ **ان الله مع الصابرين** ﴾ و ﴿ **ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** ﴾ .

اما الرحمة الرحمانية فهي بنفسها معية القيومية التي تكون مع كل موجود سواء كان مسلماً

(١) سفينة البحار المجلد ٢ ص ٢٩٦

او كافراً . . فاسقاً او عادلاً . وكذلك مع جميع الحيوانات والنباتات والجمادات وهي التي يكون بها قوام كل موجود ولله سبحانه وتعالى ألطاف خاصة تشمل بعض الطوائف . فالنصر الذي يكون للمؤمنين وحفظهم ومساعدتهم ، وكذلك النصر لمن ينصر دين الله هو بمعنى المعية والرحمة الرحيمية التي هي رحمة خاصة وكذلك نجد أن التقرب الى الحق هو من نصيب الشخص المتقي .

منتهى اقتراب العبد يكون ببركة النوافل .

من الواضح ان قرب المنزلة والدرجة والتي يقال في العبادات انها قربة الى الله تعالى ليس هو القرب بحسب المكان والزمان كما هو واضح ، والقرب بحسب المنزلة له درجات ومراتب ايضاً الى ان يصل الى مرتبة قرب خاتم الأنبياء (ص) والخواص من اتباعه وهو ما ورد بيانه في الرواية الشريفة :

« ولا يزال العبد يتقرب اليّ بالنوافل حتى كنت سمعه الذي به يسمع وبصره الذي به يبصر ويده التي بها يبطش »[1] .

هذه الأمور يصعب على الأفراد العاديين حتى تصورها ، فهي امور تقال ولا تدرك ، فلو ان احداً سار في طريق التزكية وازالة الحجاب لوصل الى حد « حام حول ربه » فهو يتجاوز التزكية وازالة الحجاب ايضاً ويدور حول ربه ويكون « سابق الى الخيرات » .

نرجو من الله التوفيق لطلب هذه المقامات ، فاذا كان الشخص طالباً لهذه المقامات واقعاً فإن الله سبحانه وتعالى لا يحرمه منها ، وعلامة الطلب هو اتباع هذه المطالب لأن الله سبحانه وتعالى قد وعد بقوله ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾[1] .

وقد وردت البشارة بذلك في الرواية الشريفة : « الذي عنده حب الأخلاص . . . »[2] .

فهو لم يقل : الذي أخلص ، وانما قال : الذي يحب الإخلاص ، وطبعاً « من جدَّ وجد » ولو قرعت بابا سمعت جواباً ، اعاننا الله على كف نفوسنا والإنتفاع بعالم الشهود .

(١) مستدرك الوسائل ج ١ ص ١٧٧ .

(١) سورة ٢٩ آية ٦٩ .

(٢) عن الصادق (ع) عن النبي (ص) : قال الله تعالى لا اطلع على قلب عبد فاعلم فيه حب الاخلاص لطاعتي ولوجهي وابتغاء مرضاتي الا توليت تقويمه وسياسته . اسرار الصلاة للشهيد الثاني صفحة ١٣٣

الفصل السادس عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع الصفات ترجع الى العلم والقدرة :

ذكرنا عدة أُمور في باب التوحيد الذاتي ، اما التوحيد الصفاتي فهو يعني اولا ان يعلم الانسان بأن صفات الله عين ذاته وليست زائدة على الذات ، فيجب عليه ان يعرف المنعم عليه ويلتفت الى أن جميع الصفات الالهية ترجع الى صفتين وهما العلم والقدرة وهي الصفات الثبوتية كالعالم والقادر والحي والمريد والمدرك . .

السميع والبصير والمتكلم والصادق وسائر الأسماء والصفات المذكورة في القرآن المجيد والأدعية . . كلها ترجع الى العلم والقدرة .

فمثلاً السميع يعني ان له العلم بالمسموعات ، والبصير يعني ان له العلم بالمبصرات ، فالسميع والبصير تعني العالم .

والعلم والقدرة ليست زائدة على الذات فليس هنا شيئان ، وفي البداية علينا ان نتصور الإثنينية في انفسنا ، فكل واحد منا له ذات وعلم وله ذات وقدرة ، فالعلم والقدرة اضافة الى انها ليست عين ذاتنا فنحن وهي امران .

كذلك هي ليست ذاتية بالنسبة لنا بل انها عارضة على ذاتنا ، فقبلاً لم نكن عالمين ثم اصبحنا ، ولم نكن قادرين ثم صرنا ، وبعد ذلك نحصل على القدرة ، او نحصل على العلم ، وأما عند الله سبحانه وتعالى فلا توجد هناك ذات منفصلة عن العلم ثم يعرض عليها العلم .

فهي ذات بسيطة وصرف وجودية حيث تصدر عنها جميع الأمور ، فجميع القدرات والعلوم صادرة منه ، يجب فهم هذا المعنى بنور العقل ، فعندما يقولون في الصفات السلبية

انها عديمة المعنى فهو ما ذكرنا يعني ليس لله صفات زائدة على ذاته لأن الصفات لو كانت عارضة وزائدة على ذاته للزم من ذلك التعدد والتركيب . ولو افترضنا ان هذه الصفات قديمة ومستقلة لزم تعدد القديم ويترتب على ذلك اشكالات متعددة .

فكما ان الوجود الواجب هو الذي يكون وجوده واجباً فكذلك تكون صفاته واجبة ايضاً دون ان تكون الصفة والذات شيئين ، وعندما يقول في نهج البلاغة :

« وكمال توحيده نفي الصفات عنه » فهي الصفات العارضة التي يجب نفيها عن الله تعالى ، فليس هناك صفة وموصوف بحسب التحقيق وانما هو وجود بسيط وهو عين القدرة والعلم .

الله تعالى لا نظير له في الصفات :

ويجب ان نفهم في مورد الصفات ايضاً بأن الله تعالى كما انه لا شريك له من حيث الذات فكذلك هو من حيث الصفات ليس له شريك ايضاً .

العلم والقدرة هي صفات الله (والتعبير بالصفة من باب ضيق العبارة ايضاً وإلا فكما اشارنا الى ذلك فليس هناك صفة وموصوف ولا شيء سوى ذات بسيطة بحتة) وعلم الله وقدرة الله ليس لها شريك فكما ان وجود كل موجود ليس من ذاته فكذلك العلم والقدره التي لديه ليست من ذاته أيضاً .

فكما اننا نرى ان وجود كل موجود هو من الله فكذلك يجب ان نعلم بأن علمه وقدرته ايضاً من الله ، فلا يمكن ان يكون الفرع اكثر من الأصل ، ففي الوقت الذي لا يكون فيه وجوده من ذاته ، فصفاته ليست من ذاته بطريق اولي .

يجب ان يكون الانسان الموحد مطمئناً الى ان كل ما في العالم من قدرة فهي من الله ، وبعبارة اخرى ان يفهم الجملة المباركة « لا حول ولا قوة إلا بالله » فـ (لا) هنا لنفي الجنس والحقيقة ، فلا يوجد اي حول وقوة سوى حول وقوة الله .

لماذا كانت الحوقلة مفتاح الجنة :

ورد في الرواية الشريفة بأن « كلمة لا حول ولا قوة إلا بالله ـ مفتاح الجنة » فمعنى ذلك أن الشخص اذا عرف توحيد الصفات وعلم بأن كل قدرة انما هي قدرة الله ، فإن ابواب الجنة مفتوحة أمامه ،فالذي عرف « ان يَمْسَسْكَ الله بضر فلا كاشف له إلا هو وأن يردك بخير فلا راد

لفضله إلا هو »[1] . فإنه قد وصل الى مقام الرضا ، وسوف يفهم بأنه لا قدرة لأي موجود بالاستقلال ، وكلما يراه من ظهور للقدرة فهو موقوف بإذن الله ومشيئته ، فلو أراد الله فان هذه القدرة التي عند هذا الموجود سوف تعمل وإلا فسوف تبطل ، فكل الأمور بيد الله وسوف لا يخاف من أي مخلوق بعد ذلك ، فإن كان عنده خوف فإنما هو من ذنوبه ومخالفته أمْرَ ربه . . خوفه من أنْ يسقط من نظر لطف الله ويكون مورد سخطه .

إذن فالذي تتحقق عنده الحوقلة (كلمة لا حول ولا قوة إلا بالله) ويحصل له شهود بهذا المعنى واقعاً فإن توكله يكون على الله حتماً « وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين » فلو ان التوكل كان شهوداً لكم وأن كل قدرة وعزة فهي لله وبيد الله فلا حاجة لكم بمخلوق بعد ذلك .

الاعتماد على غير الله مرتبة من النفاق :

ورد في الآية الشريفة :

﴿ بشِّر المنافقين بأنَّ لهم عذاباً أليماً ، الَّذين يتَّخذون الكافرين أولياءَ من دُون المؤمنين يبتغون عندهم العِزَّة فإنَّ العِزَّة لله جميعاً ﴾[1] .

فلو ان شخصاً اعتمد على قدرة الكفر فهو منافق ، وليس بمسلم ولا مؤمن ، يتصور ان لأمريكا او لروسيا قدرة ويمكنها ان توصله الى ما يريد ، فكل من كان توكله على الكفر فهو مقطوع من الاسلام وهو من علامات النفاق ، حيث ان له لسانين وقلبين ، ولا يطابق لسانه قلبه ، فلسانه يقول لا إله إلا الله ، توكلت على الله ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، اما قلبه فيقول توكلت على امريكا .

أجل . . فكل من كان اعتماده على غير الله وكان أمَلُهُ بأن يقوم الشخص الفلاني بقضاء حاجته فهو في حالة النفاق . . محجوب ومشرك بالله ، وطبعاً هو في مرحلة معينة من الشرك حيث يرى ان المخلوق قادر بغير الله وكاشف للضر .

وقد ورد في الحديث الشريف في بحار الأنوار في باب الشرك حيث يضرب الامام (ع) مثالاً وهو قول البعض « لولا فلان لهلكت » وان هذا شرك ، فقال الراوي اذن ماذا يقول ، فقال : يقول « لولا أن من الله عليّ بفلان لهلكت » .

(١) سورة ٦ الاية ١٧ .

(١) سورة النساء الاية ١٣٨ و ١٣٩ .

فالويل لمن يرى ان الطبيب والدواء هو الذي يعطي الشفاء ويغفل عن الشافي يجب ان يعلم بأن القدرة والعلم منحصرة بالله فقط ان يفهم ذلك بنور العقل ويصدقه بنور القلب . ان يتأمل بنور العقل في كل موجود يرى ان له قدرة ويتساءل : من أين له هذه القدرة ، وبأي مقدار ؟ فهل ان قدرة يده او علمه وفهمه نابعة من نفسه ام انه اكتسبها من غيره ؟ بعد ذلك تعلم يقيناً ان كل فرد محتاج من رأسه الى قدمه ، فوجوده يجب ان يفاض عليه لحظة بلحظة ، ويجب ان تعطى له القدرة باستمرار وفي كل لحظة ، يجب ان تعطى القدرة الى اليد لحظة بلحظة .

بامكان الانسان ان يدرك حقيقة كل موجود بنور العقل ، فهو تلك النطفة الضعيفة في البداية والآن ما زال كذلك في الحقيقة ولو لم يرد الله فمع امتلاكه للقدرة التي اعطاها الله له إلا أنه لا يستطيع عمل اي شيء .

صناعة الصانعين منه أيضا :

عندما يتوجه الشخص الى انسان قادر لكي يحل مشكلته يجب عليه ان لا يكون مشركاً ، بل يجب ان يعلم بأن ذلك الانسان لا يمكنه فعل اي شيء بدون ارادة الله .

هل يمكن لأي احد ان يؤخر موته لحظة واحدة ؟ . اذن فكل ما نجده من العلم والقدرة فهو من الله ، نفس ذلك العلم الكسبي منه ايضاً فكل ما يصنعه الانسان فهو من الله ايضاً ، لأنه من هو الصانع ؟

هل ان الانسان هو الذي صنع لحمه وجلده . . ام انه هو الذي صنع تفكيره ؟ وهكذا الأمر بالنسبة الى الحافظة التي اتعب نفسه على جمع كل هذه المعلومات فيها ولمدة طويلة ويريد ان يعمل بها ويصنع هذا الشيء بواسطتها ، فلو ان الله تعالى لم يعط الدوام لحافظته لما تمكن ان يعمل شيئاً .

وبشكل عام فإنَّ جميع الأمور ترجع الى الله[1] لذلك ينقل عن مولانا امير المؤمنين (ع) انه قال :

« ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله وبعده ومعه » .

فكل ما يرى من قدرة لدى اي موجود كان يراها من قدرة الله .

من الذي اعطى العلم لهذا البشر بحيث يمكنه ان يحسب حركات الأجرام

(١) ﴿ الا الى الله تصير الامور ﴾ (سورة ٤٢ آية ٥٣) .

على بعد آلاف الملايين من الفراسخ ، ومن اعطاه هذا الأدراك وهذا الفهم ؟ من الذي اعطاه الحافظة حتى يمكنه الاحتفاظ بالمعلومات ومن الذي اوجد هذه الكهرباء وجعلها في متناول البشر ؟ الاكتشافات التي يقوم بها الانسان انما هي بواسطة العلم والقدرة التي اعطاها الله له وإلا فكما ذكرنا ليس هو إلا تلك النطفة وذلك التراب العاجز .

يجب متابعة التوحيد الصفاتي بعد التزكية وازالة الحاجب حتى يحصل على معنى « لا حول ولا قوة إلا بالله » الذي هو مفتاح الجنة ، ويكون الانسان موحداً واقعاً ويحصل بذلك على الرضا القلبي فهو سعيد بالله ومنقطع عما سوى الله ، فلا يهمه بعد الآن الفقر والمصائب ولا الماضي او المستقبل فالخوف والحزن ليس لأولياء الله لأنه قد انكشفت عندهم الحقيقة ، فعلموا بأنه « هو الغني » فالغني المطلق هو الله وكل من اعطاه الله الغني ، « و العزيز » المطلق هو الله ومن اعطى الله له العزة وهم المؤمنون ، اما المنافق فهو الذي يرى العزة في غير الله ويتصور ان بامكان المخلوق عمل شيء (كما يستفاد ذلك من آيات سورة المنافقين) .

يزداد ايمانهم بدلا من الخوف :

بعد ذلك لا يهم الموحد اي شيء . تأملوا في الآية الشريفة : ﴿ الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾ سورة آل عمران ٣ الآية ١٧٣ .

فمثلاً في زماننا اخذوا يشيعون الخوف بأن امريكا سوف تشن هجوماً عسكرياً ، او انها ستقوم بالمحاصرة الأقتصادية بمساعدة الدول الحليفة لها ، وتجعل ايران في عزلة ، او كما قال ذلك الجاهل بأننا وصلنا الى طريق مسدود . فقد اخذوا يخوفون المؤمنين ، ولكن السائرين على نهج الامام لم يخافوا وقالوا حسبنا الله . . القدرة هي قدرة الله ، فما نراه بأيديهم هو عارية وملك لله حتى يكون ما أراد الله ، فهو يستطيع ان يؤثر بمقدار ما اذن به الحق وسمحت به مشيئته .

وفي الآية التي بعدها يذكر سبحانه وتعالى نتيجة ذلك التوحيد والتوكل فيقول :

﴿ فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يَمْسَسْهُمْ سوءٌ ﴾ .

كما هو الحال في الشعب المسلم والشريف في ايران الذي صمد ببركة الامام الخميني أمام التحريم الاقتصادي والهجوم العسكري في طبس وكذلك خرج من هذه الحرب المفروضة

من قبل العراق مرفوع الرأس .

إلهي كن انت المعين لنا كي نعلم ونرى أنَّ القدرة هي قدرتك . . العزة والعلم لك ، وكل شيء عند كل واحد من الناس انما هو من عطائك .

الفصل السابع عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الكمالات التكوينية من الله :

بعد أن يعلم الانسان بنور العقل بأن اية مرتبة من مراتب الوجود هي من الله فسيفهم بأن كمال ذلك الوجود ايضاً من الله ، فكما ان اصل الوجود من الله فالجمال ايضاً من الله . والكمالات الثانوية التي هي الجمال والصفات الحسنة ايضاً من الله الذي نشأ منه أصل الوجود ، وهذا المعنى يجب الحصول عليه من جميع عالم الوجود . . فلكل موجود من الموجودات العلوية والسلفية جمال وحسن وهو من الله ايضاً ، وهذا واضح في الجمال والحسن التكويني .

فمثلاً الوجه في الانسان من الله . . والجمال والجذابية والملاحة ايضاً من صانع ذلك الوجه ، لذلك يكون الثناء على الله وليس على هذا الموجود، فلا يمكن ان يقال ما احسن ما صنع هذا الوجه بنفسه ، وانما الثناء هو ثناء على الخالق له فكم لذلك الخالق من وجه جميل بحيث اعطى نموذجاً من جماله الى هذا الوجه .

وصانع العنب ايضاً هو الذي اعطاه هذه الحلاوة . . واعطى الروائح الزكية لهذه الورود ، وكما بيّن ذلك في القرآن المجيد :

﴿ وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم ﴾[1] . وطبعاً هذه الآية تصدق على جميع العوالم وأحد مصاديقها هو ما نذكر في الموجودات السلفية التي تكون اصل خزينتها عند الله . فرائحة الورد العطرة تغطي مسافة عشرة او مائة قدم ولكن عطر الجنة كما في الروايات يصل الى مسيرة خمسمائة عام ، فالظهور في العالم الآخر اتم واكمل .

(١) سورة ١٥ آية ٢١ .

والخلاصة ان كل كمال انما هو من الله ، وهذه الكمالات التكوينية واضحة من خلال الأمثلة التي ذكرت .

الكمالات الكسبية منه أيضا :

يجب ان نعلم بأن الحسن والجمال والكسبي والأختياري كذلك منه ايضاً . العلوم التي يحصل عليها الأنسان هي كمال وحسن ، او الصفات الأخرى مثل الرحمة والكرم كلها ترجع الى الله ، فالعلم هو صفة كمالية للانسان ، فهذا الشخص يتعب ويدرس ويفكر حتى يحصل على العلم فهل ان اسباب هذا الفهم والعلم يراه من غير الله . . فقد نرى شخصين يدرسان سوية فيتقدم احدهما ويبقى الآخر لأن الأول له فهم وقابلية والثاني ليس كذلك . . عمل الأنسان هو أن يهيىء ما اعطاه الله له ويستخدمه ، ونفس هذه الأرادة والتوفيق ايضاً من الله .

او صفة الرحمة مثلاً عند اي شخص فهي من الله وناتجة من ان الشخص قد هيأ نفسه لهذه الصفة الكمالية ، وقد ورد في الرواية التي رواها الشيعة والسنة عن رسول الله (ص) يقول :

« ان الله خلق مائة رحمة جعل منها رحمة واحدة في الخلق كلهم فيها يتراحم الناس وترحم الوالدة وتحنو الأمهات من الحيوانات على اولادها ، فإذا كان يوم القيامة اضاف هذه الرحمةالواحدة الى تسع وتسعين رحمة فيرحم بها امة محمد (ص)[1] .

هل ان الام هي التي اوجدت محبتها لولدها ؟ فمع كل هذا التعب الذي تتحمله في سبيل الولد نجد ان محبتها لا تقل ، بل ان المحبة توجد في الوقت الذي يتكون فيه الولد في الرحم .

فجمال وكمال البشر الأختياري ايضاً من الله . ﴿ اليه يرجع الأمر كله ﴾[2] فالجود والكرم ناشيء من انفاق هذا الانسان بما في يده ومع تكرار هذا العمل تحصل بذلك ملكة الكرم ، فهذا الأنفاق من اي اموال كان ؟ هل هناك مالك غير الله ؟ هذه اليد هي ملك لله ، والقدرة قد اعطاها الله ، والمال ايضاً مال الله ، والانسان له ارادة فقط وهي ايضاً عطية الله .

فعلى هذا فان كل جمال وكمال وحسن في اي موجود حتى الجمال الأختياري هو من الله

(١) بحار الانوار المجلد ٨ ص ٤٤ .
(٢) سورة ١١ آية ١٢٣ .

فقط . الحمد لله ـ فالحمد مختص به ويستحقه هو لا غير .

غير الله لا يستحق الحمد بالاستقلال :

قيل في كلمة « الحمد لله » ان الالف واللام اما للاستغراق او للجنس ولأن المسند اليه (وهو الله) محلى ب (ال) فهو يفيد الحصر ، واللام التي قبل اسم الجلالة تفيد الاختصاص « لا يستحق الحمد الا الله » فهو ثناء وحمد بجميع المحمودات ، فلا يوجد اي مخلوق في السماء والأرض يستحق الحمد والثناء في مقابل اي جمال وكمال ، والذي يستحق الحمد والثناء هو الله ، لأن كل شيء لا يملك اي شيء والكل ملك لله . وقد ورد في رواية مذكورة في اصول الكافي انه ضاع جمل للامام الصادق (ع) فقال :

« لئن ردها الله لاحمدنه بمحامد يرضاها » .

وبعد ان بحثوا عنه مدة وجدوه وجاؤوابه الى الامام (ع) فلما ركبه قال : الحمد لله . وفي تتمة هذه الرواية انه قال حمدت الله بجميع محامده[1] .

ولأن كل خير وبركة تصدر من أي موجود فهي من الله ، اذن فكل حمد وثناء وفي أي مكان يرجع الى الله ايضاً . وفي نفس هذه الرواية فان اولئك الأشخاص الذين بحثوا عن الجمل حتى وجدوه يستحقون الشكر ايضاً ولكن الله هو الجدير بالحمد لأنه هو الذي جعل هذه الاسباب ، فقد اعطاهم الفهم حتى تمكنوا من البحث عنه ، واعطاهم القدرة على العثور عليه ، واعطاهم القوة على ارجاعه وجعل الحيوان مستسلماً لهم فهذه كلها ترجع الى الله ، اذن فالحمد لله ايضاً يرجع اليه ـ واللام في الحمد تأتي للأختصاص ، فالحمد يعني جنس الحمد مختص بالله لا بالمخلوق لأن غير الله وجوده من الله ايضاً فكيف ببقية شؤون الوجود .

اولوا افواه المحامدين بالتراب :

الثناء للمخلوق الذي قلنا عنه بأنه خطأ هو الثناء الاستحقاقي والاستقلالي فلو أثنيت على انسان متعلم فهذا يعني انه مستقل في تحصيل هذا العلم . . فالعليم المطلق هو الله وجميع العلوم ترجع اليه . . محمد (ص) ايضاً قد تعلم من الله ، والله هو الذي اعطاه ذلك

(١) لئن ردها الله الى لاحمدنه بمحامد يرضاها فلما اتى بها رفع رأسه الى السماء وقال الحمد لله ولم يزد ثم قال (ع) : ماتركت ولا ابقيت شيئاً جعلت كل المحامد لله فيما من حمد الا وهو داخل فيما قلت . بحار الانوار جلد ١١ صفحة ٨٣ .

العلم ، نعم يصح هذا الثناء من جهة انه عطاء من الله ، لذلك نهى عنه في الرويات خصوصاً اذا كان الثناء بحضور نفس الشخص ، ففي الرواية الشريفة في بحار الأنوار انه (ص) قال :

« فضوا التراب على وجوه المداحين »[1] .

اولئك الذين يتملقون للحكام والسلاطين ويقولون الشعر . . ولكن ما قيمة هذا الذي تمدحه ؟ وحسب العادة فان مدحهم غالباً يكون لمن هو غير لائق حتى المدح ايضاً .

ويقول الامام (ع) في خطبة همام في نهج البلاغة :

« اذا زكى احد منهم خاف مما يقال له » .

فعندما يصدق الشخص بأنه انسان جيد سوف يخرج من التوحيد فقد اشتبه عليه الأمر ولم يأخذ الا بالظاهر ، فيجب الا يصدق الانسان حيث أنه لو كان هناك حسن ايضاً فقد اعطاه الله ولذلك فأن الذي يستحق الحمد هو الله ، فلو كان لي علم او فهم او قدرة فهي كلها من عطايا الله ، وقد ذكرت مرات عديدة بأنه لا سمح الله لو عرض للانسان مرض وفقد بدلك حافظته فعند ذلك يتّضح ما اذا كان له علم اولا . . يصل الأمر به الى ان لا يعرف الطريق الى بيته ، وينسى حتى اسم ولده وقد حصل ذلك لأحد الأشخاص وقد توفي ، فقد نسي اسم ولده بعد ان كان يردده خمسين عاماً وكلما حاول ان يتذكره لم يتمكن من ذلك ، فهو الذي وضع له هذا الأسم وكان يدعوه به خمسين عاماً ولكن عندما لا تكون هناك حافظة فلا شيء له من العلم .

مواظبة على التوحيد الصفاتي :

لذلك قيل بأن المداح الذي يرى ان الطرف المقابل مستحقاً للمدح بصورة مستقلة هو مشرك في مرحلة الصفات ، كذلك لو صدق الشخص السامع والممدوح بذلك ورأى نفسه مستحقاً للمدح بصورة مستقلة فهو ايضاً قد اصيب بالشرك في مرحلة الصفات .

اذن فالتوحيد في الصفات هو أن نرى جميع الكمالات والمحاسن من الله ، فكل كمال حتى الكمالات الكسبية للبشر فهي من الله ايضاً ، لذلك فان المطلب دقيق جداً ويقع ذلك

(١) البحار الانوار ج ٥ .

كثيرا حيث يكون الشخص قد وقع في مرتبة من الشرك وهو غير ملتفت الى ذلك ، فما دام الانسان لا يعترف بالعجز لنفسه او للآخرين فلا يمكنه معرفة الله ، ولا يجتمعان فأما الوجود لي او لله ، فما دام يراه لنفسه فسوف لا يراه من الله .

حفظنا الله جميعاً من جميع مراتب الشرك .

الفصل الثامن عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

لا احد يستحق الحمد بالذات :

قلنا ان جميع انواع الحمد مختصة بالخالق ـ والاستغراق باعتبار ما يحمد عليه ـ ولان مصاديق المدح والثناء تشمل جميع الموجودات فكل ما نجده من كمال وجمال فهو من الله اذن فالثناء عليها ايضاً في الحقيقة راجع الى الله ، وقلنا بالنسبة الى انواع الكمال والجمال الحاصلة بكسب البشر أن الشخص اذا مدحها بشكل مستقل بحيث لم يكن الله في نظره كان ذلك خطأ .

واما من الناحية الشرعية ـ فلو مدح احداً بان قال له مثلا انت وصلت الى مرحلة الاجتهاد في العلم ، او قال لطبيب انت حاذق وهكذا فالمستفاد من الروايات هو ان الزائد في ذلك مكروه ، فهو ليس بحرام بل جائز ولكنه مكروه .

اما كونه جائزاً فلانه مطلب صحيح فالعلم والمعرفة والقدرة لكل انسان ترجع في الاصل الى الله لكن بحسب الظاهر ان هذا الشخص قد طلب هذا الكمال واتعب نفسه في سبيل الحصول عليه واكتسابه . وانما حصل على هذا الكمال بتعبه وعمله . فلذلك يجوز مدحه ، لكن المستحق الحقيقي للمدح هو الله لان جميع الاسباب ومن جملتها التوفيق الى طلب الكمال والجمال ايضاً منه ، فحمد الله استحقاقي وهو حق وجوبي ومن لا يحمد الله يكون قد ترك واجباً عقلياً .

واما لو ترك حمد مخلوق لامر كمالي واختياري فهو ليس بقبيح لانه ليس له استحقاق ذاتي ، فالذي اشتغل في طلب العلم هل يكون مدحه واجباً علي ولو اني تركت ذلك اكون قد ارتكبت امراً قبيحاً ؟ انه ليس مستحقاً للمدح بهذا الشكل ، اما رب العالمين فله استحقاق

ذاتي وحقيقي للمدح لأنه هو المعطي الحقيقي لجميع المخلوقات « الحمد لله » فيجب اداء حق الله في مقابل كل جمال وكمال في اي مخلوق وليس للآخرين مثل هذا الحق فعندما يكتسبون كمالاً فلا يوجب ذلك حق على الآخرين .

فرق الاستحقاق الحقيقي والرجحاني :

بعض المفسرين ضرب لذلك مثلا جميلاً وقال بان هناك فرقاً بين استحقاق الدائن من المدين وبين استحقاق الفقير من الغني .

فلو ان احداً كان له مال على احد فهو مستحق لاخذه ، وكان هناك فقير محتاج الى المساعدة فهو مستحق ايضاً ، فكل منهما يستحق اخذ المال لكنه بالنسبة الى ذلك الدائن فهو استحقاق حقيقي ووجوبي ، اما بالنسبة الى الفقير فهو استحقاق رجحاني فمن الحسن ان يساعده لا انه اذا ترك مساعدته يكون مستحقاً للتوبيخ (طبعاً هذا الكلام هو بشكل عام فيمكن من بعض الوجوه والاعتبارات ان تكون مساعدة الفقير واجبة وفي تركه التوبيخ ايضاً) .

حمد الله في مقابل كل هذا الجمال والكمال هو استحقاق وجوبي فيجب على كل احد حمد الله ويجب ان يعلم بان كل الوجود وجميع انواع الكمالات صادرة منه .

ولو ان احداً عمل واتعب نفسه في الحصول على كمال من الله فمدحه جائز وفي الاكثار منه كراهة ، من حيث انه يوجب الغرور ، فبالتدريج يتصور انه من نفسه ويمكن ان ينسى الله وينسى صاحب الكمال والمعطي الحقيقي له .

خلاصة المطلب ، اشكال وجواب :

خلاصة المطلب : قلت ان مستحق الحمد هو الله فقط في مقابل اي كمال وجمال ـ ومن جهة اخرى فالحسن والقبح العقلي واستحقاق المدح والذم في مقابل الاعمال الحسنة والقبيحة للمكلفين مسلم ايضاً ، فعلى هذا فالحكم العقلي بمدح الشخص الذي اكتسب كمالا معيناً كيف يتلاءم مع انحصار المدح لله ؟

وجوابه قد اتضح ايضاً بان الاستحقاق الحقيقي والذاتي وبعبارة اخرى ـ الوجوب بحكم العقل هو ان يكون المدح لله فقط ، واما للآخرين الذين اكتسبوا بعض الكمال والجمال فهو استحقاق رجحاني يعني انه حسن لكن لا يعني ان تركه قبيح .

اذن فالمقصود ليس هو ان مدح المخلوق في مقابل افعاله الاختيارية غير جائز بل المقصود

هو انه ليس بواجب والاكثار منه ايضاً مكروه لانه يكون مؤدياً للغرور ومن هنا فقد ورد في الرواية [1] ان الذي يقدم اليكم خيراً اشكروه ايضاً لانه الواسطة والوسيلة للعطاء الالهي .

والتوحيد في مرحلة الصفات لحد الآن كان كافياً والآن ندخل في موضوع التوحيد الافعالي بمقدار مّا يسمح لنا المجال .

رجوع جميع الافعال غير الاختيارية الى الله :

التوحيد الافعالي يعني ان يحصل لدينا يقين بان لا فاعل في عالم الوجود غير الله ، فكل من يتلبس بلباس الوجود يكون الفاعل لذلك هو الله ، فجميع انواع الموجودات الجوهرية منها والعرضية ، مع واسطة كانت او بدون واسطة ، كل ما وجد فوجوده من الله والمظهر له والموجد له هو الله وهكذا كل فعل تتصورونه حتى افعال البشر التي ستتضح في ما بعد ، ففي البداية نحاول تسليط الضوء على غير الافعال البشرية التي تكون جميعاً من الله .

الورقة التي تنمو في الشجرة وهكذا كل اثر في اي مؤثر كان مثل اشعال النار وغيرها كلها من الله الذي اعطى الاشتعال للنار والرطوبة الى الماء .

هضم اللقمة التي تنزل من الفم الى داخل الجسد وصيرورتها جزءاً من البدن هي افعال غير اختيارية للانسان وكلها ترجع الى المبدأ . وكل حركة من كل متحرك كذلك ، وهذه امور واضحة جداً .

اما في افعال البشر فتلك المجموعة من افعاله التي تصدر منه بارادة واختيار هي الموجبة للاشتباهات والاختلافات وظهور مبدأ الجبر والتفويض ويجرنا ذلك ايضاً الى مبحث العدل سواء اردنا او لم نرد ويرتبط ذلك بمسألة القضاء والقدر ايضاً .

حقيقة التفويض شرك :

فلو قلت بان الانسان مستقل في عمله بحيث أنه يمكنه ان يعمل او لا يعمل بصورة مستقلة ولا يوجد احد يمنعه من ذلك او يجبره على ذلك وهو يفعل ذلك من دون مساعدة احد فان هذا يكون تفويضاً وهو شرك ، فالذي يتصور بان وجوده غير مرتبط بالله بان يقول سأعمل هذا العمل حتماً يكون كالمستقل في عمله . . انت حياتك ليست بيدك ، استمرار حياتك لحظة بلحظة بيد موجود آخر اذن فالتفويض الذي لا يرى معه قيّوماً على نفسه غلط .

(١) سفينة البحار المجلد الاول ص ٧١٠ .

وهذه الحالة شرك وهي ان يتصور لنفسه ما هو حق للواجب ، فالذي يقول « انا » بهذه الصورة فهو يرى نفسه مستقلا وغير محتاج الى الله حيث انه يقول عملي ، وقدرتي ، ولا يمكن لاحد منعي من ذلك فهو يفكر ويتصور لنفسه وجوداً استقلالياً ، فكل من يرى نفسه غير محتاج فقد ابتلي بمرتبة من مراتب الشرك الذي ورد النهي عنه بشدة .

والمقابل لذلك هو « الجبر » بان يقول لا ارادة لدي ابداً وانما انا آلة لا أكثر ووسيلة لاداء العمل ، فكل ما اراد الله سوف يقع وهذا المطلب ايضاً خلاف الواقع ووجد أنه يعلم بانه يكذب ، فكثيراً ما يقول الانسان في المواطن التي تلائمه باني فعلت ذلك وفي كل مرة لا تلائمه القضية يرى انها من الله ، فمثلا نجده عندما يربح كثيراً يقول هذا نتيجة ذكائي وتفكيري ومهارتي في العمل وناشئ من تجاربي الشخصية ، اما لو اصابه الضرر فسيقول انه بتقدير الله ، ولا ادري لماذا يعمل معنا كذلك ؟ فيعترض بالقضاء والقدر ايضاً فهو جبري وتفويضي ، والقرآن المجيد يشير ايضاً الى هذه الحقيقة ويقول :

﴿ وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك . . . ﴾ (١) .

والخلاصة ، فانهم في الامور التي تطابق ميولهم ورغباتهم تفويضيون وفي الموارد التي تقع خلاف ميلهم جبريون .

وحالة الصحة والعافية لا يراها من الله لكي يحمده على ذلك ، اما عندما يمرض فيرى أن الله هو المسبب لذلك المرض ويكون جبرياً .

في الاعمال الارادية نحن الفاعلون بصورة غير مستقلة :

لذلك يجب التأمل بدقة في معنى « امر بين الامرين » فالجهل به يؤدي بالانسان الى ان يبتلى بالجبر والتفويض ، وفهم هذا الخط الوسط « الامر بين الامرين » بحاجة الى دقة كثيرة ، والإلتزام به والسير على وفقه صعب جداً .

ففي مقابل اعمال الناس يجب أن لا ننسى هذا المعنى بان الانسان في افعاله الاختيارية لا ينبغي ان يرى نفسه غير فاعل لذلك ولا ان يرى انه فاعل مستقل ، فهو او اي شخص آخر ليس مستقلا في اي فعل ارادي واختياري فلا يتصور انه بوجوده يمكنه ان يفعل كل ما يريد . فهذا العمل الذي تريد ان تؤديه هل يحتاج الى قدرة وحياة ، ام لا ؟ فهل ان وجودك وحياتك

(١) سورة النساء الاية ٧٨ .

واستمرارها بيدك واختيارك ؟ انا سأفعل غدا كذا وكذا ـ هل انت حي غداً ؟ أنت بحاجة الى من يمدك بالحياة ثانية بثانية .

في كل لحظة نحتاج الى علة مبقية :

هذه الطاقة الكهربائية للمصابيح بحاجة الى الامداد باستمرار ، فهي ليست شيئاً ثابتاً ومستمراً ، وانما توجد في كل لحظة ، فوجودنا ايضاً كذلك ، يجب ان يفاض علينا الوجود في كل لحظة من مبدأ الوجود لا اننا عندما خلقنا فان هذا الوجود سيبقى خمسين او ستين سنة من دون امداد بل لو لم يصله امداد لحظة واحدة فسينعدم ، ولذلك يقول في القرآن المجيد :

﴿ ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غداً (ويذكر بصورة مؤكدة) الا ان يشاء الله ﴾ فيجب ان يكون مصحوباً بـ « ان شاء الله » وارادة الله حتماً ، فمهما كانت القدرة التي لديه كبيرة الا انه يجب ان يعلم بانها مرتبطة بالغير ، ومرتبطة بما يريد الله وما تكون عليه مشيئته ، فما لم يكن عمل الشخص مصحوباً بمشيئة الله لا يمكن ان يتحقق ، وكلمة «إن شاء الله» التي يقولها المؤمنون عادة هي للتبرك وليس للانشاء ، فهي تفاؤل ومجاملة ، والصحيح هو ان يقصد « ان » الشرطية ، فاذا اراد الله ذلك فسوف اقوم بالعمل الفلاني والا فكيف يمكنني ان اقوم بذلك العمل ؟

وقد ذكر في كتاب مصباح الشريعة بان احد اصحاب امير المؤمنين (ع) ذهب الى بيت « ابو الدرداء » فقالت زوجته بانه غير موجود . فسألها : حتى يرجع ؟ فاجابت : متى يرجع من ليست حياته بيده ؟ فهذا الامر مربوط بمشيئة الله .

فربة البيت يجب ان تعلم ايضاً انه لا فاعل مستقل غير الله ، وتقول لاجل ذلك « ان شاء الله ـ وان شاء ربي » بحيث تعتقد واقعاً بكلمة « اذا » .

اذن فالتفويض يعني الاعتقاد بان الانسان مستقل في افعاله الاختيارية .

ومن جهة اخرى فلا يوجد هناك جبر ـ فلا يمكن ان يدعي احد ويقول لست انا الفاعل فمن الذي يستطيع القول باني لم اذهب . . لم اقل . .

ويقول الشاعر :

اينكه گوئى اين كنم يا آن كنم　　خود دليل اختيار است اي صنم

والمعنى : قولك باني اعمل هذا او ذاك هو دليل على الاختيار .

اذن فالفاعل هو الشخص ولكن بصورة غير مستقلة فليس هو مسلوب الاختيار وليس مستقلا في الفعل - فهو يملك الاختيار والارادة وهو الفاعل ، لكنه ليس مستقلا في هذا الاختيار والقيام بهذا الفعل فهو « امر بين الامرين » لا استقلال ولا اجبار .

الفصل التاسع عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

افعال البشر غير الاختيارية :

في التوحيد الافعالي يجب ان يعتقد الانسان الموحد يقيناً بان الخالق لكل شيء في عالم الوجود هو الله . فالفاعل المطلق هو الله وكل ما يحدث ويوجد في مراتب الوجود كلياً كان او جزئياً ، جواهر او اعراضاً فهي من الله ، وهذا المطلب واضح في غير الافعال الارادية للبشر ، حتى الانسان ايضاً له افعال ارادية وغير ارادية ، فالافعال غير الارادية ليست مرتبطة بارادة الانسان وانما هي توجد من قبل الله تعالى ، فما يحصل في البدن من فعل وانفعال هو من هذا القبيل ، فحتى المرض والسلامة ليست مرتبطة بارادة الشخص ، وكذلك التمكن والعجز ايضاً ليس باختياره : ﴿ **الله الذي خلقكم من ضعف** (من حالة الضعف) **ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل** (عند الكبر) **من بعد قوة ضعفاً وشيبة** ﴾ [1] .

فالانسان في البداية ليست له قوة وانما تعطى له بالتدريج وتصل الى الذروة في سن الشباب ، ثم تبدأ بالزوال والأفول بالتدريج حتى تصل الى الكيفية التي كانت عليها في البداية ، فهذه الامور ليست باختيار البشر وهي غير مرتبطة بارادته ، وهكذا الأمر في مسألة الموت ايضاً ففي هذه الافعال غير الاختيارية عند الانسان وجميع الموجودات يكون بديهياً بان الفاعل المطلق لها هو الله .

ليس مجبورا في الافعال الاختيارية :

اما بالنسبة للافعال الارادية والاختيارية للانسان سواءاً الحسنة منها او القبيحة ، فيجب

(١) سورة ٣٠ آية ٥٤ .

ان يعلم انه لا جبر هنا ولا تفويض . . ليس الامر كما لو لم تكن له ارادة في اعماله أو اختيار ، فكل عاقل يفهم انه ليس مسلوب الاختيار .

وضربوا مثلا جيداً على الجبر والاختيار ـ فالشخص الذي ابتلى برعشة في يده فحركة يده لا ترتبط بارادته ، اما الشخص السالم الذي يحرك يده فمن المعلوم انها ناتجة عن ارادة ، فمن الذي يستطيع ان ينكر الارادة والاختيار في الافعال الاختيارية ؟ ان ذلك يعني خلاف الفرض ، اي اننا نقول إنها افعال اختيارية فمعنى الاختيار هو القدرة على القيام بذلك العمل وعلى تركه ، وينتخب احد الامرين إما الفعل او الترك ، وفي مقابل ذلك الافعال غير الاختيارية التي اما ان تقع حتماً او لا تقع حتماً ، دون ان يكون للشخص اختيار في ذلك .

الجبر يعني كون الشخص مسلوب الارادة والاختيار ـ اي ان الفعل يقع وحده دون ان تكون للشخص ارادة في ذلك ـ وبطلان الجبر واضح ، فالانسان يذهب بارادته الى المسجد او الى مركز الفسق ـ وبالارادة يسبح او يشتم ـ والمنكر لذلك منكر للبديهيات والمحسوسات فهو من الامور الوجدانية التي لا تحتاج الى برهان .

ومن جهة اخرى فخطر التفويض موجود لانه يفعل بارادة فيرى نفسه مستقلا ، ويقع في حبائل الشرك وينسى احتياجه الى الله ، فيجب ان يكون ملتفتاً الى ان ارادته بحاجة الى قدرة ، فهل يمكنه ان يريد امراً ويفعل شيئاً دون القدرة ؟ فكله احتياج في احتياج ، فارادة الانسان غير كافية سواءاً في الخير او الشر ، فهو بحاجة الى قدرة ، وما لم يحصل على التوفيق ولا على الاسباب فكيف يصدر منه ذلك العمل ؟

كل خير بتوفيق الله :

فكل خير يتصور من الانسان فهو من الله ، ويقع ذلك بمشيئته وقدرته فلو لم تكن ارادته في البين فمن المحال ان يقع ، فعندما يريد الانسان ايجاد ذلك الامر يجد أنّ تحققه وايجاده مرتبط بارادة الله ، فالتحقق والوجود هو مرادي ، واما بالنسبة الى منبع الوجود فهو الله تعالى ومستند في الحقيقة الى الله الذي هو « الخير بيده » وبحاجة الى تأييد ومدد من الله ، ولهذا يجب ان يشكر الله على كل خير يفعله حيث وفقه الله الى ذلك لانه ليس لي سوى الارادة ، وهذه ايضاً حصلت عليها بالعام من الله ولطف وتوفيق منه :

﴿ وما تشاؤون الا ان يشاء الله رب العالمين ﴾ (١) .

(١) سورة ٨١ آية ٢٩ .

وبعد الارادة ايضاً ترجع جميع الاسباب اليه ، فلا يتصور احد بسبب هذه الارادة وبتلك الصورة التي ذكرناها ان جميع الامور من نفسه ـ انا الذي فعلت كذا وسأفعل كذا ـ فيبتلي بالشرك ولا يكون لعمله أجر وثواب لأنه غير مصحوب بالعلم والمعرفة ، فالخير يكون كبيراً اذا كان مصحوباً بالفهم . . . ان يفهم بأن الله قد اجرى الخير على يده فهنيئاً لذلك الشخص[٢] .

العجب بعمل الخير مبطل :

وورد في الرواية المذكورة في لآلي الأخبار[٣] أن الامام السجاد (ع) عندما كان يعطي للفقير شيئاً فإنه يقبل يده ويقول لقد صارت هذه اليد مجرى للخير ، وورد ايضاً في رواية أخرى بأنه كان يقبل يد الآخذ من حيث ان الله هو الذي يأخذ الصدقات في الحقيقة بالرغم من ان الفقير هو الآخذ بحسب الظاهر إلا انه مجرى للخير ايضاً .

« الأمر بين الأمرين » يعني الرغبة في الفعل مع الحاجة الى الله في أي عمل يصدر من الانسان ، فعندما يقولون أن العجب يبطل العمل فذلك لأنه نوع من الأنانية ورؤية الذات ، ويتصور انه هو الذي فعل هذا الفعل في حين انه لو لم يكن بتوفيق الله فانه لا يوفق للعبادة ايضاً ، بحول الله وقوته اقوم واقعد ـ فنفس هذا القيام والقعود لا يكون إلا بقوة الهية فلا ينبغي ان يؤدي ذلك الى التفويض والعجب في العبادة .

الشر باذن من الله :

ومن جهة المعصية ايضاً نجد انه ليس لمرتكب المعصية سوى الارادة ، والعقاب يرد عليها ويترتب بواسطتها ، وتحقق المعصية كما في الطاعة مرتبط بارادة الله ، وطبعاً فان ارادة الله في المعصية بمعنى الخذلان ، فعندما يوكل الله سبحانه وتعالى شخصاً الى نفسه فسوف يقع في المعصية . وقد ورد في الرواية عن امير المؤمنين (ع) :

« الخير بتوفيق الله والشر بخذلان الله »[١] .

فالذنب الذي يرتكبه يكون بتقصير منه فهو الذي اراد ، أما وقوعه وتحققه فهو باذن

(٢) طوبى لمن اجريت الخير على يده (حديث قدسي) .
(٣) ج ٣ ص ٣٠ .
(١) توحيد الصدوق .

الله ، فكل ما يصل الى الانسان من ثواب وعقاب يكون بواسطة ارادته تلك ، فالله لم يرد ان يجرد الانسان من ارادته ويجعله مسلوب الارادة في العبادة او المعصية .

الإنسان يصل الى الكمال بواسطة الارادة :

البهائم في حال الركوع والحشرات في حال السجود دائماً، ولكن لا قيمة لهذا الركوع والسجود ، والله لم يرد للانسان ان يقف للصلاة بهذا الشكل ولذلك فهو لا يمنع ارادته ، فيجب ان يتوجه الانسان بارادته الى السعادة او الشقاوة فلو منع من الأختيار فانه لا يصل الى الكمال ويزول الثواب والعقاب ، فعندما يعرض للانسان ذنب ويكف نفسه عن ذلك الذنب فسوف يوجب له الثواب والوصول الى الكمال لا انه يكون مجبراً على عدم صدور الذنب منه .

كمال الانسان بواسطة ارادته ، ففي الخيرات يكون بارادة الفعل ، وفي الشرور يكون بكف النفس وارادة الترك ، فاللسان باختيار الانسان فيمكنه ان يقول خيراً وإلا منع نفسه عن التكلم ، فكل مرة يكف فيها لسانه عن الكلام قد تساوي سنة كاملة عبادة من حيث الحصول على الكمال ، فالطاعة والمعصية تدور مدار ارادة الانسان لكي يتكامل ، وفي كل منهما لا يكون مستقلا ومستغنياً عن المشيئة الالهية ولا هو مسلوب الارادة ، ففي الذنب لا يكون مستقلاً ، فيمكنه ارادة المعصية واما تحققها وحدوثها فهو بارادة الله ﴿ نوله ما تولى ﴾ فكل منهما بحاجة الى الامداد [1]

(١) ﴿ كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك ﴾ سورة ١٧ آية ٢ .

الفصل العشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

في بداية هذه الخطبة المباركة يقول الامام :

« الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون » .

فلا يمكن لاحد ان يحصي نعمائه ، الى أن يصل الى القول :

« الذي ليس لصفته حد محدود ولا نعتٍ موجود ولا أجل ممدود » .

فهو يثبت الصفات لله في هذا الكلام ، وبعد ذلك يقول في مكان آخر :

« وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه لشهادة كل صفة انها غير الموصوف وشهادة كل موصوف انه غير الصفة » .

فبحسب الظاهر أن هناك منافاة وتعارض بين جملة « ليس لصفته حد محدود » وبين جملة « كمال الاخلاص له نفي الصفات عنه » لكنه بعد التأمل والدقة في نفس هذه العبارات يزول ذلك التعارض .

فعندما يقول انه ليس لله صفات فيعني تلك الصفات الزائدة على ذاته ، فليس هناك نعت ومنعوت حيث ان الذات المقدسة هي عين الكمال لا أن الكمال عارض عليها ، والصفات التي تكون للموجودات هي عارضة عليها وزائدة على ذاتها ، كالعلم في المخلوق مثلاً ـ فالعلم كيفية حاصلة للنفس ، والعلم أمر عارض على الانسان حيث لم يكن موجوداً ثم وجد بعد ذلك ، وكذلك القدرة فهي كيفية عارضة على النفس عروض الصفة على المخلوق .

التركيب يلزم التعدد :

أما بالنسبة الى الخالق فالعروض غلط وذلك « لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف » فالصفة والموصوف شيئان إثنان ، والصفة غير الموصوف والعارض غير المعروض والعلم غير العالم ـ وكل موصوف غير الصفة أيضاً ، إذن « فمن وصف الله فقد قرنه ، ومن قرنه ثناه » فالذي يقول بأن لله علماً فقد جعله اثنين كما أن للمخلوق ذاتاً وعلماً ـ فهو قائل بالإثنينية (الصفة والموصوف) والذي يقول بالإثنينية « ومن ثناه فقد جزأه » فقد جعل بينهما فاصلا وتصور لله جزئين ذاتاً وعلماً مثلا .

« ومن جزأه فقد جهله » لأنه تصور أن الله مركب ، فلم يعرف الله بوجوب الوجود حيث أنه لو كان هناك تركيب بين الصفة والموصوف فاللازم لكل تركيب هو العجز والاحتياج الى الجزء والإحتياج الى المركب لتلك الأجزاء ، وكذلك فهو بحاجة الى واجب وجود آخر لكي يقوم بالتركيب بحيث لا يكون هو مركباً ، إذن فلو قلنا بتعدد الصفة والموصوف فهو ليس واجب الوجود .

لذلك فإنه عندما يقول « نفي الصفات عنه » فإنه يعني عروض الصفات والتي يعبر عنها في علم الكلام بـ « المعاني » وأن الله ليس له معان زائدة على ذاته وصفات عارضة على الذات .

وعندما يقول : « الذي ليس لصفته حد محدود » فهو إثبات الصفة للذات يعني أن نفس تلك الذات المقدسة هي عين العلم وعين الحياة والقدرة والرحمة لا أنه ذات عرض لها العلم ، فتلك الصفة المقدسة هي الله .

صفات الله ليس لها وقت وأجل واحد ورسم كما هي عند المخلوق لأن صفته عين ذاته ، فكما أن ذاته غير محدودة فصفته كذلك غير محدودة ، « ليس لصفته حد محدود » وكما أنه ليس لذاته مقداراً فكذلك لا يكون لصفته مقدار أيضاً ، فعندما يكون هناك حد فان ذلك يعني العجز ، والله منزه من ذلك ، والمخلوق هو الذي يكون محدوداً بحدود قابليته واستعداده لتقبل صفات الكمال من قبيل العلم والقدرة ، أما الله فهو : « لم يزل

عالماً إذ لا معلوم » فقبل أن يكون هناك خلق كان عالماً والآن هو كذلك ، وبعد ذلك أيضاً ، فليس له أول وآخر ولا ابتداء أو انتهاء ، فلا يصح أن يقال أنه يعلم بما هو موجود أو يوجد بعد ذلك فقط ، فهو غير قابل للتحديد لاكماً ولا كيفاً ، ويمكن التعبير عن ذلك بهذا المعنى أنه ليس له « حد محدود » ولا « نعت موجود » ولا « أجل ممدود » بأن يقال أنه يعلم أو يقدر بذلك المقدار ويعين له وقت وزمان فإنه ليس له أي نوع من المحدودية .

أذكر رواية واحدة أواثنتين أيضاً للتبرك ولتأييد ما قلناه :

صفة الله ليست لها نهاية :

« لا تقولن منتهى علمه فليس لعلمه منتهى »[1] .

مثلاً تقول اللهم صل على محمد وآل محمد بمقدار منتهى علمك ، فهذا الكلام غير صحيح لأن علم الله ليس له نهاية وحد ، لذلك لا يصح ان تعبر هذا التعبير .

وورد في رواية اخرى عن الامام السجاد (ع) يقول : « عظم ربنا عن الصفة فكيف يوصف ، ان الله لا يوصف بمحدودية »[2] فليس لصفته حد او نهاية .

وفي رواية اخرى يقول الامام السجاد (ع) :

« لو اجتمع اهل السماء والأرض ان يصفوا الله بعظمته لم يقدروا »[3] فكل من اراد وصف علم الله فانه يصفه بحدوده الشخصية الضيقة ، لأن فهم كل شخص بقدار ذاته . فالمخلوق مهما وصل عقله فمع ذلك فهو محدود فكيف يمكنه وصف غير المحدود ، نعم عندما يكون العقل كاملاً فانه يفهم جيداً بانه عاجز واقعاً عن معرفة الله بما يليق به .

علامة اكتمال المعرفة عند الرسول (ص) :

رسول الله (ص) الذي وصل الى اعلى درجات المعرفة يقول : « رب لا احصي ثنائي

(١) اصول الكافي ج ١ ص ٨٣ .
(٢) اصول الكافي ج ١ ص ٧٨ .
(٣) اصول الكافي ج ١ ص ٧٩ .

الفصل الحادي والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الله مصدر كل علم وقدرة :

المطلب المهم الذي ينبغي ان يذكر في توحيد الصفات كما ذكر ذلك في توحيد الذات هو اننا عندما فهمنا بعقولنا توحيد الصفات وان الصفات الالهية ترجع الى العلم والقدرة وانه لا شريك له في ذاته المقدسة فكذلك في صفاته ايضاً ليس له شريك ، ومعنى الشريك هنا هو ان تلك القدرة التي عند الله غير تلك القدرة في هذا المخلوق . وهكذا في الكلام عن علم الله فكما ان الانسان ليس له استقلال في ذاته فكذلك في علمه ايضاً .

وكما ان أي وجود في أي مكان يتحقق فهو من افاضات ورشحات اصل الوجود « جل جلاله » ، فكذلك العلم والقدرة في أي مكان هي من علمه وقدرته اللامتناهية « وبقدرتك التي قدرت بها كل شيء » .

فكما ان اصل وجود كل موجود ليس من ذاته ، فكذلك آثار ذلك الوجود من علم وقدرة لا يمكن ان تكون من نفس ذلك الموجود ايضاً .

قوة البخار الذي يدير عجلات مصنع من المصانع ، هذه القوة هي من الله ، وهكذا كل قوة في الكهرباء او النار ، او القوة المدهشة والعجيبة التي لدى الأنسان والتي يقول عنها الشيخ الرئيس ابن سينا « الناس يتعجبون من جذب مغناطيس مثقالا من الحديد ولم يتعجبوا من جذب النفس الناطقة هذا الهيكل العظيم » .

فهذا البدن الذي يصعب على عدة اشخاص حمله بعد الموت يجره معه من الصباح الى الليل من هنا الى هناك بكل سهولة ، فهذه القدرة هي التي تحمل هذا البدن الثقيل بكل تلك السهولة .

التصديق القلبي في توحيد الصفات :

يجب ان نعلم ان كل استغناء ونعمة وخير في كل مكان انما هو من الله لأن الله هو اصل الوجود . وهذا العلم يجب ان يكون باذعان من القلب لا ان يكون بالاستدلال العقلي فقط كما سبق وان ذكرنا . ففي البداية يجب ان تدرك بالاستدلال العقلي وحدة الصفة وانها متفرعة على علم وقدرة الحق .

ولكن لا يمكن الاكتفاء بهذا الأدراك العقلي وانما يجب (التصديق به) والتصديق القلبي يكون بحيث يطمئن القلب بأن كل ما يوجد من علم وقدرة فهو من الله ، فما دام الانسان يرى علمه الشخصي وقدرته من نفسه فمن المحال ان يرى الله وعلمه وقدرته ، يجب ان يفهم انه لا شيء فما دمت تتصور ذاتك شيئاً فلا يمكنه العثور على الحقيقة .

وسأضرب مثالاً على النظر الاستقلالي والنظر المرآتي ، فالنظر في المرآة يكون بشكلين فتارة تنظر الى المرآة لترى فيها وجهك و اخرى تنظر اليها نظر المشتري لها عندما تجدها في دكان البائع ، ففي الوقت الذي تنظر اليها تنظر اليها بنظر المشتري لا تستطيع ان ترى نفسك فيها .

فعندما يكون النظر الى المرآة استقلالياً فليس له غرض للنظر الى وجهه ، ولذلك فهو لا يرى المنظور في تلك المرآة ، وعندما ينظر الانسان الى الكائنات بالنظر الاستقلالي فالحق محجوب عنه ، فما دام يرى نفسه (انا) فكيف يدرك قدرة الحق ؟ (انا) قبل عدة سنوات لم أكن سوى حفنة من التراب ، وبعد سنوات سأكون ايضاً حفنة من التراب مرة اخرى ، فإذا كان النظر استقلالياً الى قدرته فسوف لا يفهم هذا المعنى وهو أن قدرته الآن ايضاً من الله ، فبمجرد ان تريد تحريك يدك ورجلك فانها تتحرك فوراً ، وهكذا يتحرك اللسان ايضاً ، كل هذا من عطاء الله .

عبادة ستة الآف عام مع الانانية !!

وطبيعي ان ذلك بحاجة الى التمرين والمجاهدة ، يجب ان يترك ال (أنا ، انا) فماد دام يتكلم عن علمه وقدرته هو فإن قلبه لا يخشع الى الحق ، فالمقدار الذي يرى نفسه غير محتاج فإنه سوف يطغى حتى على خالقه .

فلو زاد العلم او المال وكان مصحوباً بالانانية فإن ذلك سوف يؤدي الى الطغيان فهو

ليس غنياً حقيقة بل هو وهم وخيال ، انه يتخيل ان له علماً والحال ان العلم لله ، وهكذا يصل الأمر به الى ان يقف مقابل الحق .

ابليس عبد الله ستة آلاف عام ولا يعلم انها كانت من الأعوام الدنيوية او الأخروية ، ولكن عندما تكون انانيته باقية ويؤمر بالخضوع لآدم الترابي فانه يقول : « انا خير منه » ولا يكون مستعداً للطاعة والخضوع بل يقف مقابل الحق .

جميع النفوس هكذا، فـ « انا » شيطان يقف في مقابل كل حق ويقاوم كل حق في حين انه لو راجع وجدانه لرأى انه ليس كذلك ، فالذي يرى نفسه وآثار نفسه ، كيف يمكنه رؤية الله وآثار الله ؟ فهو في الحقيقة قد ادار ظهره الى المقصد فكيف يمكنه الوصول اليه .

الغنى المالي يؤدي الى الطغيان :

قارون جمع اموالاً طائلة نتيجة اطلاعاته العلمية التي اكتسبها في علم الكيمياء بحيث يقول عنه القرآن المجيد « ما أن مفاتحه لتنوء بالعصبة اولى القوة »[1] وفي الرواية انهم كانوا اربعين رجلاً لا يتمكنون من حملها إلا بصعوبة

وبعد ان طلب موسى من قارون ان يؤدي الزكاة قال : « إنما أوتيته على علم عندي » فهو بعلمي وليس بعلم الله فلا احد له الحق في هذه الأموال فأنا المالك لها ، فهذا الشخص بهذه الحالة كيف يمكنه ان يدرك : ﴿ **لله ما في السموات والأرض** ﴾ ، فالذي يقول : أموالي انا ، علمي انا ، فهو مجموعة من ال (انا) فمحال ان يفهم مالكية الله

القلب الميت لا يستيقظ حتى بالموت :

عندما كان فرعون يرى سلطانه في مصر وتلك القدرة الظاهرية كان يقول : « أليس لي ملك مصر »[1] هذا سلطاني !! إذن كيف يمكنه أن يدرك سلطان الله ، كيف يمكنه أن يفهم بأنه هو الآخرين والجميع في مقابل سلطة الحق لا شيء ، فهذه أوهام تحجب الانسان عن ادراك الحقيقة ، وطبعاً يمكن ان تنكشف الحقيقة بالموت ، ولكن عند ذاك لا ينفعهم إيمانهم كما آمن فرعون بلسانه عند الموت فهو لعق باللسان فقط وكما يقو القرآن المجيد ﴿ **ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه** ﴾[2] .

(١) سورة ٢٨ آية ٧٦ .

(١) سورة ٤٣ آية ٥١ .

(٢) سورة ٦ آية ٢٨ .

عندما يموت القلب فلا أمل يرجى منه بعد ذلك ، اما لو زالت النفس عن القلب عند ذلك يظهر الإيمان ويفهم الحقيقة وإلا فالقلب محجوب ولا يستيقظ حتى بالموت ، نعم سوف تنكشف له الحقيقة ولكن القلب الميت لا يصدِّق بها فالإنكشاف وظهور الحقيقة يكون بعقله فقط أما الإيمان والأطمئنان القلبي والتصديق فلا يوجد لها أثر ، فحتى بعد الموت تكون الأنانية وال « انا » باقية فلو أنه لم يستيقظ قبل الموت فسوف لا يستيقظ الى الأبد[1] ، والخلاصة فالشخص المحجوب بنفسه يكون بعد الموت محجوباً أيضاً ولو أنه مات وبعث مئات المرات فإنه سوف لا يؤمن أيضاً كما حدثنا عن ذلك في القرآن المجيد .

ومع ذهاب النفس يتضح أنه لم يكن شيئاً وكل ما عنده هو من علم وقدرة الله ، فلو أن الستار ازيح عن عين القلب فسوف يفهم عندئذٍ بأن كل ما هو ظاهر في هذا العالم فهو من علم الله وقدرته فقط . فيجب أن نخاف من صاحب القدرة وهو الله . وأن نرجو صاحب القدرة وهو الله ، ولا نخاف أي أحد سوى الله ، ولا نؤمل بأي شيء وبأي أحد غير الله .

فقد أصبح لديه مشهوداً بأن اقوى الأفراد لا يمكنه عمل شيء إلا بإذن الله وارادته حتى يصل به الحال إلى أنه لو اجتمعت عليه جميع قوى المخلوقات وأرادت إيصال الضرر إليه فإنه مع ذلك لا يخاف منها .

دانيال والسبع الضاري في قعر البئر :

ورد في كتاب حياة القلوب أنه عندما أراد « بخت نصر » أن يعذب دانيال بأشد العذاب أمر أن يضعوا لبوة (انثى الأسد) في قعر بئر عميقة وبعد ذلك انزلوا دانيال في البئر .

الإنسان الإعتيادي قد يتجمد من الخوف في تلك اللحظة وقد يموت من الخوف ، أما دانيال فقد كان يعلم بأن القدرة التي عند الأسد هي من الله ، فلو كانت معها مشيئة الله فسوف يأكله وإلا فلا .

وقد ذكر في الرواية أن أنثى الأسد كانت تأكل التراب وكان دانيال ينتفع بحليبها كي لا يموت ، لكن الذي نقله المجلسي في حياة القلوب هو أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى نبي في ذلك الزمان بأن ينقل الطعام إلى دانيال ، وعندما وصل إليه الطعام قال : « الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره »[1] .

(١) ﴿ ومن كان في هذه اعمى في الاخرة اعمى واضل سبيلا ﴾ .
(١) تفسير القمي ج ١ ص ٨٩ .

على كل حال فنتيجة فهم التوحيد الصفاتي هو أن يحصل لديه توحيد في مقام الخوف والرجاء ، فمم يكون خوفه ؟ من ذلك الذي هو مصدر القدرة ، فإذا صار كذلك فسوف لا يخاف من الفقر أيضاً ، لأن القادر المطلق إذا أراد أن يسد حاجته فإنه يستطيع ذلك سواء بالمال أو بغير المال .

الفصل الثاني والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الغفلة عن الحق سبب النزاعات :

قلنا في الجلسة السابقة في موضوع توحيد الصفات بأنه يجب أن يكون التصديق بالقلب ويحصل له نور في قلبه بحيث يفهم بطريقة الشهود بأن كل كمال موجود إنما هو من الله ، وأن أي علم وأية قدرة واستغناء عند كل موجود فهو من الله فلا استقلال لأي ذات أو صفة .

نفس هذه المطالب تأتي في التوحيد الأفعالي ، فالأنسان عندما يزيل عنه الحجاب ويضعف من « ذاتيته » سيفهم بنور القلب بأن الفاعل الحقيقي في جميع الأمور هو الله حتى في الأفعال الأختيارية للبشر أيضاً فهي بقدرة ومشيئة الله بشرط ألا يكون ناظراً إلى جهة شخصية وأنانية ، بل إلى تلك القدرة التي بواسطتها تتحرك المخلوقات ، وكذلك عندما يقوم بفعل بنفسه فعليه أن يراه بمشيئة الله وإرادته ، فما دام ناظراً إلى نفسه لا يصل إلى التوحيد الأفعالي مهما قال بلسانه « لا حول ولا قوة إلا بالله » ، وما دام يرى قدرة نفسه فذاك هو التفويض الذي ذكرناه سابقاً ، يجب أن يخاف من حصول الشرك في قلبه وهو أن يجعل قدرته مقابل قدرة الله وينسى قدرة الله ، فهذه « الذاتية » تجعل الانسان محروماً من كل سعادة وتدفعه إلى كل شر فهو دائماً في مشقة وتعب ، فأنواع النزاعات التي تح ,ث بين أفرا, االبشر هي بسبب هذه النظرة إلى الذات والنفس لأنه يرى نفسه ويرى الآخرين أصحاب قدرة مستقلة فيريد أن يتغلب عليه أو يأخذ أمواله ، من المستحيل أن يكون اثنان ملتفتين إلى الله في أفعالهما ثم يتنازعان بعد ذلك ولهذا لم يكن بين الأنبياء نزاع أبداً لأنهم قد أصلحوا أنفسهم ويعلمون أن القدرة والمال ملك لله .

الحروب التي تقع في العالم إنما تحدث بسبب الجهل والأنانية وذلك لأنهم نسوا الله فأنساهم انفسهم ، فعندما لا يكون ناظراً إلى قدرة الله ، فإنه لا يرى نفسه عاجزاً ويبقى في

جهله وضياعه ويكون ذلك هو منشأ الفساد .

فلو قيل ان إرسال الرسل والأنبياء هو لإصلاح انانية البشر كان ذلك صحيحاً ، فالانبياء جاؤوا ليفهموا الناس بأن « انا » هي عدم محض ولا شيء ، فيجب أن تفهم ضعفك وعجزك الذاتي والصفتي والفعلي وتفهم بأنك إمكان ذاتي ووصفي وفعلي ، فاعرف نفسك . .

فذاتك صادرة عنه ، والصفة التي لديك هي منه أيضاً ، والفعل الذي يصدر منك انما هو بقدرته « يزكيهم » فهدف الأنبياء هو تزكية الناس وتطهيرهم من ادران النفس .

النفس تصير امارة إذا تركت لها العنان :

قيل في كلمة « المطهر » التي هي من اسماء الله الحسنى بأن التطهير المنسوب الى الله يعني التوفيق ، فإن نجاسة الشرك والأنانية لا تطهرها مياه البحار السبعة والمطهر لها هو الله فقط ، وذلك عندما يصل إلى مرحلة يتحرر فيها من « الشخصية والتشخيص » لأنها هي التي تبقى الانسان في ادران الجهل وتحرمه من كل خير وتدفعه الى كل شر ، فلو انه ترك لها الحبل فسوف تصير « أمارة » حيث تأمر بكل سوء .

النفس الأمارة ليست امراً منفصلاً عن الذات وإنما هي نفسها الذات التي إذا أطاعها الأنسان تكون اميرة عليه وحاكمة على وجوده بحيث لا يمكنه ان يتخلف عن أوامرها ، فيجب عليه أن يصمد بالتدريج وبالمجاهدات الشرعية أمام نفسه ويقيدها كي تنتهي عن الأمارية وتضعف عنده الأنانية ويفهم بأن القدرة هي قدرة الله إذن لماذا يتشاجر مع شخص آخر .

إذا كانت « أنا » غير موجودة فليس هناك نزاع على منصبي أنا ، وأموالي أنا وغيرها ، لأن كل ما يراه يجده من آثار علم الله وقدرته ، ولا يرى سوى جمال الحق فلا أحد ينازع الجمال ويعاديه .

عبارات لطيفة من الصحيفة السجادية :

الملاحظة المهمة التي اردت ان اذكرها هي عبارة موجودة في دعاء مكارم الأخلاق للأمام زين العابدين (ع) حيث يقول :

« اللهم صل على محمد وآل محمد وحصن وجهي باليسار ولا تبتذل جاهي بالاقتار فاسترزق أهل رزقك واستعطي شرار خلقك » .

فلا اطلب شيئاً من مخلوق بحيث إذا اعطاني ابتلي بمدحه ، وإذا لم يعطني شيئاً فسوف

أبتلي بذمه ، لأنه عندما يكون محتاجاً إلى المخلوق فهو في خطر ، فلو أنه يتوجه الى المخلوق بنظر استقلالي وبأمل أن يقضي هذا الشخص حاجته ويحل مشكلته فهو الآن مبتلٍ بالشرك وقد خرج من التوحيد الأفعالي ، يجب أن يكون واعياً : إلهي مع إرادتك يحصل هذا العمل المعين بوسيلة الشخص الفلاني . . فتوجهه يكون الى الله حتى لا ينحرف عن صراط التوحيد في الفعل . . صراط التوحيد أدق من الشعرة وأحد من السيف ، فأي انحراف في النظر سيؤدي إلى سقوطه .

فالذهاب الى أحد المخلوقين طلباً للأستعانة أو الأستغراق أو المساعدة هو أمر محذور مهما كانت نتيجة ذلك الطلب وسواء حصل على حاجته أو لم يحصل ، لأنه لو حصل على ما أراد فمن المحتمل أن يغفل عن الله ويمدح ذلك الشخص الذي أعطاه حاجته « مدحاً استقلالياً » فهو في الحقيقة يمدح من لم يفعل ، فلو أن الله لم يعطه القدرة والتوفيق فكيف يمكنه أن يحل له مشكلته ؟

ولو انه لم يؤد إليه ما أراد ولم يقض حاجته فإنه فسوف يذمه : بأنه كان مالكاً ومتمكناً إلا أنه لم يعطني شيئاً ولم يساعدني ، ويحدث في قلبه البغض والحقد على ذلك الشخص ، وقد يصمم على الأنتقام منه فهذا من الشرك أيضاً ، اذن فكل واحد من الأمرين يحتمل الخطر سواء في العطاء أو المنع ، ففي العطاء يكون بالمدح بالاستقلال وعند المنع يكون بالذم الى ذلك الأنسان .

فلو أنَّه منعه من ذلك وجب عليه ان يقول بأن الله لم يرد ذلك ، ولا يجعل من الشخص مورداً لغضبه ، فإن الله سوف يصلح أمرك من طريق آخر ، لأن الفاعل الحقيقي هو الله وهذا الشخص لم تكن له القابلية في الحصول على توفيق الله فلماذا تسيء الظن به وتشتمه وتذمه ؟ والقليل من الناس لا يصيبهم هذا اللون من الشرك وذلك إذا علموا بأن ذلك الشخص غير مستقل في العطاء والمنع .

الابتلاء بالمدح والذم الاستقلالي :

« فأفتتن بمدح من أعطاني وأبتلي بذم من منعني » . وطبعاً فإن ما هو مذموم هو المدح بالاستقلال وإلا فالمدح بالتبع قد أمر به « من لم يشكر المنعم من المخاوقين لم يشكر الله عز وجل »[1] .

(١) بحار الانوار ج ١ ص ١٣٢

فالواسطة للخير يجب شكره أيضاً ، مثلاً أن يقول: اسأل الله أن يعطيك الأجر والثواب على هذا العمل الصالح الذي جرى على يدك ، أما ما هو محذور وخطر فهو المدح الاستقلالي وهو انني متشكر منك إذ فعلت كذا وكذا ودون أن يكون ناظراً لله .

أو في مورد الذم ، فما لم يعطه الله فأي فعل يمكنه القيام به ؟ فكم من الأعمال المهمة والصعبة التي استطاع القيام بها وكم من الأعمال اليسيرة والسهلة التي لم يتمكن منها ، فما لم يكن مصحوباً بمشيئة الله فلا يمكن أن يصدر منه الفعل . وطبعاً قد يؤدي بنا هذا الكلام إلى مسألة الجبر والتفويض التي تكلمنا عنها سابقاً .

إذن فيجب علينا أن نتذكر دائماً قولنا في الليل والنهار « إياك نعبد وإياك نستعين » .

ويقول المرحوم بحر العلوم :

تلهج في إياك نستعين وأنت غير الله تستعين

ففي الصلاة تقول « إلهي انني اطلب المعونة منك » ولكن عندما تكون لك حاجة بمخلوق فسوف تمدحه في صورة العطاء وتذمه في صورة المنع ، فلو أنّك كنت تطلب المعونة من الله فما هذا الثناء والمديح للمخلوق في مقابل عطائه ؟ فإذا كان العطاء الإلهي قد جرى على يد هذا المخلوق فلماذا نسيت الله وتمسكت بالسبب والوسيلة فقط وهو لم يكن له سوى إرادة قد أعطاه الله إياها ؟

وكذلك لا ينبغي أن ترى ذلك الشخص مستقلاً في صورة المنع وإنما يجب أن تعتقد بأن الله لم يوفقه لذلك . فالنفس هي التي تطغى وتتأمر وتتصور الاستقلال لنفسها وللاخرين ، فالملح والدم راجع الى النفس التي نسيت الله .

إلهي : منك العطاء والمنع :

« وأنت من دونهم ولي الإعطاء والمنع » . . إلهي انت الذي أعطيت في صورة المنع كانت قدرتك وعدم توفيقك هو السبب في منعي .

المسلمون بحسب النوع مصابون بهذه المرتبة من الشرك فنحن نتصور انفسنا موحدين في حين أننا نعتقد بأن المخلوق مستقل في المنع والعطاء ، فلماذا نتخبط في هذا الجهل بحيث نرى جميع الممكنات ولكن لا نرى الله ؟

لنرى هذا الانسان الذي بيده رئاسة ومنصب أو أنه صاحب ثروة وقدرة ، فهذه الأمور

جميعاً من عطاء الله وهي من الأمور العارضة حيث يمكنك أن تجد في مكان اخر قدرة أكبر وأموالاً أكثر ، فهذه كلها توهمات وليست أموراً ذاتية بل هي عرضية ، ، ففي هذه المرة كانت الثروة والقدرة منسوبة اليه وغداً تنسب إلى شخص آخر « فالأضافة » في باب الأعراض نسبة تكرارية ، فهذه النسبة التي بيني وبين المال مجرد توهم واعتبار وأمور جعلية واصطلاحية للبشر لا أن لها واقعية حقيقية « وأعوذ بك من الشرك » إلهي انقذنا من الشرك حتى لا نشرك بك لا في الذات ولا في الأفعال .

الفصل الثالث والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الله هو الكمال المطلق :

توحيد الصفات والأفعال من أهم المسائل الأعتقادية في الاسلام والتي يجب تعلمها على الجميع بحيث تكون واضحة لديه بصورة كاملة ، ويطبق ذلك في مقام العمل ، فجميع البركات التي تصيب الأنسان المؤمن هي ببركة التوحيد الصفاتي والأفعالي وما يحصل عليه المؤمن من مقامات وكمالات ودرجات يكون نتيجة لذلك .

ومعظم آيات القرآن الكريم في باب المعارف تبتني على أساس التوحيد الصفاتي والأفعالي « له الحمد وله الملك » فالثناء منحصر بالله فكل صفة كمالية فهي من الله وكل فعل او تصرف في عالم الوجود فمنه « له الملك » فهو الفاعل الحقيقي والمطلق كما أنه هو صاحب الكمال الحقيقي .

اذكر جملة في باب الاستدلال العقلي على هذا الموضوع وهي : أن كل موجود اضافة الى كونه محتاجاً في بذاته وأصل وجوده ويجب ان يعطي له الوجود ، فكذلك هو محتاج الى الكمالات الثانوية التي هي صفة وأثر لذلك الوجود ، لا أنه بعد أن وجد وتحقق قد أصبح واجباً في ترتب الأثر بحيث يكون الأثر والصفة قطعية الصدور والحصول منه ، فالمخلوق كما أنه محتاج في أصل وجوده ومحتاج أيضاً الى أن يعطيه الله الصفة والفعل أيضاً ، فهو محتاج كذلك في صدور وتحقق الفعل . فهو ممكن في جميع جهاته الثلاثة في الذات والصفة والفعل ، والممكن محتاج .

تأثير الممكنات من الله :

فمثلاً النار التي هي محتاجة الى الوجود في أصل ظهورها وتحققها حيث يعطيها الله ذلك

الوجود ، فكذلك هي محتاجة الى الله في توليد الحرارة وإلا فالماهية مع قطع النظر عن الوجود لا شيء ، فالوجود هو الذي يعطي التحقق .

وكما ان سببيتها للحرارة لا تكون إلا بعد اعطائها الوجود ، فكذلك أثر تلك السببية وهو حصول الحرارة يجب أن يكون بعطاء من الله ، فالأحراق ايضاً من الله ، فأساس تحقق النار وبعد ذلك احراقها في الخارج كلاهما من الله .

يعني أن مجرد حدوث النار لا يكون لوحده سبباً في التأثير بحيث يحرق كل ما وصل إليه وذلك الشيء يحترق كذلك بل هو موقوف على مشيئة وإذن الله ، فكل ما لبس لباس الوجود فهو صادر منه سواءاً كان نفس المؤثر أو حصول الأثر وذلك لأن المخلوق أعجز من أن يكون موجداً ، فكل مؤثر محتاج الى الله في تأثيره وحصول أثره .

ولأجل توضيح المطلب للموحدين فان الله سبحانه وتعالى قد ذكر في القرآن الكريم عدة موارد يكون السبب والأثر لم يحصل ، فليس كلما تحقق السبب أن تتحقق آثاره بحيث يكون مستقلاً وغير محتاج في ذلك الى الله .

تبريد النار للخليل (ع) :

يذكر لنا قصة القاء الخليل (ع) في نيران نمرود ، فقد ذكرت كتب التواريخ بان ألسنة النار كانت تمتد لمسافة فرسخ واحد من كل جانب . . نيران عظيمة بحيث لا يمكن للطير أن يمر فوقها واضطروا لالقاء ابراهيم (ع) في هذه النار الى استعمال المنجنيق ، ولكنه وفي حالة سقوطه في النار وصل النداء ﴿ ان يا نار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم ﴾ طبعاً كان هذا النداء نداءاً تكوينياً وارادة مجردة ، فقد سلب الاحراق من النار حتى يعلم الموحدون بأن جميع الاسباب مرتبطة بارادة الله وان لا ينظروا الى الاسباب بنظرة مستقلة فان تأثير كل سبب متوقف على مشيئة الله .

فكم من الاسباب الحتمية التأثير قد بطل مفعولها ولم تؤثر شيئاً ، فالله هو المحدث لكل حادثة وكل ظاهرة من اي سبب كانت ، وكم من الاسباب التي لم يكن هناك امل في تأثيرها لكنها أثرت فجأة كل ذلك من اجل ان يلتفت الموحد الى ان الاسباب ليس لها استقلال وانما تؤثر بالمقدار الذي يسمح به الله لها .

كيفية هلاك اصحاب الفيل :

قصة أصحاب الفيل أيضاً من هذا القبيل والتي وردت في سورة الفيل :

﴿ ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول ﴾ .

وقد كانت هذه الواقعة التاريخية مهمة جداً بحيث أن العرب جعلوا منها مبدءً لتاريخهم ، فقد جاء جنود أبرهة وهم يركبون الأفيال لهدم الكعبة وقد سمعتم جميعاً كيف أن تلك الطيور كانت تحمل كل واحدة منها ثلاثة أحجار صغيرة أصغر من الحمصة ، واحدة في منقارها واثنين باقدامها وقد أهلكت كل واحد منها ثلاثة من راكبي الفيلة بحيث أن كل واحدة عندما كانت تصير فوق أي واحد منهم تقذفه بحصاة صغيرة على رأسه وتخرقه من رأسه حتى تخرج من بطن الفيل وبذلك كانت تهلك الفيل وراكبه معاً .

الله سبحانه وتعالى إنما يذكر هذه القصة لكي يفهم الانسان بأن هذا الطين لم تكن له خاصية القتل ، إذن من الذي أعطاه الخاصية وجعله يؤثر هذا الأثر ؟ كيف أمكنه تمزيقهم وقتلهم ؟ لذلك ورد في الروايات أن الله سبحانه وتعالى عندما يريد بمؤمن خيراً ويريد أن يزيد في بصيرته فإنه يرزقه من حيث لا يحتسب .

ينبو من الرصاص :

يا مسبب الأسباب . . عليه أن يعرف بأن سببية أي سبب هي من الله . وفي هذا الوقت بالذات قد أصبح متواتراً ما يحدث في جبهات الحرب المفروضة على إيران ، وقد أصبح واضحاً للمقاتلين بأن الله سبحانه وتعالى ولأجل زيادة إيمانهم يريهم دائماً أموراً تزيد إيمانهم .

القائد العسكري لمجموعات « فدائيو الاسلام » يحدثني قبل مدة بأني كنت في أحد الجبهات وفي أحد العمليات العسكرية وجدت نفسي محاطاً بالأعداء وأدركت بأني أصبحت هدفاً للرصاص من عدة أطراف وقد أطلقوا علي أكثر من ثلاثين رصاصة في حدود خمس دقائق فكأني قد أحاطتني هالة من حولي بحيث لم يصبني الرصاص ، وقد

قال لي اخواني بعد ذلك بأننا قلنا انك انتهيت من أول تلك الرصاصات .

فهذه الطاف الله يفهمنا بأن السبب وتأثيره كليهما بيد الله ، فعندما يطلق أحد رصاصة فما عنده هو الارادة لذلك العمل ، لكن انطلاق الرصاصة واصابتها للهدف ومقدار تأثير الاصابة في ذلك الهدف كلها من الله .

يقول في سورة الأنفال ﴿ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ﴾ فيحقق القتل بيد الله وعملكم انتم مجرد الارادة للرمي ، أما الاطلاق وإصابة الهدف وأخذ الروح بعد ذلك فهي كلها من الله ، بعد ذلك يخاطب الرسول الأكرم (ص) :

﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ .

الرمال الناعمة تدخل عيون الكفار المهاجمين :

في غزوة الأحزاب أو غزوة أخرى كان الرسول (ص) يأخذ حفنة من التراب ويقذف بها على الكفار ويقول : « شاهت الوجوه » .

فقد ورد في الرواية أن جيش الكفار قرابة العشرة آلاف شخص ولما قذفهم الرسول (ص) بذلك التراب دخلت ذرات التراب الى عيونهم جميعاً ، فتألموا لذلك وهربوا .

فالله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وما رميت إذ رميت ﴾ فظاهر الآية نفي وإثبات ولا يوجد هناك تناقض فـ ﴿ وما رميت ﴾ بحسب التحقق والتأثير و ﴿ إذ رميت ﴾ بحسب ارادة الرسول (ص) .

فهو اراد وأخذ حفنة من التراب وقذفها الى جهة الكفار .

أما القذف وتأثيره بحيث يدخل في عيون جميع الكفار ويهربون فهو من الله .

الارادة منك والبقية من الله :

الذي يكون من البعد هو الارادة ، اما تحققها ومقدار اثرها فهو بيد الله دون ان يكون جبر في البين ، فالارادة على حالها ، والفعل الارادي الصادر من العبد يوجب استحقاق الثواب والعقاب ، أما التحقق الخارجي ومقدار التأثير فهو غير مربوط بارادة الانسان وإنما مرتبط بإرادة الله فما أكثر المرات التي اجتمعت فيها اسباب عديدة ولكن أثرها كان عكسياً ،

وكم من مرة لم يكن هناك سبب ولم يكن يتوقع حصول هذا التأثير من ذلك الشيء لكنه حصل مع ذلك .

كل خير وكمال هو من الله حتى في الصفات والأفعال الاختيارية للبشر فكل ما يحدث فهو من الله ، فعندما يصير احد الأشخاص طبيباً فإن تحقق ذلك العلم هو من الله الذي اعطاه الفهم ، وذلك الشخص يريد ان يتعلم الطب أما حفظه في الحافظة والتشخيص الصحيح للمرض كله بمعونة الله وتأثير الدواء أيضاً من الله ، والخلاصة أن كل حادثة فهي من الله ، « له الحمد وله الملك » .

كل كمال من الله ، إذن فكل ثناء أيضاً لله ، والمخلوق أيضاً يكون مورداً للمدح من جهة وقوعه في مجرى الكمال لأن الله سبحانه وتعالى قد أمرنا أن نشكر مجاري الخير أيضاً .

الفصل الرابع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

هل ان الخطاب الى القتال هو سبب الموت ؟

يجب على كل شخص السعي الى تصحيح مراتب توحيده لكي لا يبتلي بالشرك ، واكثر ابتلاء المؤمنين هو بالشرك الخفي كما يذكر ذلك في آخر سورة يوسف حيث يقول : ﴿ **وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون** ﴾ .

لذلك يجب ان نهتم بأمر التوحيد حتى لا يحصل لنا شرك في الصفات والافعال، فلو تخيل أن احد الاسباب او المؤثرات مستقل في التأثير ، أو أنه تصور نفسه أو الآخرين بالاستقلال في التصرفات والافعال فانه قد ابتلى بالشرك الذي ذكرناه مفصلا ، فالذي هو في اصل وجوده محتاج الى آخر كيف يكون مستقلا في التأثير ؟

وفي الآية الشريفة ١٥٥ من سورة آل عمران يقول :

﴿ **يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض او كانوا غزى (ولم يرجعوا) لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا . . .** ﴾ .

فهذا المعنى كفر ، فلماذا تتصورون أنَّ الموت والحياة أمران مستقلان عن السبب ؟ خصوصاً أنَّه يقول بعد تلك الكلمات :

﴿ **والله يحيي ويميت** ﴾ .

فليطلقوا عليه الرصاص ، فإذا كانت ارادة الله بأن يبقى حياً فسيبقيه . ولو كانت مصلحته في أن يقتل فإنه سوف يقتل بأدنى سبب لا أن السفر أو الذهاب الى الجبهة هو السبب

عليك » فالادراك موقوف على الاحاطة ، فالانسان انما يدرك ذلك الشيء اذا احاط به ، والمخلوق محدود فكيف يمكنه الاحاطة بغير المحدود ؟ فحتى لو كان ذلك الشخص اول انسان في عالم الوجود فهو بالنسبة الى الله محدود . وبعد ذلك يقول (ص) : « انت كما اثنيت على نفسك » .

فالثناء هو ثناؤك ، فانت اثنيت عاى نفسك كما وصفت نفسك ، « السميع والعليم ، العزيز الحكيم ، على كل شيء قدير ، الشهيد . . » .

اذن فكمال الانسان بأن يعلم بأن فهم تلك الاوصاف الالهية وادراكها هي في حدود فهمه وادراكه الضيق ، وليست هي واقع الأمر وإلا فان الله سبحانه وتعالى اجل واعلى من ان يحيط احد بذاته او صفاته كما هي . فكمال العبودية في ادارك العجز عن المعرفة : « ما عرفناك حق معرفتك ، وما عبدناك حق عبادتك » .

لذلك يقال بأن هذه الكلمات المنسوبة الى الرسول (ص) تدل على كمال المعرفة ونهاية العبودية عند خاتم الأنبياء (ص) .

فمن شؤون العبودية مثلاً الشكر . فهل يمكن لأي احد منا اداء حق الشكر ؟ فمن حيث أنّ نعم الله غير محدودة فلا يمكن ذلك لأي واحد منا . . النعم الظاهرية والباطنية . . العقل والفهم ، والقدرة على ادراك المعارف هي من نعم الله الباطنية . . كل فهم جديد يعني نعمة جديدة تحتاج الى شكر آخر .

ففي مقابل العظمة اللامتناهية يجب ان يكون هناك خشوع غير محدود ولا متناه ايضاً ، فالعبد مهما اراد ان يظهر عظمة الله في عمله فما الذي يستطيعه ؟ ! غاية الأمر ان يضع جبهته على التراب ويسبحه ويمجده . .

التقوى بمقدار الاستطاعة :

بعض المفسرين قالوا في تفسير هذه الآية الشريفة : ﴿ واتقوا الله حق تقاته ﴾ أن هذه الآية منسوخة او مبينة بآية : ﴿ واتقوا الله ما استطعتم ﴾ وإلا فإن اي مخلوق لا يمكنه ان يؤدي ما عليه من التقوى بما يليق الحق ولكن الذي يظهر من الآية الاولى انها لا اطلاق لها حتى تكون بحاجة الى النسخ او البيان ، لأن « حق تقوى الله » انما هو بذلك المقدار المستطاع ، وإلا فهو تكليف بالمحال ولا يمكن تصوره ابداً ، لأن من المعلوم اننا لو اخذنا باطلاق الآية أي بذاك المعنى الظاهري المستفاد من الآية فانه لا يوجد احد يمكنه ذاك ، فكل فرد يجب ان يتقي

الله كما يستحقه من التقى بالمقدار الذي يمكنه ذلك لا انه بالمقدار الذي يستحقه الله واقعاً .

فخلاصة المطلب ـ ان العبارة التي ينفي فيها الامام الصفات هي الصفات الزائدة ، وعندما يقول « نعت موجودة » فهي الصفات التي هي عين ذاته فكما ان الذات غير محدودة فالصفات ايضاً غير محدودة ، وكما ان احاطة المخلوق بذات الله مستحياته فكذلك احاطته بالصفات ايضاً مستحيلة

في القتل ، السفر والحرب ليست أسباباً مستقلة ، وكل من تصور أنهما سببان مستقلان في الموت فقد كفر .

قبض الروح من فعل معطي الروح :

لو اجتمع كل العالم على إزهاق روحه لما تمكنوا فالقابض للروح هو الله ، وما هو موجود في الخارج إنما هو تهيئة لأسباب الموت ، وأما تحقق الموت أو القتل فهو بإرادة الله .

وطبعاً فمسؤولية القاتل باقية على حالها وهي تهيئة أسباب القتل لكن الكلام في تحقق القتل أو الموت ، فقبض الروح فقط بيد الله ، أو الشفاء من المرض مثلاً فإنه يتصور أن الدكتور هو الذي أعطاه العافية والحال أنه « هو الشافي » فالله هو الذي يعطي العافية فلو أن نفس الطبيب ابتلى بمرض السرطان أو أحد الأمراض غير القابلة للعلاج لحد الآن فهل يمكنه أن يشافي نفسه ؟ إذن كيف يمكنه ذلك في غيره ؟

وفي نفس الآية الشريفة يقول :

﴿ ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم ﴾ .

إذا لم يؤثر السبب فلا يحزن :

يمكننا ان نستفيد هذه الفائدة وهي أن كل من يتصور الاستقلال في سبب معين فإن ذلك يكون سبباً في التعب والهم والتشويش الفكري للشخص ، لأنه عندما لا يحصل الأثر المطلوب من ذلك السبب فإن ذلك سيكون خلاف توقعه وانتظاره ، أما لو كان موحداً فهو لم يكن يتوقع الاستقلال لهذا السبب منذ البداية حتى يتأثر ويحزن عندما لا يحصل منه الأثر المطلوب بل يقول إنه بإرادة الله ومشيئته .

مثلاً عندما تقوم بعمل معين ويكون أملنا بالله ونطمئن بأن حصول النتيجة والتأثير هي بيد الله فهذا يعني أنه لو لم يحصل المطلوب فسوف لا نحزن أو نتألم بل نقول أن الله لم يرد ذلك وأنه لم تكن فيه مصلحة حتماً ، أما لو لم يكن لدينا توكل وأمل بالله فـ«أنا» الذي سأقوم بذلك العمل ، فعندما لا يستطيع ذلك نجده يتألم ويكون ذلك سبباً في حزنه وحسرته .

وفي مورد تلك الآية نجده يتحسر ويقول إنه لو لم يسافر أو يذهب الى الحرب لما قتل ، فهو حزين ومتألم من ذهابه وسفره الى الجبهة ،ولكن على العكس من ذلك الأشخاص المؤمنون وخصوصاً في عوائل شهداء الثورة الاسلامية في ايران في الفترة الأخيرة فما أكثر الذين يفرحون

عند استشهاد احد أقربائهم لأن الله تعالى قد تقبل منهم تلك التضحيات وجعل ابنهم شهيداً ، فهم مسرورون لذلك وفرحون ، وهو كذلك أيضاً لأن قلبه طاهر من كل شرك ، فهو يعلم بأن الله أوصله الى سعادة عظيمة ، ففي الوقت الذي هيَّأ فيه الظالم أسباب قتله ، فإن الله هو الذي قبض روحه وأسكنه الى جواره ، فالذي يأخذ روحه هو الله و يحشره اليه فأي سعادة أعلى من هذه ؟

إذن فالشخص المؤمن إذا أراد شيئاً ولم يقع ذلك الشيء فإنه لا يحزن لأنه يرى أن ذلك بيد الله وبإرادته ، ويعلم بأن الله تعالى أعلم بمصلحة الموجودات ، جزئية كانت أو كلية وهو الخالق لها ولذلك فإنه لا يتأثر .

العداوات التي تحدث بين أفراد البشر من هنا تبدأ حيث يريد أحد من الآخر شيئاً ويتوقع الحصول عليه منه ثم لا يحصل عليه ، فلأنه يتصور أن ذلك الشخص سبباً مستقلاً في العطاء والمنع ، ولم يحصل منه على ما يريد فسيغضب لذلك ويؤدي ذلك الى الحسد والحقد والظلم ولكن عندما يكون متوجهاً الى ربه فإنه لا يرى لذلك الشخص استقلالاً بل يرى أنَّ الأمر بيد المربي وهو الذي يدبر الأمور ويربي الأمور و يديرها ، فتدبير الأمور بيده وهذا اشتباه منك حيث تستخدم الـ (أنا) في عملك .

حب الذات بدلاً من حب الله :

من جملة الأضرار الناتجة من هذا الشرك هو حب الذات ، فبدلاً من حب المنعم يتصور وكأنه لا أحد غيره في هذه الدنيا « حُبُّ الدُّنْيا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ » فلماذا كان حب الدنيا منشأً لكل الذنوب والمعاصي ؟ هل هو حبُّ الأطعمة والألبسة ؟ كلا طبعاً ، لأن جميع ما خلق الله انما هو من أجل هذا الإنسان وينبغي الاستفادة منها ، لكن النقص والخلل في نفس الإنسان الذي يري لنفسه استقلالاً ويريد كل شيء لنفسه .

عندما يسير الإنسان وراء رغباته وشهوات نفسه دون الالتزام ودون مراعاة القوانين الالهية يكون ذلك سبباً في هذه المفاسد والأضرار وتكون هذه (الذات) هي الدنيا ، أما لو كان الأساس هو « الله » و « الآخرة » فان حب الدنيا والتكالب على الذنوب سينتهي ويصبح انساناً جيداً ، فكل ما هو موجود فهو مخلوق لله فلماذا لا يحب تلك الموجودات ولا يريدها ولماذا لا يستفيد منها ؟

إذن فحب الذات هو الذي يؤدي بالانسان الى الابتلاء بالنزاعات والمشاجرات وأنواع

الحرمان من السعادات ، فلو فهم وأدرك جيداً وزال عنه الوهم فإنه يرى ذاته وتحققه من الله ، ليس فقط ذاته وانما جميع الموجودات كذلك ﴿ الله نور السموات والأرض ﴾ فالجميع مظهر لتجلي الحق والجميع مرتبط بالله ولذلك فسيكون « حب الله » هو الذي يملأ قلبه بدلاً من « حب الذات » .

اطمئنان القلب في تذكر احسان الله :

والطريق الى ذلك يسير جداً ، وذلك في عبارة « الإنسان عبد الأحسان » فالإنسان يحب المحسن والمنعم عليه وهذه مسألة فطرية غاية الأمر انه يشتبه في المحسن ، فلو انه ادرك وفهم ان المحسن المطلق له وللآخرين هو الله وكل احسان وكل نعمة منه . . لو اتضح له التوحيد الصفاتي والأفعالي فسيطمئن قلبه ويهدأ ، فالذي يرى وليَّ نعمته معه دائماً ويحسن بانعامه عليه بشكل مستمر . . والذي يرى بأن ربه ومن بيده جميع اموره معه اينما كان فأي اضطراب يحصل له بعد ذلك ؟ بل إن كل ما يقوم به من عمل فسوف يكون بدافع من محبة الله .

يقول الإمام الحسين (ع) في دعاء عرفة :

« وخسرت صفقة عبد لم يجعل من حبك نصيباً » .

فالنجاح والسعادة لذلك الموحد الذي يتحرك بمحبة الله ويطلب رضاه دائماً دون رضا نفسه أو رضا الآخرين .

الفصل الخامس والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

كيف تستخدم في غير رضا المالك ؟

إن كل إنسان عاقل عندما يتدبر في التوحيد الصفاتي والأفعالي الذي تكلمنا عنه مفصلاً سيفهم ذلك حتماً ، لكن الشيء المهم هو قبول القلب ، فالمهم هو تصديق القلب وإيمانه ، لذلك « وكمال توحيده تصديقه » فيجب أن يكون مصدقاً بأنه لا مؤثر في عالم الوجود سوى الله « لا حول ولا قوة إلا بالله »والله تعالى هو الذي سخر هذه الأسباب للإنسان .

الله سبحانه وتعالى قد سخر لي أجزاء هذا البدن ومن جملتها اللسان ، فالحركة التي لدى اللسان هي من الله (بالصورة التي ذكرناها بحيث لا يلزم منه الجبر) فهو الذي جعل هذا اللسان باختيار الإنسان فلا يصح أن يتصوره ملكاً له وأنه مستقل في التأثير . فلو آمن بذلك فكيف يستطيع الجرأة بعد ذلك ليذكر به سوءاً أو كلاماً بذيئاً في الوقت الذي يرى حضور الحق مع كل حركة وسكون ؟

وعندما يصدق بحضور الحق مع كل فعل فسوف لا يستطيع استخدام أجزاء البدن فيما لا يرضاه صاحبه ، فكل خطأ يصدر من الانسان يكون بواسطة الغفلة عن حضور الحق فانه يرى نفسه ولا يرى الله ، وإلا فكيف يمكنه أن يعصي امام المالك لنفسه ولأجزاء بدنه ولكل شيء ؟ !

اليد ملك لله والقدرة التي فيها منه ، فمع الالتفاف إلى هذا المعنى يكون معصوماً بمرتبة من مراتب العصمة كما يستفاد ذلك من الروايات الشريفة : « لا يزني الزاني وهو مؤمن ولا يسرق السارق وهو مؤمن »[1] . فلو ان جميع أسباب المعصية كانت متوفرة لديه إلا أنه لا يصدر منه ذنب مع هذا الإيمان بمعية الله الحي القيوم .

(١) اصول الكافي ج ١ ص ٢٨٥ ح ٢٢ .

حضور الله عند راعي البادية :

ينقل الرازي في كتابه لوامع البينات قصة القافلة التي كانت متجهة إلى الحج وكانوا بحاجة الى مؤونة وغذاء فوصلوا إلى قطيع من الأغنام وقالوا للراعي : هل لك أن تبيعنا واحدة من هذه الأغنام ؟ فأجابهم الراعي : إنها ليست ملكاً لي وليس لي إجازة بالبيع من قبل المالك .

فقال أحد أفراد القافلة : بع لنا واحدة وخذ ثمنها لك وقل لصاحبها إن الذئب قد أكلها ، فانتبه الراعي فجأة وقال : « فأين الله ؟ » . هل ان الله لا يرى ؟

هذا الراعي ساكن البادية ولكن قلبه متنور ، مع أن الكثير من الناس يعملون على تقوية ذاتياتهم ولذلك يكون حجابهم أقوى وأشد ، فيجب على الإنسان أن يسعى مهما أمكنه في إزالة هذا الجهل « الذات » .

أساساً ما هي هذه الـ (أنا) ؟ فهي بدون الوجود لا شيء وأمر وهمي ومع الوجود فهي شعاع من الله وتجلي وظهور للحق وليس لها ربط بالشخص .

التوكل على الله واطمئنان القلب :

يجب أن يكون لديه واضحاً « هو معكم أينما كنتم » فإذا صدق القلب وآمن بهذا المعنى فسيكون من آثاره التوكل ، فما لم يصل إلى الإيمان لا يكن توكله واعتماده على الله ، وإنما اعتماده على نفسه وتكون النتيجة ألواناً من المصائب .

الآثار العجيبة للمؤمن المتوكل ذكرت بشكل مجمل ، فلو أنه كان في قعر البئر أو في بيته لأ[illegible] بان لديه . ولو أنه اصبح وقد تلفت جميع أمواله وأملاكه فإنه لا يتغير حاله لأن اعتماده لم يكن على امواله وإنما على الله ، ذلك الله الذي لا يأثر بوجود المال وعدم وجوده ، وإنما هذه النفس التي تجعل من القصر سجناً ، حجاب القلب هو المسبب للهموم الفكرية والروحية مهما كانت الأمور المادية الظاهرية متوفرة .

مقومات الوكيل :

فما دام الوقت باقياً يجب التفكير في ازالة الحجاب وكما قال الإمام أمير المؤمنين (ع) في نهج البلاغة :

« الله الله في أعز الأنفس اليكم وأحبها لديكم » .

فاترك انانيتك وليتحرق قلبك عليك فإلى متى البقاء في شباك الجهل عن الواقع ؟ . لماذا لم يعثر على الحقيقة ؟ . كيف يترك الله ويلزم نفسه ؟ . كيف يترك ذلك الرب العليم القدير ويتمسك بغيره ؟

قيل في باب الوكيل انه لا بد أن يكون بثلاثة شرائط : فالأول أن يكون عليماً ، والثاني أن يكون مقتدراً ، والثالث أن يكون رحيماً . فكل من أراد أن يتخذ وكيلا وكانت هذه الشروط متوفرة لديه فهو لائق لذلك ، والآن نقول : من هو أرحم وأعلم وأقدر من الله ؟ . فالله أرحم بك من نفسك ، ينبغي الإلتفات إلى رحمة الله ولطفه وإحسانه فإنه هو الذي يكفيك .

يجب أن يملأ حب الله جميع القلوب ، ويكون العشق عشق الله . سمعتم أن رسول الله (ص) يقول : « أرحني يا بلال » فبالأذان وذكر الله ترتاح الروح ، وبذكر الله تحصل على الراحة والسعادة .

اشكو الى الله من هوى نفس :

من الأشياء التي تضعف حجاب النفس وتجعله رقيقاً هي المناجاة وطبعاً المناجاة بالمعنى الحقيقي وليس قراءة الألفاظ فقط وذلك بأن يرى الله حاضراً وناظراً ويعرفه بالعلم والقدرة والرأفة ويعرف نفسه بالذلة والعجز ، وأن يفهم بأنه واقع في مصيدة النفس وبحاجة إلى المساعدة .

ففي الدعاء الحزين الوارد في آخر حاشية مفاتيح الجنان أنه بعد الإنتهاء من صلاة الليل تقرأ :

« فواغوثاه من هوى قد غلبني ، ومن عدو قد استكلب عليّ » . ويئن بذلك أنين المتوجع ، يناجي ربه : إلهي أغثني من هوى نفسي الذي أوقعني في شباكه . . إلهي من الذي ينقذني من عدوي فقد حرمني من كنز العرفان والإيمان . . وفي الصحيفة السجادية :

« فإن نفسي أمّارة بالسوء إلا ما وفقت ، مختارة للباطل إلا ما نهيت » . فمع المناجات والطلب الشديد من الله سيغدو حجاب النفس رقيقاً ، وبالتدريج يشرق نور الايمان الحقيقي . . يجب الطلب من الله .

نطلب اليقين من الله :

الدعاء الوارد في أصول الكافي عن رسول الله حيث قال أنه دعائي ودعاء جميع الأنبياء وهو :

« اللهم إني أسألك إيماناً تباشر به قلبي ويقيناً صادقاً حتى أعلم أنّه لن يصيبني إلا ما كتبت لي ورضني من العيش بما قسمت لي يا أرحم الراحمين » .

يجب أن يناجي ربه بقلب مشتعل ومتألم : إلهي ، أنقذني من نفسي . . من شر نفسي وذاتي . . من هذا العدو الذي « قد استكلب عليّ » وهجم عليّ .

محبة الله على أي حال :

إذا أراد الله برحمته ولطفه إزالة هذا الحجاب العظيم ، فسينفتح القلب ويتعرف على ربه ، وتكون محبة الله في قلبه بشكل تكون هذه العبارات من دعاء أبو حمزة الثمالي للإمام زين العابدين (ع) لسان حاله .

« إلهي لو قرنتني بالأصفاد ومنعتني سيبك من بين الأشهاد ودللت على فضائحي عيون العباد وأمرت بي إلى النار وحلت بيني وبين الأبرار ما قطعت رجائي منك ولا خرج حبك من قلبي ، أنا لا انسى أياديك عندي » .

فمع كل تلك المصائب التي تعرض لها إلا أن قلبه سعيد مع ربه لأن نعمه ظاهرة أمام عينه ولا ينساها ، فمع عدم وجود « النفس » تهون الصعوبات ، فلو أن حب الله ثبت في قلب الإنسان فسيكون التعب و الراحة متساويان عنه ، فهو سعيد في كل حال وقد وصل إلى مقام الرضا فهو راض من ربه وقلبه راض في كل شدة وعسر

ويمكن ألا يتفق هذا المعنى مع عقولنا السطحية ولكنه عين الحقيقة فيجب أن نحقق مضمون هذه الأدعية ونسعى للوصول الى هذه المقامات في المدة التي نعيش فيها .

إذا تفتح الشعور والإدراك فسوف تتعلق محبته بالله لا غير ، لأنه عندما يحب شيئاً فهذا يعني أن محبته اما لذات وجوده أو لصفاته فالصفات أمور وهمية ووجوده أيضاً من الله وقد ذكرنا ذلك بالتفصيل مرات عديدة ، إذن لماذا تتعلق قلبه بغير الله ؟

وهكذا يكون قلبه متجهاً اتجاهاً واحداً .

الفصل السادس والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

ما هو الاخلاص لله :

يجب ان يصل التوحيد الى الإخلاص فكمال التوحيد هو الإخلاص فلا ينبغي للانسان ان يتوقف في طلب المعارف بل ينبغي ان يتحرك دائماً وباستمرار للوصول الى التوحيد فإن روح الدين هو الإخلاص والذي يذكره القرآن الكريم في مواردمتعددة :

﴿ وما أُمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾[1] .

فأعلى مقام يصل اليه الانسان هو أن يخلص دينه لله .

الأخلاص للحق هو أن يرى الله خالصاً من الغير ، ان يراه منزها من الحد والعد والنقص ، ذاته الأزلية والأبدية منزهة عن ان يكون لها مثل . . وصفاته منزهة من النقص حتى يصل الى انها ليست زائدة على الذات وإلا فهو شرك في هذه الصورة وتعدد في الواجب كما سبق ذكره .

التسبيح والتحميد عادة يذكرون سوية « فسبح بحمد ربك » و « سبحان الله وبحمده » فالحمد والتسبيح متلازمان ، فالانسان الموحد كما انه يثبت الحمد والكمال لله ففي نفس الوقت يراه منزهاً من كل نقص وذلك بأن يعتقد بأن الكمال ليس زائداً على الذات وإلا فإنه يلزم التركيب والإحتياج ، وكذلك يلزم منه العروض والتجزؤ ، فعليه أنْ يعتقد بأن صفات الله ليست كصفات المخلوق بالصورة التي ذكرناها .

(١) سورة ٩٨ الاية ٤ .

شبهة طفولية وجوابها :

والخلاصة أنَّ تنزه الحق يكون بالعلم بأن صفاته المقدسة منزهة من أي نقص ، وهناك شبهة ذكرت في زمان الإمام الصادق (ع) وسألوا عنها هشام تلميذ الامام الصادق (ع) والآن أيضاً تسمع في بعض الأحيان وهي هل ان الله قادر على أن يجعل العالم في بيضة دون ان تكبر البيضة او يصغر العالم ؟

فتحير هشام في الجواب لأنه اذا قال الله لا يتمكن فقد وصف الله تعالى بالعجز وهو كفر ، ولو قال يمكن ذلك فقد نسب الى الله امراً محالاً لذلك جاء الى الامام الصادق (ع) وعرض عليه تلك الشبهة فاجاب الإمام (ع) : ويوصف ربنا بالعجز ؟ يعني لا يمكن ان نقول بأن الله عاجز ، ولكن القدرة لا تتعلق بالمحال ، فالشيء المحال غير لائق للحدوث ، فالنقص في المحل وليس في قدرة الحق ، فالبيضة ليست لها القابلية كي يوضع فيها شيء اكبر منها لا أن الله لا يقدر على ذلك .

لذلك ومن أجل ان يفهمه نموذج من قدرة الله قال له : انظر الى تلك الأطراف فماذا ترى ؟ فقال : سماء وارضاً ، جبالاً وسهولاً . اشجاراً وأناساً و. .

فقال : هذا النظر قد جعله الله في عدسة واحدة بحيث جعل كل هذه الصور لهذه الموجودات في هذه العدسة فهذه هي القدرة لأن المحل له القابلية على ذلك ، فهناك تصاوير تنعكس على هذه العدسة مهما كان حجم اصحاب تلك التصاوير ، اما في مثال البيضة فالنقص في القابل لا في القدرة .

جميع الصفات الكمالية للحق كما بينا ترجع الى العلم والقدرة ، وهاتان الصفتان ليس لهما حد ونهاية وليس فيها نقص ، فلو ان احداً قال بنقص معين في الصفات فإنه حافص في التوحيد .

الحصن المنيع للتوحيد مشروط بالولاية :

ورد في توحيد الصدوق وعيون اخبار الرضا (ع) أن الإمام الرضا (ع) عندما كان قادماً الى خرسان ذكر حديث سلسة الذهب في مدينة نيشابور وقال :

« لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي » .

وبعد ذلك قال :

« بشرطها وشروطها وانا من شروطها » .

فكون التوحيد حصناً وقلعة له شروط . ومن جملتها الإخلاص في ذلك ، فلو ان احدا كان منكراً للنبوة والامامة فإنه ليس له توحيد ، فالذي يقول بان الله لم يبعث نبياً يتضح من كلامه ان الله تعالى ليست له حكمة في الخلق ، فلو ان الله لم يبعث احداً لهداية البشر فهذا يعني انه قد منع الفيض ومنع اللطف وخلق البشر وتركه حائراً مع انه خلقه لهدف سام وباق ، لذلك يقول في القرآن المجيد :

﴿ وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء ﴾[1] فالله العالم بكل شيء عالم بأن البشر بحاجة الى مرشد ومبلغ اذن لماذا لم يرسل له رسولاً ؟ فهل ان الانسان يعلم والله لا يعلم بذلك ؟ فالمنكر للنبوة منكر لعلم الله وحكمته البالغة ولذلك فهو ناقص في التوحيد .

التوحيد ناقص بدون الاعتقاد بالامامة :

وكذلك الأمر في باب الإمامة ، فالذي ينكر الامامة يكون توحيده ناقصاً أيضاً بنفس الكلام الذي ذكرناه في النبوة ، فالاسلام هو الدين الكامل الى يوم القيامة بحيث اذا تركه اي واحد واتخذ غيره دينا فلن يقبل منه ، اذن فكيف لا تكون هناك حاجة الى امام لحفظ الدين ونظام المجتمع واجراء الأحكام ؟

اذن يجب ان يكون هناك شخص على رأس المسلمين يعرفهم بالاسلام ويطبق احكام الاسلام ، فلو لم يكن هناك مجتمع فلا اجراء للاحكام والحدود ، واجتماع المسلمين يكون ببركة القائد والامام ، لذا يقول الامام الرضا (ع) في حديث سلسلة الذهب « وانا من شروطها » فيجب على الموحد ان يقبل بالامامة لكي لا يبقى توحيده ناقصاً ، فلو أن احداً قال بعدم الحاجة الى الامام فهو لم يعرف الله بالحكمة ، مع ان عقل اي انسان يدرك بأن الدين لو كان كاملاً ـ وهو كذلك ـ وقد بينت فيه جميع المسائل والأحكام اذن كيف يسكت عن هذا الأمر المهم الذي يتوقف عليه حفظ اساس الدين ..

وفي زمان الغيبة كذلك فلو لم يقبل بإمامة الفقيه العادل الجامع للشرائط فهذا يعني ان الله قد ترك المسلمين لسنوات طويلة ومتمادية من دون قائد وهذا خلاف الحكمة فلذلك يكون هذا الشخص ناقصاً في توحيده .

(١) سورة ٦ الاية ٩١ .

المعرفة من الله والطاعة من الناس :

والجدير بالذكر ان اللازم للحكمة هو بيان الحكم وتعريف ولي الأمر لكن الشرط في تولية الحكم هو ارادة واطاعة الناس له ، ففي أي وقت يسلمه المسلمون مقاليد أمورهم تتم حجة الله عليه ويجب عليه أن يحكم كما أنه بعد ٢٥ عاماً من وفاة الرسول (ص) اجتمع المسلمون حول الامام علي (ع) وقبلوا طاعته فلذلك استلم الامام (ع) مقاليد الحكم .

إذن ، فاولئك الذين يقولون نحن شيعة علي (ع) وفي نفس الوقت يقولون انه لا حاجة في زمان الغيبة الى القائد فانهم ناقصون في التوحيد أيضاً ، فهل يمكن ان تهمل أهم المسائل وهي زمام أمور المسلمين ونظام مجتمعهم لمدة سنوات متمادية في عصر الغيبة ؟ يجب ان تعلموا بأن هؤلاء الأشخاص ليس لهم اطلاع على حقيقة التشيع ، بل انهم وبدون ان يشعروا ناقصون في التوحيد أيضاً ، اذن فيجب القول بالإمامة وباستمرارها الى قيام القيامة .

الاعتقاد بالتوحيد لا يصح بدون الاعتقاد بالمعاد :

وكذلك لو أن احداً انكر المعاد فإنه يتهم الله سبحانه وتعالى بالعبث ، فلو لم يكن المعاد فإن خلق البشر يكون بلا فائدة ومجرد لعب وعبث ، فكل انسان يأكل ويشرب كالحيوان ويتحمل المتاعب وبعد ذلك يصبح عدماً ، فهل ان كل هذه الكائنات العظيمة لأجل هذه الأيام المعدودة ومع كل تلك المشاكل ؟ ! فهذا الشخص مهما كان معترفاً بالله لكنه لم يعرف الله بالحكمة وأنه منزه من افعال العبث ويكون في الحقيقة قد نفى عنه العلم .

وعلى أي حال فإن توحيد الله يجب ان يكون مصحوباً بالتنزيه وهو الإخلاص في التوحيد ، فالشخص الموحد يجب أن يكون لديه اخلاص التوحيد ، فكلمة « سبحان الله » ملازمة للحمد لله فربي منزه من كل نقص ، وليس له شريك في الصفات .

عليه ان يعرف جميع الصفات السلبية وينزه الله منها ، وطبعاً فإن الصفات السلبية ترجع الى سلب السلب ، فالله تعالى ليس بجسم فمعنى ذلك أنه ليس له مكان ولا زمان ، ولا يمكن رؤيته بالعين الظاهرية وليس له كيفية وانما هو خالق الكيفية .

اذن فالاخلاص في التوحيد هو بأن يعتقد بأن الله منزه ، من كل نقص في صفاته ، وكما ان صفاته المقدسة عين ذاته وذاته المقدسة غير متناهية فعلمه وقدرته أيضاً غير متناهيان ، وكما

انه من المحال ان يحيط المخلوق بذاته المقدسة ، فكذلك لا يمكنه الاحاطة بصفاته الكمالية ايضاً .

لذلك فكمال الانسان واقعاً هو بأن يدرك عجزه عن معرفة الله حق معرفته فهو كمال لا نهاية له ، فيجب ان يكون حمده لا نهاية له كذلك فمتى يمكن ان يحصل « الحمد لله كما هو اهله » ؟ فحمد الله هو ذلك الحمد الذي يليق به ، فمن الذي يمكنه ان يؤدي ذلك الحمد الحقيقي ؟

وخلاصة المطلب هو أن الله تبارك وتعالى كما أنه ليس له شريك في الذات وكل ما هو موجود فوجوده عارض عليه ومن قبل الله ، وأنه موجود بوجود الله ، فكذلك في الصفات فإنه لا شويك له فكل علم وقدرة في كل مخلوق هو من علم الله وقدرته أيضاً ، وهذا المطلب قد ذكر بالتفصيل فيما تقدّم .

الفصل السابع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الاخلاص في المخلوق خلوص في العبودية :

الإخـلاص تارة يكون بالنسبة الى الله سبحانه وتعالى حيث قلنا ان الموحد يجب ان يعتقد بالله خالصاً من كل نقص وعيب وعجز وحد وشريك وكذلك يعتقـد بانـه منزه من ان يحيط بذاته او صفاته مخلوق ، فكمال الانسان هو ان يدرك انه عاجز عن معرفة الحق بما هو لائق وحق الله لانه اجلُّ واعلى من احاطة المخلوق .

اما الاخلاص الراجع لنفس المخلوق يعني ان الشخص ايضاً يجب ان يكون مخلصاً في العبودية ويخلص من التعلق بما سوى الله . فكما انه يعتقد بانه لا مؤثر سوى الله فكذلك يجب ان لا يكون لديـه اي ايمان وخضـوع ومحبة استقـلالية لأي واحـد من المخلوقات ، فكمـال الاخلاص في العبد هو ان يخلص لله في العبودية وأن لا يكون له تعلق وتذلل وخشوع لغـير الله ، وقد امر الله في قرآنه المجيد الانسان المـوحد بـان يكون مخلصـاً في عبوديتـه كما ذكـرنا ﴿ **مخلصين له الدين** ﴾ ، والمخلصين في الآية الشريفة حال للعباد فاعتماده فقط على الله وكل ما يحبه فهو من اجل حبه لله .

يحب كل الموجودات من اجل الله :

لا احد يقول بترك محبة الأولاد او المال ، وانما يحبها باعتبار انها عطاء من الله ومخلوقة لله حتى بالنسبة الى اعضائه وجوارحه ايضاً فهو يحبها باعتبار نسبتها الى الله ، بـل عليه ان يحب جميع اجزاء عالم الوجود ولكن ليس بالاستقلال وانما باعتبار انها مخلوقة له .

فالغرض ان اخلاص العبد يكون في العبودية والذي ذكرناه قبلا ضمن رواية عن الامام الصادق (ع) حيث يقوم « حام حول ربه » بان يستولي ربه على جميع قلبه .

رسد آدمي بجائي كه جز خدا نبيند بنگركه تاجه حد است مقام آدميت

يعني ان الانسان يصل الى حد لا يرى فيه الا الله ، فانظر الى اي حد مقام الانسانية .

فلا توجد في قلبه علاقة بغير الله ولا يرى مؤثراً غيره ، ومنه تدبير الامور الجزئية والكلية وحل أية مشكلة . . ان يعتقد بان المعطي والآخذ والمربي والمحيي والمميت وجميع الشؤون منه عند ذاك يكون عبداً مخلصاً بتمام المعنى وقد وصل الى كمال التوحيد .

القلب النزيه يرى الله منزهًا :

المرتبتان المذكورتان من الاخلاص (وهما الاخلاص بالنسبة الى الحق وهو تنزيهه ، والاخلاص الراجع الى نفس الشخص وهو الخلوص في جميع شؤون العبودية) متلازمان ولا يفترقان ، فالاخلاص في اي واحد منهما اخلاص في الآخر ، مع ان ظاهر العبارة « وكمال توحيده الاخلاص له » وظاهر كلمة « له » هو اخلاص نفس الشخص ولكنه ايضاً يحتمل كلا المعنيين فلانه يعتقد اعتقاداً خالصاً بالله فقد اصبح هو خالصاً ايضاً ، فالشخص الذي تعلق قلبه بالغير هو في الحقيقة يعبد الغير ، فالقلب المعلق بشيء (بشكل مستقل) مبتلى بمرتبة من الشرك حيث فسح المجال في قلبه لغير الله ، وهذا يعني انه لم يعرف الله بانه الخالق المطلق والخالق لنفس ذلك الشيء الذي تعلق به قلبة ، ولم يفهم بان كل كمال منه ، فانه قد رأى الكمال في ذلك المحبوب الذي تعلق به قلبه ولصبح مقيداً به ، اذن فهو لم يخلص ولم يرى الله خالصاً .

او من كان يعتقد بان الشخص الفلاني يمكنه حل مكشلته واعتقد به على نحو الاستقلال وترك الله ، فانه لم يخلص في قدرة الله وتدبيره بذلك المقدار ، ولم يرى الله خالصاً .

المرائي مشرك حتما :

ذكر البعض في شرح نهج البلاغة ان المقصود هو اخلاص الرب ، وذهب آخرون بان المقصود هو الاخلاص في العبد ، وبعض قالوا انه ترك الرياء، فجميع هذه الامور موجودة ، انتبهوا الى نفس موضوع الرياء هذا ، فلو ان الشخص كان يعبد حتى يراه شخص آخر فهو الان ليس خالصاً بنفسه ولا رأى الله خالصاً ، فهو غير خالص بنفسه لانه لحد الآن مشرك ويعبد غير الله ، وكذلك لم يرى الله خالصاً لانه ومن اجل التظاهر يعبد غير الله ، وكذلك لم يرى الله خالصاً لأنه ومن اجل التظاهر يعبد غير الله ومن المحال ان يرى احد الله حاضراً وناظراً ثم يعبد غيره ويجعل من نفسه عبداً للغير في حضوره . ولكنه تصور ان الله في معزل

عنه فتعلق قلبه بالمخلوق مع ان كل الامور بيد الله ، فلا هو اخلص في عبوديته ولا رأى الله خالصاً .

نتيجة الاخلاص لقاء الله :

يقول سبحانه وتعالى في آخر سورة الكهف :

﴿فمن كان يرجو لقاء(رحمة) ربه فليعمل عملا صالحاً (خالصاً) ولا يشرك بربه احداً﴾ .

قال البعض بأن هذه الآية سبب لبعث الامل والرجاء وان لا يصبح الانسان في يأس ، بل يعلم بان هناك طريق يصل الى الله ولكن طريقه هو الاخلاص ، فلو امكنه ان يكون خالصاً فانه يصل الى لقاء الله ، لانه عندما تكون نفسه خالصة فانه سوف يرى الله خالصاً حتماً وعند ذلك تزول عنه الانانية ، ففي كل وقت ترك الانانية ، والذاتية فهو في حضور الحق دائماً وفي لقاء الله وطبعاً فانه منزه من اللقاء الصورى او الجسمي .

وفي كتاب التوحيد للصدوق عندما سأل ذعلب من الامام امير المؤمنين (ع) « هل رأيت ربك » ؟ فقال : « كيف اعبد رباً لم اره ؟ »ثم قال :

« لا تراه العيون بالابصار ولكن تراه القلوب بحقائق الايمان » .

عند الاخلاص يكون اللقاء بالقلب :

هذه العين الحسية تخطىء فكل ما تراه لا يمكنها ان تقول بانه هو القواقع والصحيح فتارة ترى الامور الوهمية على انها حقيقة ، الجسم المنير الذي يدور بسرعة تشاهده على شكل دائرة فانه لاجل السرعة يظهر للحس على شكل دائرة وليست لها حقيقة ، وموارد الخطأ في الباصرة كثيرة ، وقد ذكر ذلك في محله ، فهذه العين الحسية بهذا الشكل لا يمكن ان ترى الله . وانما ترى الاجسام الكثيفة ، والله سبحانه وتعالى خالق للجسم ومنزه عن الجسميه ، بل « تراه القلوب » .

ولكن متى تتحقق رؤية هذه القلوب ولقاؤها ؟ يتحقق ذلك عندما لا يرى نفسه ، فما دام الانسان غير خالص من ذاتيته او من اي مخلوق فانه عاجز عن رؤية الله ، ولكن عندما يصبح خالصاً فان اول مرتبة هي الشهود ولها ايضاً مراتب عديدة الى ان يصل الى مرتبة يكون في لقاء الله دائماً .

إذن ، فالخلوص في العبودية يكون مصحوباً بالخلوص في الربوبية ، فما لم يترك نفسه لا يمكنه رؤية الله بقلبه ، فيجب ان نفهم معنى اخلاص الذات واذكر لذلك حديثاً شريفاً من اصول الكافي في كتاب الذكر .

علامة الاخلاص الحذر من كل ذنب :

يقول الامام (ع) :

« من شهد ان لا اله الا الله خالصاً مخلصاً وجبت له الجنة واخلاصه ان يحجزه لا اله الا الله عما حرمه الله » .

فالعبارة في الرواية هي « من شهد »ولم يقل « من قال » ، فكل من شهد بذلك ، والشهادة من الشهود فيجب الالتفات الى ان من يصل الى العلم والشهود في التوحيد فهو مخلص سواءاً كان الاخلاص بالنسبة الى الله حيث يراه خالصاً من اي نقص ، او كان الاخلاص في نفسه حيث اصبح خالصاً في العبودية ، « خالصاً ومخلصاً » وهذا هو الذي تجب له الجنة .

بعد ذلك ولاجل ان يتضح المطلب اكثر يقول الامام (ع) بان علامة ذلك الاخلاص بان يحجبه ويمنعه توحيده عن اي ذنب ، لانه يرى الله حاضراً عنده فكيف يمكنه المعصية ؟

برهان الرب يمنع يوسف (ع)

عندما اشتبك يوسف في ذلك المكان الخالي مع زليخا كان برهان الرب هو المانع له من التلوث ، فلو لم يكن برهان الله لاراد السوء ايضاً لكن برهان ربه هو الذي منعه ، برهان الرب هو نفسه حضور الرب بان يرى الله حاضراً ، فهذا افضل عاصم وحافظ ، فعندما يرتكب الانسان اي ذنب يكون ذلك ناتجاً من الغفلة عن الله تعالى .

وقد ذكروا في التاريخ ان زليخا.قد القت مقنعتها على شيء وغطته في ذلك الوقت فسألها يوسف ما هذا ؟ فقالت : هذا صنمي ولا اريد ان ارتكب ذنبا في حضوره ، فقال يوسف : انت استحييت من صنم صنعتيه بيدك وهو لا يرى ولا يسمع ، فكيف لا استحى أنا من رب العالمين ؟

هذا هو برهان الرب الذي منعه من التلوث بالسوء

المخلصين مرتبة من العصمة :

متى يجعل التوحيد الانسان من اهل الجنة ؟ عندما يصل الى مرتبة الشهود ، ويكون خالصاً ومخلصاً حيث يصل هو الى مرتبة الاخلاص في العبودية ، وايضاً يعلم بان الله خالص من اي نقص وعيب ، ونتيجة لذلك فانه يكون محفوظاً من كل ذنب .

طبعاً المقام الاعلى يرتبط بالمعصومين ، ويمكن للاخرين ان تحصل لديهم مرتبة من العمصة ، فلو صادف وان صدر منهم خطأ فانه من قبيل (اللمم) والصدفة ، وفي المعصوم لا يوجد حتى (اللمم) فلا كبيرة ولا صغيرة ولا حتى تصور وتخيل ارتكاب الذنب ، اما في غير المعصوم فيمكن تخيل الذنب او اللمم وبشكل اتفاقي بحيث يصلحه فوراً بالتوبة والرجوع الى الحق .

والشخص الذي وصل الى مرتبة الاخلاص يصل امره لان يترك حتى المكروهات ويصل الى مرتبة اعلى من ذلك بان يترك حتى المباحات التي تكون بنظره خلافاً للادب ايضاً .

وقد نقل عن المقدس الاردبيلي وكذلك عن غيره ايضاً بانه لم يمد قدمه مدة طويلة سواء كان جالساً في مجلس عام او كان وحيداً في البيت لانه جالس في محضر الله تعالى ، ويذكر في لآلىء الاخبار بانه مد رجليه عند الوفاة فقط الى القبلة وقال : الهي منذ مدة وانا لم أسيء الادب ، ولكن الآن فهو أمرك بان امد رجلي . . هذه هي نتيجة المعرفة عند الانسان .

وذكروا في حالات الشيخ مرتضى الانصاري انهم مددوا رجليه الى القبلة ولانه كان مصاباً بالاسهال فقد كان يدير رجله عن القبلة ، فتعجب الحاضرون من ذلك ، فقال لهم الشيخ : اعملوا بواجبكم ، انا أيضاً اعمل بواجبي . لانه في حالة خروج النجاسة يحرم استقبال القبلة .

الفصل الثامن والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

حوام العبودية مقام سلم :

كان الكلام حول الاخلاص في العبودية ، فبعد ان يصل الانسان في كمال التوحيد الى الاخلاص وتكون علاقته منحصرة بالله وينفصل من غير الله ، ستحدث عنده حالة من العبودية الدائمة ، كما ان الله دائم الربوبية ، وكما ان الله تعالى لو تركه لحظة واحدة فانه سوف يسقط من ذلك المقام الشامخ وكذلك لو توجه او تعلق قلبه بالغير ايضاً .

فقد اصبح مشهوداً لديه بانه لا خير الا من الله اذن فليس لديه ذرة من الرجاء لغير الله ، وخوفه ايضاً من الله وكذلك توجهه وتعلقه ايضاً ، الدعاء المنقول في بحار الانوار عن رسول الله (ص) والذي كان يداوم عليه يفهمنا هذا المعنى :

﴿رب لا تكلني الى نفسي طرفة عين ابداً ، ولا تردني في سوء استنقذتني منه ابداً ، ولا تسلبني صالح ما انعمت عليّ ابداً ، ولا تشمت بي عدواً ولا حاسداً ابداً﴾ .

من هذه الجملات الاربعة يتضح جيداً كيف ان العبد ليس بيده اي شيء ، فلو ترك الى نفسه لحظة واحدة لهلك ، لذلك نجد أن الذين وصلوا في المعرفة الى مثل هذا المقام فان لحظة واحدة من الغفلة والالتفات الى الغير تحسب لهم ذنب ، وطبيعي انه بالنسبة الى ذلك المقام من الشهود فان لحظة سقوط واحدة في العبودية تعد ذنب كبير بالنسبة اليه .

من هذا البيان تتضح بعض كلمات الامام في الادعية الواردة من المعصوم في الاماكن التي يعترف فيها بالمعصية والخطأ مع انه معصوم من اي خطأ فهو ليس مثل الاخطاء والذنوب التي تصدر من أمثالنا لا الصغيرة ولا الكبيرة ، وانما هو من قبيل ان تلك الحالات التي

يكون عليها في منتصف الليل وعند السحر من الخضوع والمناجاة لا تكون لديه عند ساعات الاشتغال في النهار فيعد هذا معصية له .

مراتب التوبة ، خاص الخاص :

ذكروا للتوبة ثلاثة مراتب : توبة عامة وخاصة واخص :

فتوبة عم وخص واخص فالعم للذنب وخص قد يخص
لترك الاولى ، والاخص توب منه توجه بغير حق قد زكن

فالمرتبة الاولى هي التوبة العامة من الذنوب الكبيرة والصغيرة الواردة في الشريعة .

والمرتبة الثانية : التوبة الخاصة وهي التوبة من ترك الاولى ، كأن يرتكب الانسان مكروهاً او عملا غير لائقاً ، فالتوبة هنا تكون من ترك المستحبات وعمل المكروهات .

المرتبة الاخص او الخاص الخاص وهي مرتبة اعلى وهي التوبة من التوجه الى غير الحق ، فاولياء الله يتوبون من ذلك .

ونجد نماذج لذلك في الادعية الواردة عن اهل البيت (ع) مثلا يقول امير المؤمنين (ع) في مناجاته :

« ليت شعري،في غفلاتي كيف حالي ، ءأنت معرض عني أم ناظر إلي » .

والغفلة من الشهود لها مراتب ونحن عاجزون عن ادراك تلك المرتبة التي عند المعصوم ولكن قد يمكننا ان نفهم بان الامام عندما يكون مشغولا بالطعام او الحديث مع هذا وذاك لا يكون له ذلك التوجه التام الذي يحصل له في حالة الصلاة ، فهذه النقيصة والفرق بين الحالتين يعدها الامام معصية ، وحتى في حالاتهم الروحية فانها غير متساوية ففى بعضها يغلب عليهم الشهود والحضور الى درجة انهم يغمى عليهم ، وهذا الاغماء ليس كاغماء أمثالنا وانما يكون متناسباً مع مقامهم ونتيجة لزيادة الحضور الروحي .

انهم معصومون من كل ذنب صغيراً او كبير او مكروه ، بل وحتى الترك الاولى ، اما المناسب لذلك المقام فهو دوام الشهود ودوام العبودية والادب التام ولكن في بعض الحالات التي تلازم مقام البشرية وكونه بشراً لا يتيسر له ذلك فيعد ذلك ذنباً له .

البشارة لمن يحب الاخلاص :

وردت بشارة عن الامام الصادق(ع) في ضمن رواية في باب السجدة بامكانها ان

تبعث فينا الامل والرجاء ، لان الامام (ع) يقول : « الذي كان فيه حب الاخلاص »[1] ولم يقل « من اخلص » وانما من كان يحب الاخلاص ، نرجو من الله ان نحب الاخلاص في العبودية ولا يكون الا اذا اراد الانسان ذلك كما هو وارد في الروايات .

واشمل العبارات والكلمات التي تجمع معنى العبودية حديث شريف مروي عن الامام الصادق (ع) في المجلد الاول من بحار الأنوار قال الصادق (ع) : يا ابا عبد الله (عنوان البصري) ليس العلم بالتعلم انما هو نور يقع في قلب من يريد الله ان يهديه فان اردت العلم فاطلب اولا في نفسك حقيقة العبودية واطلب العلم باستعماله واستفهم الله يفهمك . قلت : يا ابا عبد الله ما حقيقة العبودية ؟ قال : ثلاثة اشياء ، ان لا يرى العبد لنفسه فيما خوله الله ملكاً لان العبيد لا يكون لهم ملك يرون المال مال الله يضعونه حيث امرهم الله ، ولا يدبر العبد لنفسه تدبيراً ، وجملة اشتغاله فيما امره الله به ونهاه عنه ، فاذا لم ير العبد لنفسه فيما خوله الله ملكاً هان عليه الانفاق فيما امره الله تعالى ان ينفق فيه ، واذا فوض العبد تدبير نفسه على مدبره هان عليه مصائب الدنيا ، واذا شتغل العبد بما امره الله تعالى ونهاه لا يتفرغ منهما الى المراء والمباهاة مع الناس ، فاذا اكرم الله العبد بهذه الثلاثة هان عليه الدنيا وابليس و الخلق ولا يطلب الدنيا تكاثراً وتفاخراً ولا يطلب مما عند الناس عزاً وعلواً ولا يدع ايامه باطلا فهذا اول درجة التقوى ، قال الله تعالى : ﴿**تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً والعاقبة للمتقين**﴾ .

وهو حديث طويل احاول ان اذكر منه بعض الفقرات للتوصل الى العبودية .

علم العشق غير منقوش في الدفاتر :

يدخل عنوان البصري على الامام الصادق (ع) وبعد كلام وحديث بينه وبين الامام (ع) يقول له الامام (ع) :

« ليس العلم بالتعلم انما هو نور يقع في قلب من يريد الله ان يهديه » .

فعلم التوحيد ، والايمان ، والعلم بالله ليس علماً كسبياً بحيث يحصل عليه الانسان من

(١) قال رسول الله (ص) قال الله تعالى لا أطلع على قلب عبد فاعلم فيه حب الاخلاص لطاعتي لوجهي وابتغاء مرضاتي الا توليت تقويمة وسياسته . (اسرار الصلاة للشهيد الثاني ص ١٣٣) .

قراءة الكتب فذلك هو علم الكلام والاستدلال العقلي الذي ذكرناه مراراً ، اما الايمان والتصديق فهو نور يمن به الله ومقدمة ذلك بيدك انت .

« فان اردت العلم فاطلب اولا في نفسك حقيقة العبودية ، واطلب العلم باستعماله واستفهم الله يفهمك » .

فهذا العلم يكون بالعمل يعني ان الانسان لو عمل بما فهمه وعلمه فان علمه سيزداد « من عمل بما علم ، ورثه الله علم ما لم يعلم » فالعلم يزداد بالعمل .

والشاهد على ذلك في قوله « اذا اردت العلم فاطلب اولا في نفسك حقيقة العبودية » بحيث تتحقق فيك العبودية لا بالوهم والخيال فقط بل بالواقع الحقيقي ، ان تصبح ذاتك عبداً .

فسأل عنوان : ما هي حقيقة العبودية ؟

ان لا يرى نفسه مالكا أو مدبرا :

فقال الامام (ع) ثلاثة اشياء :

الاول بان لا يرى العبد ان هذه الاموال ملكه ، بل يرى الواقع وان يعلم بان ما وضعه الله تحت تصرفه واختياره هو عارية من لسان ويد ورجل الى المال والاولاد وغيرها فهو لا يرى نفسه مالكاً مستقلا لما في يده ، فالذي يرى نفسه مالكاً مستقلا فانه ليس بعبد يقيناً ، وانما جعل من نفسه بمرتبة الرب فاين العبد ؟

والثاني : ان يترك التدبير لنفسه . . يجب ان افعل كذا لكي اتوصل الى المقام الفلاني ، او تزداد اموالي . . أؤمِّن مستقبلي ، فيكون هو المدبر لنفسه وينسى الله الذي هو المدبر له ، والذي يرى نفسه مستقلا في اموره فهو ليس بعبد ، ولا يعني ذلك ان يترك الانسان امور معاشه وانما ان يواظب دائماً في عمله على ترك ذاتيته وانانيته ولا يرى الاستقلال لنفسه ويعلم بان الحصول وعدم الحصول هو بيد الله ، فلانه امر بذلك فانا اعمل ، لكن النتيجة بيد الله ، فانا اذهب الى الطبيب للمعالجة لكي يؤثر الله ما يريد ، لا ان اشرب الدواء لكي اشفى من المرض فيكون تدبيره استقلالياً وكانه ليس له رب او مدبر .

مشغول بأوامر الله ونواهيه :

الثالث هو ان العبد انما يكون عبداً فيما اذا كان مشتغلا مع الله دائماً بهذه الصورة ،

ان يطيع اوامر الله ويترك ما نهى عنه فعندما يريد ان يكسب رضاه فانه يترك ما هو مبغوض له ، فهل يمكن ان يعقد احد بان ربه حاضر معه وناظر اليه ومع ذلك يرتكب خلاف اوامره ؟ فالعمل يجب ان يطابق الادعاء .

ورد في الرواية عن الامام الهادي (ع) :

« الايمان ما وقرته القلوب وصدقته الاعمال »[1] .

بشر الحافي يريد ان يصير عبد :

ينقل عن العلامة الحلي في كتاب مجالس المؤمنين وغيره بان الامام موسى بن جعفر (ع) كان ماراً على دار بشر ، فسمع اصوات اللهو والطرب من ذلك البيت ، فخرجت أمة له فسألها الامام (ع) :

ـ هل صاحب هذه الدار حر أم عبد ؟ فاجابت ، ان له غلماناً وعبيداً واماء كثيرين ، فكيف يكون عبداً ؟ فقال الامام (ع) :

ـ نعم ، لو كان عبداً لما كان كذلك .

رجعت الامة الى الداخل فسألها بشر ، مع من كنت تتحدثين ؟ فحدثته الامة بما حصل لها ، فعرف بشر الامام ، فخرج فوراً من البيت باقدام حافية وأوصل نفسه الى الامام وتاب على يده وقال :

ـ سيدي اريد ان اكون عبداً .

مقصودي كلمة الامام عندما قال : « لو كان عبداً لما كان كذلك » . فالذنب شاهد على انه لا يرى نفسه عبداً والا فكيف يتجرأ ويرتكب خلاف رضا مولاه وفي حضوره ؟

بعد ذلك يذكر الامام الصادق (ع) خصوصيات كل واحدة من هذه الأمور الثلاثة .

فعلامة عدم رؤية نفسه مالكاً لشيء هو ان الانفاق يسهل عليه . فكل شخص يكون الانفاق في سبيل الله عليه عسيراً وصعباً فهذا يعني انه لا يرى ان المال مال الله .

١١) كشف الغمه

الفصل التاسع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

قلنا في الجلسة السابقة ان الحصول والتحقق في مراتب التوحيد هو نفسه التحقق في مراتب العبودية ، يعني ان الشخص باية مرتبة كان من التوحيد فبنفس تلك المرتبة يكون حائزاً على مقام العبودية ، وعندما يكون في مرتبة التوحيد الافعالي فقد وصل الى حقيقة العبودية بتلك المرتبة ، ولاجل توضيح حقيقة العبودية الملازمة للتوحيد ذكرنا رواية عنوان البصري الذي قال له الامام الصادق (ع) :

« ان لا يرى العبد لنفسه فيما خوله الله ملكاً » .

يعني أن لا يرى نفسه مالكاً حقيقياً لا مالكاً اعتبارياً ، وبعبارة اخرى ذكرناها عدة مرات ان لا يرى نفسه مالكاً مستقلا ، فالذي وصل اليه عن طريق البيع او الشراء او الارث لا يكون بحيث لا ينفك عنه ويكون مثل ملكية الله الحقيقة بل يكون الفناء عارضاً على كل من المالك والمملوك . واما مقداره وقيمته فهو بحسب العقل والشرع ، فمثلا عندما يموت احد الاشخاص فسوف تنقل امواله الى اقربائه يعني انها تنتسب اليهم كما كانت نسبتها الى المورث قبلا ، لا انها اصبحت ملكية واقعية والا فان كل شيء ملك لله بحسب الحقيقة « لان العبيد لا يكون لهم ملك يرون المال مال الله يضعونه حيث امرهم الله » ويصرفونه في كل مورد اذن الله فيه .

مع رؤية أ ملك يسهل الانفاق :

بعد ذلك يقول الامام (ع) : « فاذا لم ير العبد لنفسه فيما خوله ملكاً هان عليه الإنفاق » فلا يبخل بعد ذلك لانه عبد والمال عارية بيده وقد اذن له في انفاقه في موارد معينة .

والثاني ان العبيد الظاهريين ملتفتين دائماً الى مولاهم وليس له اهتمام بالمسكن والطعام

والمستقبل ، فكذلك الذي يرى نفسه عبداً وفهم ان المالك هو الذي يدير اموره فليس له هم بعد ذلك .

وطبعاً لا يقول احد بان يترك اعماله دون تدبير ولكن ليس بالتدبير الاستقلالي وكانه ليس له مدبر ويتصور انه مستقل في التفكير لنفسه ، وانما بالاعتماد على الله وادراك هذا المطلب بانه غير مستقل في التدبير حيث يدبر اموره بمقدار ما اعطاه الله من فهم وتفكير ويعلم بانه متوقف على مشيئة الله واجازته وعلى ما يرزقه الله ، لا ان يتخيل ان هذا الشيء سيتحقق بتدبيره وتفكيره فتكون النتيجة سقوطه من العبودية .

بعض الادعية اوامر :

نقرأ في دعاء التعقيب لصلاة الظهر :

ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة لك فيها رضا ولي فيها صلاح الا قضيتها . . » .

عندما نطلب من الله حاجة يجب ان لا يكون ذلك بشكل التحكيم والتنجيز بان نقول يجب ان يكون كذا وكذا ، فهذه ليست ادعية وطلب للحاجة وانما يجب ان تكون بصورة التعليق على ارادة الله وحكمته : الهي ان الشيء الفلاني بنظري هو خير لي ، فاذا رأيت في ذلك مصلحة لي وكان رضاك فيه فارزقني إيّاه ، لا انه الهي اعطني ذلك حتماً ، فهذا تنجيز وحكم وليس بدعاء ، يجب ان يكون تفويضاً الى الله لانه اعلم بعباده ، فالدعاء يكون تفويضاً وتسليماً الى الله وليس حكماً جازماً .

مع التفويض تسهل الصعوبات :

يقول بعض العلماء : ان اعلى مرتبة للعبودية هي مقام التفويض الذي تكون فيه ارادة الشخص مسلوبة تماماً ومسلمة الى رب العالمين فان الشخص يترك تفكيره المصلحي جانباً ، ويريد كلما راى الله صلاحه في ذلك .

ولو ان احداً حصل على مقام التفويض والتسليم فمن اثاره هو ان تسهل عليه مصيبات الدنيا ولا يعترض اذا كان له مال وفقده فهو لا يرى نفسه رب المال ولا يرى مصلحته في هذه الاموال بل يفوضها الى الله وما يراه الله له من مصلحة ، فسابقاً كان يرى مصلحته في امتلاكه للمال والآن في عدمه ويصلح امره من طريق آخر ، فمع تفويض الامور الى الله تزول الالام والهموم .

او اذا مات وُلْدُه مثلا فليس له الاعتراض على ذلك فقد كانوا أمانة من الله حيث جعل مسؤولية تربيتهم في عهدتي والان رأى المصلحة في أخذهم .

ارجـاع مـالنـا الى القـديـم يملك كـلاسـم بـالـتسـليـم

فلو أنّ أحداً وصل الى مقام التسليم فسوف لا يزعجه اي حادث او يهمه ، ونقرأ في دعاء النصف من شعبان :

« اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معصيتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصيبات الدنيا » .

وعندما ادركنا بان جميع الامور الجزئية والكلية بيد الله وهو العالم بالمصالح والمفاسد ونحن جاهلون بها ، اذن فلا اعتراض على قضائه بعد ذلك ، فكم نتصور المصلحة في امور لكنها في الواقع مضرة لنا ، وعلى العكس من ذلك فكم نتصور من الاشياء على انها ضرر لنا وهي في الواقع بنفعنا ومصلحتنا .

اللهم اعطني كل ما نراه صلاحاً لي لا ما أراه انا ، لاني جاهل بالواقعيات فانت مولاي ، مولاي الحقيقي وليس اللساني فقط .

الراحة عندما لا يكون ميل النفس :

العلامة الثالثة للعبدالحقيقي هو ان يكون دائم العبودية كما ان الله سبحانه وتعالى دائم الربوبية فكل سعيه بان يعمل ما يرضى به ربه لا ما ترتاح اليه نفسه ، وان يواظب على اوامره ونواهيه ، فعندما يدرك انه عبد فهو مراقب فلا يرتكب له نهياً او يترك له امراً .

وعندما يستمر على العبودية لا تبقى في نفسه رغبة في المباهات والافتخار او النزاع والجدال . فالذي يواظب على رضا الله لا يتنازع مع جد ، فالنزاع يكون عندما يرى ما لا يوافق هواه ، لكن العبد لا ميل له بعد الآن هدفه وطلبه رضا ربه ، فكل واحد من المتنازعين قد سقط عن مقام العبودية فقد رأى كل واحد منهما خلاف رغبته وميوله فتأثرا لذلك فيتضح ان الميل لا يزال باقياً عندهما فلم يصبحا عبدين حقيقيين ، وتارة يكون النزاع من اجل المنصب فاين العبد من طلب المنصب والمقام ؟ اين العبد من اصدار الامر والنهي ؟

المباهاة علامة عدم العبودية :

وكذلك فانه يترك المباهاة ، فالعبد لا يملك شيئاً لنفسه حتى يباهي به ، فمثلا بالعلم

بان علمي اكثر . . ما هو مقدار علمك ؟ انك درست وقرأت وبعض الكتب اكثر من ذاك ، فهل ان هذا العلم هو عين ذاتك ؟ انه امر زائد وصل اليك بالاسباب التي اعطاها الله لك ، فالعين والحافظة والسوائل التي اعطاها الله هي السبب وليس (انا) او (انت) حتى يريد المباهاة بذلك . اذن فبمجرد القول « انا اعلم » فقد خرج من العبودية . . اموالي وبياني ودرسي وغيرها احسن من الآخر . . فهذه المباهاة علامة عدم العبودية .

اذن فعندما يصل الى مرتبة يكون فيها مشغولا باوامر الله ونواهيه فلا يكون له بعد ذلك نزاع وجدال وفخر ومباهاة .

نتائج العلامات الثلاثة للعبودية :

عندما يلزم الله العبد بهذه الاشياء الثلاث « ان لا يرى نفسه مالكاً ولا يدير لنفسه امراً ، ويسعى دائماً في رضا ربه » فالذي حصل على هذه الاشياء الثلاث فانه سوف لا يتعلق باي شيء وانما يكون حراً وتكون الدنيا وهماً بالنسبة له ، فـ « انا) غير موجودة فقد تركها ، ورضا المخلوقين او عدم رضاهم . . مدحوه او ذموه سيان ، فالعبد هو العبد سواءاً قيل عنه انت الفلاني في الحكومة او المتسول في قارعة الطريق فانه لا يفترق لديه ، لأنه يعلم حقيقة أنّه عبد سواء علم بذلك الآخرون او لم يعلموا وقالوا عنه أشياء اخرى .

ولا يتوجه نحو التكاثر بعد ذلك فلا يريد ان يجمع اموالا فوق اموال كي يكبر عنوانه ، ولا يركض وراء الشهرة والعزة والعنوان والتسلط على الاخرين فان هذه القيود والاتعاب سوف تضمحل وتزول وبعد ذلك لا يذهب عمره العزيز هدراً .

هو نفس ز أنفاس عمرت گوهرى است آن نفس سوى خدايت رهبريست

يعنى ان كل نفس من انفاس عمرك جوهرة وذلك النفس هو قائدك الى الله .

الجنة لمن لا يريد العلو :

بعد ذلك يقول الامام (ع) : « فهذا اول درجة التقوى » الى أنْ يصل الى المراتب العالية التي سبقت الاشارة اليها . وهذا هو التوحيد الافعالي ، ثم بعد ذلك يستشهد الامام (ع) بآية شريفة على ان اول درجة للتقوى هو ان لا يريد علوا في الارض ، لا يريد ان يكون هو المقدم في اي وقت ، فالذي يريد ان يتقدم على الاخرين يكون معلوماً انه لحد الآن لم يعرف لانفسه ولا الله ولا الدنيا ، فكل من طلب الدنيا ومال الدنيا وشهوات الدنيا يكون

واضحاً انه لحد الآن جاهل ومنحرف عن طريق العبودية وغارق في الجهل المركب ويكون محروماً من المقامات في اليوم الآخر .

« تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً والعاقبة للمتقين »[1] .

والنكتة في الاية الشريفة في قوله **﴿لا يريدون﴾** يعني انهم ليسوا مستعلين فعلا فحسب ، بل ليست لهم ارادة ورغبة في العلو ، فالذي يكون طالباً للشهرة والمقام والمال فهو خارج عن التقوى ، اذن يجب ان نسعى لتحصيل حقيقة العبودية فينا حتى نصل الى ما وعد الله من المقامات الاخروية .

آية شحيحة في التحذير :

ورد في تفسير علي بن ابراهيم القمي ان الامام (ع) كان يقرأ هذه الآيةودموعه تجري على وجهه ويقول : « ذهب والله أماني عند هذه الآية » ، يعني ان الانسان انه من اهل النجاة وهو في الاخرة سعيد وصاحب مقام وهو مع سلمان وكثير من هذه التصورات عند بعض الجهال الذين يتخيلون ذلك مع جبال من الامال والطموحات وطلب العلو ويتصور انه حاج كربلائي ومشهدي ومن شيعة علي وسيد وعالم ، لكن الميزان هو عدم ارادة العلو في الارض ، وان لا تريد التقدم على الاخرين ، الهي انت اصلحنا ، واجعلنا عبيداً متحققين بحقيقة العبودية .

(١) سورة ٢٨ الاية ٨٢ .

الفصل الثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

كان الكلام حول الحديث الشريف للامام الصادق (ع) مع عنوان البصري فبعد ان بين له الامام حقيقة العبودية قال عنوان البصري :

ـ اوصني . فقال له الامام (ع) :

« اوصيك بتسعة اشياء فانها وصيتي الى مريدي الطريق الى الله ثلاثة منها في رياضة النفس وثلاثة منها في الحلم وثلاثة منها في العلم .

اما اللواتي في الرياضة : (والتي تلجم النفس وتكبح جماحها وتضعف من حجاب النفس الاعظم) « فاياك ان تأكل ما لا تشتهية فانه يورث الحماقة والبله . . » فالانسان اذا لم يكن راغباً في شيء وليس له اشتهاء فانه يكون موجباً للحماقة والبله .

كثرة الاكل تضعف الفهم :

ولعل السبب الخارجي في ذلك هو ان الانسان عندما يكون شبعاناً وأكل بدون اشتهاء للطعام فان الطعام سوف لا يهضم بصورة جيدة وتؤدي الابخرة المتصاعدة الى الدماغ الى ضعف في الادراك والفهم ، وطبعاً المقصود هو الادراكات العقلية التي هي مورد البحث لا تلك الادراكات الحيوانية التي يكون فيها جميع توجهه الى الأكل والنوم والشهوة .

وفي مقابل ذلك فعندما يكون الانسان جائعاً ومشتهياً الى الطعام واكل مقداراً قليلاً بحيث يسد جوعه فانه يحس بالنشاط في نفسه بعد ذلك .

الثاني هو ان « لا تاكل الا عند الجوع » ولعل الحكمة في ذلك هو ما ذكر والذي يؤمن سلامة البدن ، لان كثرة الاكل تولد الامراض من قبيل السمنة المفرطة وامراض القلب

وضغط الدم وامراض السكر ، وقد ورد عن رسول الله (ص) « المعدة بيت كل داء والحمية رأس كل دواء »[1] .

أكل الحلال وذكر الله عند الاكل :

الثالث : « واذا اكلت فكل حلالاً وسمِّ الله تعالى » فانه عندما تريد أن تأكل اي طعام فانظر فاذا كان حلال فكل منه ، يعني انك لو كنت متردداً في هذا الطعام مهما كان طيباً ثم مددت يدك واكلت منه فانك سوف تصبح بالتدريج حيواناً ، « يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام » .

فالذي تكون نفسه غير ملتزمة عند الاكل كيف يمكنه ترويضها ؟ومتى يكون مؤدباً بآداب الشرع والانسانية ؟ فلو انه ترك العنان لنفسه الآن فانها ستقوى وتشتد يوماً بعد يوم ويزداد الحجاب وستكون الفاصلة بينه وبين معرفة الله كبيرة ، فطريق الله هو اكل الحلال وقلة الاكل .

وكذلك لا ينبغي الغفلة عن ذكر الله عند الاكل بل يأكل مع اسم الله ففي القرآن المجيد يقول :

﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه﴾[1] .

وطبعاً هذه الآية وردت في مورد الذبيحة ، والذكر الواجب هو عند الذبح ولكنه يستفاد منها شيء عام ، فكل لقمة تبدأ باسم الله ويتبعها الحمد والثناء الالهي فانها تحدث في النفس نوراً كما ورد ذلك في الروايات .

بعد ذلك يقول الامام (ع) ـ ويذكر حديثاً عن رسول الله (ص) : « ما ملأ آدميٌّ وعاءاً شراً من بطنه » فعندما يملأ اي وعاء آخر فقد يكون له ضرر في بعض الاوقات ولكن ملء البطن يؤدي الى اضرار كبيرة للبدن والروح .

وقد وردت في زهرة الربيع رواية بانه لو سئل اهل القبور عن سبب موتهم لقال اكثرهم بانه من كثرة الاكل ، فالغذاء لا يهضم بصورة جيدة ويؤدي الى اضعاف الكثير من اجزاء البدن بدلا من تقويتها ، ومن ناحية الروح فانه يخنق الروح فلا يمكن لهذا الشخص ان يسير

(١) البحار ج ٦٢ ص ٢٩٠

(١) سورة ٦٠ الاية ١٢١ .

في طريق الله والانسانية كما ورد في الرواية :

«ان الله يبغض كل اكول نؤوم »[1] .

فكيف يمكن ان تشرق الانوار الالهية على هكذا قلب محجوب ، فالشخص المبغوض هو الذي لا طريق له الى الحضرة الالهية .

عليك مهما امكنك ان تثلث معدتك ، يعني اجعل ثلثاً منها للطعام وثلثاً منها للماء والثلث الاخير للتنفس والاستراحة .

حالة القرب عند الجوع والصوم :

عندما يجوع الانسان تحصل له حالة من القرب الى الله وفي الرواية المذكورة في قواعد الشهيد :

« الصوم لي وانا اجزي به » .

وعلى بناء الفعل « أجزي » للمجهول فانه يعني انا هو جزاؤه ، وهناك شرح لطيف يذكره الشهيد حول هذا المعنى وكيف يكون جزاء الجوع والصوم هو لقاء الله والشهود حيث لا يتيسر ذلك مع بطن مليئة لان الادراك حينئذ سوف يختنق وقد جربتم في ايام الصوم خصوصاً في الصيف وفي وقت العصر بالذات يكون الادراك اقوى وتحدث حالة سعيدة في الانسان بحيث يدرك قرب الله بشكل احسن .

الحلم في مقابل الشتم والتهمة :

وثلاثة وصايا يذكرها الامام (ع) في الحلم :

« واما اللواتي في الحلم فمن قال لك ان قلت واحدة سمعت عشراً فقل ان قلت عشراً لم تسمع واحدة » .

فعليه ان يكون حاكماً على نفسه بحيث لا يردّ بالمثل ، فلو اني شتمته ايضاً لاصبحت مثله ، واما جواب الشتم والسب فهو النصيحة او عدم الالتفات اليه .

وبعد ذلك يقول :

(١) فروع الكافي ج ٦ ص ٢٦٩

« ومن شتمك فقل له ان كنت صادقاً فيما تقول فاسأل الله ان يغفر لي وان كنت كاذبا فيما تقول فاسأل الله ان يغفر لك » .

جواب الخواجه نصير الدين على رسالة جاهل :

احد الجهال كتب الى الشيخ نصير الدين الطوسي رسالة بذيئة جداً ومليئة بالسب والشتم ومن جملة ما يذكره هو انه يبدأ عبارته بانك كلب و . . ولكن المرحوم الشيخ كتب له في مقام الجواب بعد السلام عليه واستفسار حاله بانك قد ذكرت في رسالتك بانني كلب ، ولكني لم ادرك هذا المعنى عند ملاحظتي نفسي ، فالكلب له اربعة ارجل في حين ان لي رجلين ، وللكلب ذيل وليس لي ذلك ، وللكلب شعر وليس لي و . . .

رجال الله هم الذين يعملون دائماً بوصية الامام (ع) .

والثالث هو « ومن وعدك بالخناء فعده بالنصيحة والرعاء . . » فاذا وعدك احد باعتداء او اضرار باني سوف افعل بك كذا وكذا وسوف اؤذيك فعليك ان تجيبه بان تقول له انا لا اريد لك الا الخير ، فاني في خدمتك واريد صلاحك ، فاذا كان لديك امر فسوف اؤديه لك واساعدك عليه ، فعده بالخير كما وعدك بالشر ، والروايات في هذا المجال كثيرة وكنموذج على ذلك :

جواب الاساءة بالاحسان :

اعترض احد اقرباء الامام السجاد (ع) من بني عمومته على الامام وشتمه (ع) في حضور اصحابه ووجه اليه كلمات بذيئة ، ولكن الامام السجاد (ع) سكت في مقابل ذلك ولما رأى الاصحاب ذلك من الامام سكتوا ايضاً ، فلما اصبح الغد قال لهم الامام قوموا لزيارة ابن عمي . فلما جاء اليه الامام مع عدة من اصحابه خاف في بداية الامر من ان يصله ضرر من الامام ، لكن الامام قال له : « يا اخي انك كنت قد وقفت عليّ آنفاً فقلت وقلت فان كنت قلت ما فيَّ فاني استغفر الله منه ، وان كنت قلت ما ليس فيّ فغفر الله لك » [1] .

فوقع ذلك العلوي على يد الامام ووجهه يقبله ويعتذر من فعلته . هذا هو طريق العبودية لمن اراد السير في ذلك ، هذا هو طريق رياضة النفس وليس بتلك الرياضات الباطلة الشيطانية ، فلو ان الانسان اراد ان يكون من رجال الله فانه يروض نفسه بهذه الصورة حيث

(١) حلية الابرار ج ٢ وسفينة البحار ص ٤٢٢

يسمع شتما ويجيبه بعمل الخير ، ومن عظمة هذا الفعل ودرجته العالية ان الانسان قد يرتفع من مرحلته الترابية الى درجات عليا بعمل واحد من هذا القبيل فكف النفس له قيمة كبيرة جداً ويؤدي الى رقة الحجاب .

اسأل لفهم ما تجهله :

ثلاث وصايا ايضاً في باب كسب العلم يقول الامام (ع) :

« واما اللواتي في العلم فاسأل العلماء ما جهلت » .

فلا تبق بحالة الجهل حيث ان بعض الاحيان يبقى الانسان في الجهل بسبب عدم السؤال ، وبعض الاحيان يكون جهله في العقائد بحيث تحصل له شبهة قد تؤثر في ايمانه لا سمح الله ويتزلزل بذلك اساس اعتقاده ، والخلاصة ان الامتناع والاستحياء من السؤال مرفوض وقد ورد ايضاً « لاحياء في الدين » .

والثاني : « واياك ان تسألهم تعنتا وتجربة » فالسؤال ينبغي ان يكون للاستفهام يعني تريد ان تفهم شيئاً ، ففي بعض الاحيان يكون في ذهنه شيء ويأتي الى ذلك العالم ويسأله ويستشكل عليه بغرض امتحانه ولاظهار علمه هو فلا ينبغي ان يكون كذلك وانما يسأل لكي يفهم .

الثالث : « واياك ان تعمل برأيك وخذ بالاحتياط في جميع ما تجد اليه سبيلا » .

فاياك ان تعمل بكل ما تراه برايك خصوصاً في العقائد الاسلامية بل يجب الاحتياط مهما امكنك . . « واهرب من الفتيا هربك من الاسد ولا تجعل رقبتك للناس جسراً » .

فيجب الاحتياط في الفتوى مهما امكن سواء في نفس الفتوى او الحكم ، ففي مقابل حكم الحاكم المبسوط اليد مع توفر الشرائط لا ينبغي لاحد ان يقول « هذا رأيي » ، فلا احد له حق في اعمال نظره فالعمل بالرأي موجب لهلاك نفسه والآخرين كما في ابليس الذي اظهر الرأي في مقابل حكم الله وامره له بالسجود لآدم باني خير منه فقد خلقتني من نار وخلقته من طين .

والى هنا ينتهي الحديث الشريف وفقنا الله تعالى للعمل به .

الفصل الواحد والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

العقل ، تلك القوة التي اعطاها الله للانسان :

الله سبحانه وتعالى خص الانسان بقوة لا توجد في جميع المخلوقات في عالم الوجود ، وبهذه القوة يمكن للانسان الاستفادة منها في المعارف والحقائق والواقعيات ، ويستخدمها في عالم ما وراء المادة وما فوق الجسم والجسمانيات .

والحيوانات ليس لها سوى ادارك محدود بحدود اطرافها المادية وبشكل ناقص ايضاً ، واما الانسان فيمكنه ادراك عالم ما وراء الطبيعة وان يفهم خصائص الاشياء والحكم الموجودة في كل شيء . . يمكنه استعمال تلك القوة التي لها شعب متعددة في جميع المجالات .

الاحاطة العلمية دليل على تجرد الانسان :

نفس هذه الاحاطة الادراكية شاهد على تجرد العقل والروح ، فنحن نعلم ان روح الانسان غير المادة والماديات ، فالجسم لا يمكنه الاحاطة بالجسم ابداً وليس له احاطة علمية ، فلا يمكن لهذا الحجر ادراك ذلك الحجر او ذلك الجسم ، فمن المحال ان تحيط بعض اجزاء عالم المادة بجزء آخر، اما الانسان الذي يمكنه الاحاطة بجميع عالم الوجود يفهم كيفية تحركات كوكب المريخ ومقدار المسافة التي يقطعها فهذا يعني ان روحه مجردة وليست مادية .

اما ما هو دليل الماديين ؟ اذا كان الانسان مادياً فكيف يمكنه الحصول على الاحاطة العلمية بجميع اجزاء عالم الوجود ، او يفهم تركيب وخواص الاشياء كالادوية وغيرها والتي هي فرع من فروع تلك القوة العقلية .

ادراك مسبب الاسباب من خصوصيات العقل :

ومن نتائج هذه القوة ادراك سلسلة العلل والمعلولات ، فيمكنه ان يدرك بان جميع ما في

عالم الوجود له علة واحدة بحيث ترجع اليها جميع العلل وذلك هو الله الذي اوجد هذا العالم واوجد هذه السلسلة من العلل والمعاليل ، فالانسان بهذا العقل يمكنه معرفة الخالق (بحدود قابليته لا بما هو يستحقه ويليق بالمطلب) فالعقل الذي اعطاه الله للانسان يمكنه ان يفهم سلسلة العلل والتي تنتهي بالله صانع الاسباب وخالق العلل .

وبما ان كل موجود مسبب عن موجود آخر والموجود الآخر كذلك اذن يلزم من ذلك التسلسل وهو باطل ، فيجب ان ترجع الاسباب الى اصل وجود المطلق الذي لا يحتاج الى سبب بل هو المسبب لجميع الاسباب ، فالعقل هو الذي يدرك مسبب الاسباب .

العقل يدرك المعاد والخير والشر :

ومن شؤون العقل الاخرى التي اعطاها الله الانسان هو انه يمكنه ان يفهم معاده وآخرته ويقول احد العلماء بانه لو فرض ان الوحي لم يكن فعقل الانسان يدرك بانه لا بد لهذه الحياة الدنيوية من هدف وغاية والتي يصل الانسان فيها الى تكامله وسعادته .

يمكن للعقل ادراك الخير والشر وبالتعبير الوارد في الرواية بانه يدرك خير الخيرين (لانه ليس هناك شر واقعي وكل ما يوجد فهو اما خير محض او أن جانب الخير فيه اقوى واكثر وليس هنا محل هذا البحث) فهو يمكنه ان يدرك هذا الخير او ذاك ويميز بين الحسن والقبيح من افعاله او افعال الآخرين .

العقل العلمي والعملي :

لذلك قال الحكماء بان للعقل شعبتين علمية وعملية ، فالعقل العلمي هو تلك الادراكات الكلية التي تعود الى الله تعالى واسمائه وصفاته الكمالية وآثاره وكذلك خواص الاشياء .

واما العقل العملي فيمكنه ان يدرك الحسن والقبيح في الاعمال ويفهم الصحيح منها والفاسد فأي الاعمال تتصف بانها حسنة وجيدة حتى يمكنه القيام لها ، واي تلك الاعمال تكون قبيحة حتى يتجنبها ويتركها ، ويفهم ايضاً موجبات سعادته وشقاوته والتي هي امور فطرية جعلها الله في ذات الانسان واعطاها لجميع الافراد بصورة طبيعية ، وقد تكون عند بعض الاشخاص اكثر وأقل الا أن تلك الادراكات تتوسع بالاستعمال .

ففي البداية أعطى هذه القوة للجميع بصورة متساوية ، فلو انها استعملت في محلها

فانها تزداد بصورة طبيعية باستمرار ولو انها تركت جانبا يعني انه لم يعمل بارشاداتها فانها ستضعف ايضاً . فهذه النعمة التي جعلها الله في افراد البشر هي من اجل معرفة المبدأ والمعاد ووسائط الفيض الالهي يعني الرسول (ص) والائمة (ع) ، وكذلك الحال في العقل العملي .

مجمل العلوم في باطن الانسان :

وهنا يمكن ان يطرأ سؤال في بعض الاذهان لذلك لا مانع من ذكره والاجابة عليه .

وقبل ان نطرح السؤال نذكر ملاحظة وهي ان الحكماء قالوا بان العلم لا يصل الى الانسان من الخارج لان جميع العلوم كامنة في عقل الانسان وذاته . والذي يسمعه باذنه ويراه بعينه ويدركه بحواسه يبعث على تنبه العقل وخروج ما كان موجوداً في ذاته بالقوة الى حيز الفعل ببركة الدراسة والتحصيل الناشيء من الحواس ، فيحرك قوته الفكرية لتصبح المجملات التي كانت في ذهنه واضحة بشكل تفصيلي ويتحقق ما كان كامناً في ذاته ، فجميع العلوم كامنة في العقل الانساني بالقوة وهي بحاجة الى مذكر بحيث لو حصل ذلك فان علمه سوف يظهر والا فانه سيبقى بحالة الجمود والقوة .

اذن يجب ان يكون الجميع عرفاء :

فلما كان كذلك ، يعني أن جميع العلوم كامنة في الانسان بشكل اجمالي اذن يجب ان يكون جميع الناس عارفين بالله وسائرين في طريق الخير ، لان العقل متوفر عند الجميع ، والجميع يسمع ويرى فيجب ان يتحقق العلم بالله عند الجميع في حين اننا نشاهد ان الاكثرية تعيش في حالة الجهل بالله وحتى اولئك العلماء بحسب الظاهر هم في الحقيقة جهلاء ، وحتى علماء الحكمة الالهية والفلاسفة ايضاً فكثير منهم كجهاز التسجيل يتلفظون بهذه المطالب العلمية دون ان يصل ذلك الى مرحلة اليقين ، فالاكثرية في شك ووهم بالنسبة الى الحقائق والمعارف ومع انها موجودة في ذاتهم لكننا نرى الفاصلة العجيبة بين ادراكات افراد البشر ، فالبعض يصلون الى حد بحيث يرون الله معهم دائماً ويعلمون بانه حاضر وناظر ، ويكون الحق عندهم مشهوداً ، وفي مقابل ذلك نجد البعض من الناس في شك بالنسبة الى الله سبحانه وتعالى فهو يثبت وجود نفسه وينكر وجود الله ، في حين ان وجوده ووجود جميع الكائنات من الله ولكنه لا يدرك هذا المعنى .

هذا هو السؤال الذي اردنا ان نطرحه وخلاصته بان : العلوم كامنة في عقل الانسان

والذي ندركه بواسطة الحواس هو مذكر ومظهر لتلك العلوم الفطرية ، وجميع العلوم بالموجودات متغلقة بمظاهر الوجود ، وبعبارة اخرى ان جميع الادراكات ترجع الى الذات لذلك يجب ان يكون الجميع عارفين بالله ومن أهل التوحيد ، في حين اننا نرى على العكس من ذلك ، فان اكثر الناس في غفلة عن ذلك أو من المنكرين لهذه الحقيقة .

المقتضى لا يكفي بدون رفع المانع :

ان ما ذكرناه من وجود قوة الادراك لجميع العلوم في العقل هو على شكل المقتضى وليس العلة التامة ، يعني يجب ايضاً ادراك الموانع وازالتها حتى يمكن الحصول على النتيجة ، فالمقتضى والذي هو العلوم الفطرية موجود ، والمذكرات والمنبهات الخارجية ايضاً موجودة ولكن بشرط عدم وجود المانع ايضاً ، فالماء الذي تريد تسخينه لا بد له من مقتضيات ، فانت تضع الماء في اناء وتضعه على النار فهذه كلها مقتضى ، ولكن يجب ان لا يأتي مانع ايضاً حتى يتحقق المطلوب ، وذلك بان لا تأتي ريح او يسقط مطر ويطفىء النار ، او انك من جهة اخرى تضع قوالب الثلج في الماء باستمرار .

فيتضح ان السبب في عدم وصول علوم الانسان الى الفعلية اي الى مرحلة التحقق هو وجود المانع في البين وهو الذي يمنعه من ان يكون عارفاً بالله ويمنع نور عقله من التحقق ويمنع انواره الكامنة في ذاته من الشروق .

وهناك رواية شريفة حول هذا الموضوع وردت في اصول الكافي في كتاب العقل والجهل ، وهي رواية نورانية ومفصلة عن الامام موسى بن جعفر (ع) الى هشام ومن الجدير بأهل العلم التأمل والدقة في هذه الرواية ، والامام (ع) يذكر في آخر هذه الرواية سبعين جندياً للعقل وسبعين جندياً للجهل والذي يهمنا هنا والشاهد على كلامنا حول وجود المانع وعدمه عبارات مذكورة في تلك الرواية وهي كما يلي :

متى يبلغ البنيان يوما ..

فالمانع من تحقق وظهور العلوم التي في ذات الانسان ثلاثة اشياء ذكرت في هذا الحديث :

« يا هشام من سلط ثلاثاً على ثلاث فكأنما أعان على هدم عقله ، من اظلم نور تفكره بطول امله ، ومحا طرائف حكمته بفضول كلامه ، واطفأ نور عبرته بشهوات نفسه فكأنما أعان هواه على هدم عقله ومن هدم عقله افسد عليه دينه ودنياه » .

فيقول الامام (ع) ان هذه ثلاثة موانع تمنع من تحقق ما اودعه الله في العقل وتمنع من الوصول الى العلم ، فحتى لو درس وتعلم سنيناً متمادية وحصل على الادلة والبراهين لكن المانع لا يسمح لما هو موجود في ذاته ولما هو كامن في باطنه من الرشد والنمو .

والمانع الاول مهم جداً بحيث ان من كان فيه فقد اعان على هدم عقله بنفسه وهدم هذا الاساس القوي بيده وتكون نتيجته ان يصبح مساوياً للحيوان في عدم الادراك .

طول الامل يعمي ويصم :

فالمانع الاول من الموانع الثلاث هو طول الامل وتمنيات النفس ، هذه التمنيات التي ترجع الى الجهات الحيوانية وامور معيشته اليومية ، فهمه هو الاكل والشرب والنكاح والمسكن واللباس . . همه هو الامور المادية وجمع الاموال وطموحاته هي الوصول الى الرئاسة والتفوق على الاخرين ، والحصول على الشهرة ولو بان يصير مديراً لمدرسة او ناحية او اي شيء من هذا القبيل بحيث ان كل واحدة منها بحاجة الى التخطيط والانتظار مدة طويلة .

هذه التمنيات المادية من جميع انواع رغبات النفس يقال لها « امل » والتي تكون باجمعها اموراً وهمية .

فلو ان احداً استعمل عقله في مجال ادراك الكليات كما هو المفروض واستخدمه في الامور الالهية التي هي نور ومنور فان عقله سيكون منيراً ايضاً . اما ذلك الانسان الذي ترك هذا النور فهو ساقط في الظلمات حيث ان المادة ظلام ، والدنيا والحياة في الدنيا ظلمات فالذي سقط في الماديات فسوف ينتهي حد وجوده ايضاً وسوف تتلف تلك القابليات التي اعطاها الله له والخلاصة ان الآمال والتمنيات المادية تعمى وتصم عن إدراك الحقايق .

الفصل الثاني والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

الدنيا مظلمة بالتمنيات :

كان البحث في الجلسة السابقة في كلمات من حديث شريف مروي عن الامام موسى ابن جعفر(ع) في اصول الكافي فكتاب العقل حيث قال الامام (ع) لهشام « يا هشام من سَلَّط ثلاثاً على ثلاثٍ فكَأنَّما أعانَ على هدْمِ عقلِهِ ـ مَنْ أظلم نور تفكُّره بطول أمله » فإنه سوف يفقد عقله ولا يرى السعادة ، وقلنا بأن التفكر في التوحيد الصفاتي والافعالي ، والتفكر في العالم العلوي والتفكر في الأمور الفانية فهو ظلمة ، فالتفكر في الامور المادية والآمال والتمنيات في جهات الاكل والشرب والنكاح والمسكن وللوصول الى الثروة والجاه والمقام وما يتبع ذلك من الصراعات والحروب من أجل تلك الامور المادية الدنيوية هي ظلمات كلها .

فالذي استعمل فكره في النور فانه سيتنوَّر بذلك وهو التفكر في الامور الباقية وما يرتبط بالله والآخرة . كما أنَّ التفكر في الامور المادية والخوف والرجاء على الاشياء الدنيوية يوجب له الظلمات .

فلو ان هذا التفكير وهذه التمنيات المادية استغرقت مدة طويلة من الزمان وكان التخطيط من اجلها لما بعد عدة سنوا ت فهذا « طول الامل » الذي يؤدي الى فقدان الإنسان لعقله .

شعار الغاية تبرر الوسيلة :

وقد ورد في الرواية المذكورة في تحف العقول عن الامام امير المؤمنين (ع) في خطبة الديباج قوله :

« واعلموا عباد الله ان الامل يذهب العقل » فيزول التفكر بعواقب الامور . وبعد ذلك يقول (ع) : « ويحث على الغفلة ويورث الحسرة » ويقول في جملة اخرى :

« من اطال امله اساء عمله » .

فالذي يريد الوصول الى رغباته النفسية فانه لا مانع لديه من السير في أي طريق كان إذ الغرض هو الوصول الى ذلك الهدف الشيطاني المشؤوم ، وكما سمعتم أن شعار مجموعة المنافقين هو أن « الهدف يبرر الوسيلة » فيجب الوصول الى الحكم وتحقيق ما تريده الدول الكبرى سواء كان ذلك باغتيال الشخصيات او بوضع القنابل وقتل الابرياء او حرق اموال وممتلكات المستضعفين .

اخوف الاشياء عبادة الهوى والامال الواهية :

وهناك تعبير جيد ورد في نهج البلاغة وهو :

« إنَّ أخْوَفَ ما أخافُ عَلَيْكُمْ اثنان إتِّباعُ الهوى وطُولُ الأمَل ، أما اتباع الهوى فيَصُدُّ عَنِ الحقِّ وأمَّا طولُ الأمَلِ فَيُنْسي الآخِرَةَ » .

فالذي يعمل بما تمليه عليه نفسه وشهواته لا يصل الى الحق وسوف يبقى في الباطل ، والآخر هو طول الامل الباعث على نسيان الآخرة ، وكما في المثل المشهور بان الانسان لا يمكنه ان يضرب هدفين بسهم واحد او يرفع اناءين بيد واحدة ، فاما ان يكون فكره في الامور الدنيوية او في اوضاع الآخرة ، فالانسان الذي يسير دائماً خلف شهواته الحيوانية وآماله وتمنياته النفسية فانه لا يفكر بعد ذلك بالقبر والبرزخ وسيبقى جاهلاً مواقف يوم القيامة والحساب الأخروي ، ولا يفكر بعد ذلك هل ان اعتقادي وتوحيدي صحيح ام لا ؟ فكل تفكيره منحصر في كيفية الحصول على الشهرة او المنصب الفلاني .

الحشر مع الصالحين بسبب الاتباع :

وهناك رواية واردة في تفسير منهج الصادقين ان رسول الله (ص) بعد ان فرغ من الصلاة يوماً توجه الى المنبر فوقع بصره على شاب من اصحابه جالساً وقد اصفر لونه ونحل جسمه فسأله رسول الله (ص) عن حاله فقال : يا رسول الله ان امراً اهمني واقلقني حيث اني لا ادري هل سوف اجد الطريق يوم القيامة الى المكان الذي انت فيه ـ ام لا ؟

فهذا الشاب كان محباً لرسول الله (ص) وفراقه صعب عليه حيث يسأل رسول الله (ص) هل انى معك في المقام المحمود يوم القيامة ام لا ؟ فهذا هو الذي اقلقني وسلب راحتي حيث اني غير لائق لذلك المقام فكيف استطيع فراقك .

فلم يجبه رسول الله (ص) وانما انتظر الوحي فنزلت هذه الآية الشريفة :

﴿ومن يطع الله ورسوله فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً﴾[1] .

والخلاصة فان معية الأنبياء ومحبتهم تكون بواسطة عمل الخير وا تباع الرسول الاكرم (ص) ، وبذلك اطمأن قلب هذا الشاب .

فببركة العمل الصالح والاطاعة يمكنه ان يكون مع رسول الله (ص) . فمقصودي ان الانسان الغارق في آماله الدنيوية اين هو من هذه الطموحات ؟ واين هو من التفكير في العبور على الصراط ؟ ذلك الصراط الذي ورد في الروايات بان الناس عند مرورهم عليه يتساقطون كما يتساقط الفراش وحشرات الليل على السراج ، فهل يمكنني ان امر على الصراط ، ام انَّ الآمال والتمنيات قد جعلت الآخرة في زاوية النسيان ؟

لقد كان هدف عمر بن سعد هو الحصول على حكم الري بواسطة قتل ابي عبد الله الحسين (ع) والغاية عنده تبرر هذه الوسيلة فلو كان هناك جنة او نار فاني سوف اتوب بعد ذلك واما الآن فلا بد ان احصل على ملك الري ، فهو مثل المنافقين حيث برر الوسيلة بالهدف ، فالآخرة بالنسبة اليه ليست سوى كلام والفاظ لان تلك الآمال والتمنيات التي كانت لديه قد جعلت من الفكر النوراني مظلماً واعمت قلبه .

اسامة يشتري جارية لشهرين :

ورد في المجلد السابع من البحار انهم اخبروا رسول الله (ص) بان اسامة قد اشترى امة بمائة دينار لمدة شهرين حيث لم يكن لديه المال اللازم نقداً فلذلك اشتراها نسيئة . فلما اخبروا رسول الله (ص) بذلك قال : « إنَّ اسامة لطويل الامل » يعني انه يريد ان يبقى لمدة شهرين ويحطط لمدة شهرين فالمؤمن لا ينبغي ان يرى الغد جزءاً من عمره ، فهل انت حي الى مدة شهرين حتى يمكنك اداء ذلك الدين ؟

(١) سورة ٤ آية ٦٩ .

ونختم البحث هنا . والخلاصة ان اكثر الشقاء والحرمان بسبب طول الآمال والتمنيات .

الشيخ الذي يحرث الارض :

عندما يسمع البعض هذه المطالب فسوف يقول اذا كان كذلك فعلى الانسان ان يجلس في زاوية ولا يرتبط بأي احد وبأي شيء وبذلك ستزول النظم والنظام في العالم ، والشاهد على ذلك رواية وردت في سفينة البحار في المجلد الاول في باب الامل حيث ورد بان المسيح (ع) مر على شيخ كبير السن وبيده المسحاة يحرث الارض ، فرق المسيح (ع) لحاله حيث كان عليه ان يستريح بعد كل هذه السنوات من التعب ، وعلى اولاده واقربائه ان يقوموا بامور معاشه ، فرفع يده ودعا الله عز وجل ان يأخذ منه الامل ، فما كان من ذلك الشيخ الكبير الا ان ترك المسحاة فوراً وجلس جانباً ، فاخذ الماء يجري في المزرعة من دون نظم ، فلما رأى المسيح (ع) ان الزرع سوف يفسد اذا استمر الحال بهذه الصورة دعا ربه مرة اخرى وقال : الهي ان ارادتك ومشيئتك اقرب للصلاح فاقض ما تراه صلاحاً .

فقام هذا الشيخ فورا وامسك بمسحاته واخذ يصلح زرعه ويرتب اعماله والخلاصة انه رجع الى ما كان عليه .

فتقدم منه المسيح (ع) وسأله باني رأيت منك عملين مختلفين فقد كنت مشغولا بعملك ثم تركت المسحاة وجلست جانباً طلباً للراحة وبعد ذلك قمت الى عملك ؟!

فقال : كنت قد فكرت بالموت فليس من المعلوم في اي وقت اموت فيه ، اليوم او غداً ، فلماذا هذا التعب ؟ لذلك تركت العمل . وبعد ذلك فكرت بان الحياة لا بد لها من معاش ولعلي لا اموت في وقت قريب فرجعت .

والآن لنرجع الى اصل الاشكال وهو انه لولا طول الامل لأنهار نظام العالم . فما العمل ؟

المرفوض هو طلب الدنيا مع الغفلة :

يمكن ان نحل هذه المغالطة بذكر آية شريفة من القرآن الكريم فالنقطة المهمة لا تكمن في نفس العمل وانما في الغفلة حيث يقول القرآن الكريم ؛ .

﴿ **ولا تقولن لشيء** (تريد ان تفعله) **اني فاعل ذلك غداً الا ان يشاء الله ، واذكر ربك**

اذا نسيت﴾

فلو ان الانسان قال اني سوف اشتري هذا الشيء وسوف ادفع ثمنه بعد شهرين فهذا هو طول الامل والمهلك للانسان ، ولكن نفس هذه الافعال لو كانت مع ذكر الله فلا مانع من ذلك فالكاسب يجب ان يقول ان وظيفتي الالهية ان اذهب للكسب ، والطبيب يذهب الى عيادته ، والتلميذ الى مدرسته بهذه الصورة ، حيث انه عندما يرى الله حاضراً وناظراً فانه لا يضطرب اذا لم يحصل على ما يريد ولا يتألم ولا يدفعه ذلك الى فساد عقيدته .

والشيء المهلك هو الغفلة عن الاخرة بحيث لا يذكر الموت ابداً ويتصور ان حياته الدنيوية باقية ويلهث خلف الحياة الدنيا فهذا هو الذي يهلكه لانفس العمل والكسب وتشكيل العائلة وطلب المعاش بل الغفلة عن ذكر الله والآخرة التي يكون العمل معها ظلاماً والا فلا مانع .

فمثلا بالنسبة الى شراء الامة فلو انه اشتراها وكان امله ان يدفع ثمنها بعد شهرين مع الغفلة عن الله فهو مصداق طول الامل ، ولكنه لو قال ان شاء الله واذا ابقاني الله حياً ووفقني لدفع ثمنه بعد شهرين فلا مانع من ذلك مع هذا القيد « ان شاء الله » .

الشاب العاطل مورد غضب الله :

لا شك في ان الانسان يجب عليه السعي للتكسب والعمل خصوصاً الشباب حيث وردت الرواية « بان الله يبغض الشاب الفارغ » فالشاب الفارغ هدف الشيطان حيث يؤدي به الى الفساد فيجب عليه ان يتابع عمله في اي شيء كان سواء في تحصيله الدراسي او كسبه او عمله ولكن مع ذكر الله وذكر فناء الدنيا بالموت القريب ، وان يؤدي عمله بقصد اداء المسؤولية حيث ان الله يبغض الانسان العاطل عن العمل .

ويقول احد الرواة باني رأيت الامام الباقر (ع) وبيده المسحاة يعمل في بستان له ويتصب العرق من جبينه فمر به احد الاشخاص ويظهر انه كان من المتصوفة فقال له : يا بن رسول الله انت تتعب نفسك في هذا العمل وانت بهذا العمر والسن الكبير ، ثم تجرأ على الامام وقال : الا تخاف ان يكون هذا آخر عمرك ؟ فاجابه الامام (ع) :

ـ لو جاءني الموت وانا على هذه الحال جاءني وانا على طاعة من طاعة الله عز وجل اكف بها على نفسي وعيالي عنك وعن الناس ، وانما كنت اخاف ان لو جاءني الموت وانا على معصية من معاصي الله .

فقال : صدقت يرحمك الله اردت ان اعظك فوعظتني [1] .

وعلى كل حال فالميزان هو اداء المسؤولية وليس في خصوصية العمل او نوعيته ، فخلاصة المطلب مع كل هذا التكرار هو انه يجب على الانسان طلب المعاش وان لا يقصر في امور عائلته ودنياه ولكن مع ذكر الله والالتفات الى الموت دائماً ، فلو انه ذكر الله فسوف لا يستولي عليه الحرص ولا يرى حياته رهينة هذا المنصب او هذا المحل ولا يتاجر بالغلاء او الاحتيال على المشتري فهذه كلها نابعة من الغفلة ونتيجة لطول الأمال والتمنيات .

من قال بأننا احياء في الغد ؟

ورد في الجزء التاسع من بحار الانوار أنَّ أمير المؤمنين علياً (ع) كان يوزع الاموال فصار وقت الغروب فقيل له : يا امير المؤمنين لو تركت ما بقي الى الغد فقال : وهل تضمنوا لي البقاء الى الغد ؟

فقصدي هو ان يرى الانسان موته قريباً حيث انه ليس له سبب وموعد خاص ، فلا ينبغي لاحد ان يقول باني سالم وصحيح وشاب ، فلكل واحد اجل معين والموت يهدده في أية لحظة ، وكما يقول الامام امير المؤمنين ان الموت بالنسبة للانسان كظله .

فلو انه كان ذاكراً لله ومتوقعاً للموت في اية لحظة فسوف لا تؤثر فيه تلك المفاسد الموجودة في طول الاما ، اذن فطول الأمل ناشيء من الغفلة وليس من العمل ويجب على الإنسان مهما امكنه ان يعمل عملا صالحاً ، وعندما نقول العمل الصالح فليس المقصود أنْ يعتزل الناس ويجلس في زاوية معينة ويشتغل بذكر الله بل يسعى وراء الكسب والعمل بقصد اداء المسؤولية والواجب الذي امره الله به فهذا هو العمل الصالح .

(١) حلية الابرار ج ٢

الفصل الثالث والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

الانسان بين طريقين :

كان كلامنا في الحديث الشريف عن الامام موسى بن جعفر (ع) في الامور التي توجب انهدام العقل ، ذلك العقل الذي اودعه الله تعالى في البشر لاكتساب المعارف اللازمة له وتحصيل العلوم التي تختص بالانسان من ادراك الكليات والعلم بالمبدأ والمعاد والاسماء الحسنى ومعرفة نفسه ، فرحم الله امرءاً عرف من اين اتى والى اين سيذهب ولاجل اي شيء جاء وسيذهب ، ان يفهم سعادته ويتعقل ويتفكر ويتحقق بحقيقة الانسانية حيث ان انسانية الانسان تتخلص بهذه الامور .

اي برادر توهمين انديشه اى ما بقى خود استخوان وريشه اى

يعني اخي انك هو هذا التفكر وما بقي فانه عظام وجلد .

فالفرق بين الانسان والحيوان هو العقل والا فبأي شيء يتميز الانسان ؟ وكلما ازداد التعقل ازداد صعوده في عالم الانسانية .

والمهم ان تفهم الموانع للتعقل التي ذكرها الامام (ع) ، فقد بين ثلاثة امور :

« الذي اظلم نور تفكره بطول امله » . . والتمنيات الواهية في الامور الفانية ، فالذي يكون تفكيره منحصراً بهذه الامور فسوف تكون نهايته كذلك يعني الفناء والزوال .

وقد ورد شرح لطيف جداً لهذه الرواية للمرحوم ملا صالح المازندراني حيث يقول : ان كل شيء من ملذات الدنيا وشهواتها عندما يفكر بها الانسان فانه يقع مزاحماً للتفكر فى امر

الآخرة ويؤدي الى نسيان المعاد ، فمن كان همه هو ان يكون له قصر واموال في هذه الدنيا فكيف يمكنه التفكير بحوض الكوثر والوصول الى علي (ع) ؟ فانه ينسى الامور الباقية ، وهذا هو معنى الخذلان الالهي الذي يعني ان الله قد اوكله الى نفسه .

ودليله واضح ، فالذي يدور تفكيره دائماً حول الامور الفانية الدنيوية فان اللازم لذلك هو الغفلة عن الامور الباقية الاخروية ونسيانها وسوف يزول ما كان في ذاته بالقوة ، ويمكن ان يصل به الامر الى حد بان يموت بدون ايمان .

وقد ورد تشبيه الدنيا والآخرة في الرويات بانهما ضرتان ، فان الزوجتان لرجل واحد لا يتلاءَمَانِ حسب العادة فكل واحدة تريد الزوج لنفسها ، وعبر عن الدنيا والآخرة في الروايات الاخرى بانهما كالمشرق والمغرب يعني انهما متقابلان والفاصلة بينهما كبيرة ، فلو كان تفكيره منحصراً في امور الدنيا فان ذلك سيقعده عن الاخرة .

وورد في رواية اخرى ان الدنيا والاخرة مثل الماء والنار ، فكيف يمكنك ان تحصل على الآخرة وانت تطلب جميع اللذات في هذه الدنيا باي طريق كان ؟ وكما يقول الشاعر :

دنيا طلبيديم براحت نرسيديم يا رب چه شودآخرت ناطلبيده

اي اننا طلبنا الدنيا وسعينا لها سعيها ولم نحصل على الراحة فيها فكيف بنا يوم القيامة والتي لم نطلبها ولم تكن يوماً مورد طموحنا واهتمامنا .

ماذا اعددت لاخرتك ؟

لا دارَ لِلْمَرْءِ بَعْد المَوْتُ يسكنها الا التي كان قبل الموت بانيها
فان بناها لخير طاب مسكنها وان بناها لشر خاب حاويها

فليس لك بعد الموت الا البيت الذي بنيته أنت ، فلو كان ما بنيته وعمرته صالحاً وخيراً فهنيئاً لك ، فالذي يضع لقبره روحاً وريحاناً فهو الذي سوف ينتفع به ، وبعكس ذلك نجد ان البعض يرسل الى قبره ناراً فوق نار من ثيابه وطعامه ومسكنه وجميع اموره التي صيرها ناراً . واخيراً فان طول الامل يقعد الانسان عن التفكر في امر الآخرة وهذا هو الخطر المهم والاول ، واما الخطر الثاني .

ما هي الحكمة وما هو تأثيرها ؟

« ومَحا طرائف حكمته بفضول كلامه » .

الحكمة تعني ادراك حقائق وواقعيات الامور التي هي وراء الامور الحسية ، فالادراكات التي يحصل عليها الانسان من عينه واذنه وسائر حواسه يشترك فيها مع سائر الحيوانات ، وهناك ايضاً ادراكات اخرى مختصة به وهي الحكمة ومعرفة الحقيقة ، فمثلا ان الانسان لا يمكنه ان يحصل في الدنيا على السعادة المحضة فهذا مطلب دقيق فالمال والمقام لا يؤدي الى الحياة الطيبة التي يريدها الانسان ، فاذا اراد الانسان الحياة السعيدة والعيش في راحة وسرور فهذا مما لا يمكن الحصول عليه هنا ، لكن اكثر الناس لا يمكنهم ادراك هذا المعنى لذلك نرى الحرص الشديد عندهم ونجد تلك الصراعات والنزاعات من اجل الوصول الى مقام اعلى او اموال اكثر .

اما الشخص الحكيم فانه يفهم بان الهدف من المال هو رفع الاحتياج وقضاء الحاجة ومازاد على ذلك فانه يورث الحسرة والمشاكل ولا يقنع الانسان بمقدار معين منه مهما كان يملك الملايين فانه يطلب بعد ذلك المليارد ثم ملياردا آخر وهكذا ، وايضاً فان نفس اصحاب الثروات غالباً ما يعيشون في المشاكل والمصائب .

وكذلك المنصب فانه لا يأتي بالسعادة والراحة فمن اليوم الذي يصل فيه الى الرئاسة نجده غارقاً في الهموم والمشاكل ، فالحسد لا يتركه يعيش مرتاح البال ، وعلى كل حال فطلب الرئاسة بلاء ايضاً الا ان يقبل ذلك من اجل الله وخدمة الناس حيث يكون له الاجر والثواب على تحمل هذه المسؤوليات ومواجهة هذه المشاكل .

والخلاصة فان المال والمقام منبع للمتاعب وهذه المسألة الدقيقة يدركها الحكيم ، فبالعقل ينبغي ادراك فناء الدنيا وبقاء الآخرة وادراك المعارف الالهية من التوحيد الافعالي الذي هو معنى كلمة « لا حول ولا قوة الا بالله » فهذه كلها من الحكمة .

الثرثرة تبعد الانسان عن الحكمة :

والطرائف ايضاً جمع طريفة وتقال لكل شيء جديد ومدهش بحيث لا يتوفر عند الجميع ، ولنرجع الى اصل الرواية « ومحا طرائف حكمته بفضول كلامه » فالثرثار يكون محروماً من الحكمة ، فالشخص الذي لا يمسك لسانه ويتكلم بما لا يعنيه ولا ينفعه ويهدر نصف ساعة من وقته في اللغو وفضول الكلام سوف تمحى حكمته ، وفضول الكلام هو ذلك الكلام الزائد الذي لا نفع من ورائه وهو الذي يعبر عنه القرآن المجيد :

﴿لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس﴾[1] فيطفىء نيران الفتنة ويصلح بين الناس بكلامه .

ايجاد واشعال نار الفتنة ليس بالعمل البطولي ، فلو كنت رجلا واقعاً فعليك باطفاء الفتنة ، والخلاصة فان الزائد في الكلام هو اتلاف للعمر ومحوللحكمةالكامنة في رأسه ، وقلنا بان الحكمة كامنة في باطن الانسان وعلى الانسان ان يقوم باظهارها ، وفضول الكلام لا يسمح للحكمةبالظهور والكلام الكثير يمنع من خروج الحكمة من القوة الى الفعل .

وقلب الانسان هو العين التي يجب ان تفيض بالحكمة كما ورد في الحديث عن رسول الله (ص) بان « من اخلص لله اربعين صباحاً جرت ينابيع الحكمة من قلبه الى لسانه » .

الحديث لغير الله حجر على ينبوع القلب :

قلب الانسان محل للحكمة ولكن مع الاسف فانه يمحو هذه الحكمة وبعض الاوقات يسد ينابيع هذه الحكمة بالحجر والتراب ويجففها .

فكل كلمة يتلفظها الانسان تخلف اثراً في قلبه ، والكلام الزائد بمثابة التراب والاشواك في عين القلب ولا يتمكن ذلك الشخص من رؤية الحكمة ولا يمكنها الظهور بعد ذلك .

نجد هذا الشخص يصعد المنبر ويلقي المحاضرات لكن ليس غرضه هو استفادة الناس وانما يريد لفت انظارهم ولكي يقولوا له : احسنت بارك الله فيك ، ويمتدحونه ، فهذا الشخص لا يصل الى الحكمة مطلقاً ، وهناك جملات حلوة عليكم ان تتذكروها دائماً وهي :

« عزيزي ما دمت تفكر بماذا آكل كي يلتذ فمي أو ماذا اقول كي يلتذ الناس فانك سوف لا تصل الى المقصود » . فلو كان جميع همك من كلامك وفعلك هو جذب انظار الناس فانك لن تصل الى مقصودك وسيرجع ضرر ذلك عليه بالذات حيث يحسب عليه فضول كلامه ويؤدي الى جفاف ينابيع الحكمة في قلبه .

وطبيعي ان تكون التهمة والغيبة والكذب اشد خطراً بأضعاف عديدة ، فانا لا نقصد بالفضول هذه الأمور او التكلم بغير علم او إفشاء السر ، وانما المقصود بفضول الكلام هو الحديث الزائد وفي غير محله والذي لا نفع فيه لانه لا يجتمع مع الحكمة فهو مثل القطرات التي تنزل على القلب وتمسح ما فيه من الامور المعنوية ، فكل ما يرد على القلب يمسح ضده ويحل

(١) سورة ٤٠ الاية ١١٤ .

محله ، فلو كان الوارد على القلب امراً باطلا فانه يمسح الحق ، فعندما تسقط قطرة ماء عكرة في قنينة ماء الورد فانها ستقلل من جودته بنفس النسبة ، وهكذا فان كل كلمة باطلة تقتل من حكمة القلب ايضاً بنفس المقدار .

فساد القلب نتيجة فساد اللسان .

فحتى لو لم يفسد اللسان نهائياً فإنه مع ذلك يخلف اثره الوضعي في القلب كما في المثال ، حيث ان ماء الورد لا يكون خالصاً بعد ورود الماء العرك . فكذلك لا تبقى الحكمة في قلب الانسان صافية بل تصبح نتيجة الاختلاط بالباطل شيئاً خليطا ، فلا هي حق محض ولا باطل محض واغلب الاشتباهات والاخطاء التي يقع فيها الناس في امور العقائد ناشئة من فساد القلب ، وفساد القلب يكون نتيجة لفساد اللسان وبذاءته .

الانسان الذي يلقي محاضرة ويستمع اليها عدة من الناس ويجد في نفسه سروراً لذلك فانه في الواقع في خطر حيث ان هدفه ان يقول شيئاً يرضي به الناس ويسعى بان لا يقول كلاماً يسخط به بعضهم ،فعندما يستمر على هذه الحالة يصل به الامر ان يتكلم بالباطل ايضاً كي يجلب به أنظار الناس ويترك اي كلام حق ولا يقوله خوفاً من انزعاج بعض الناس ، والشاهد على ذلك ما رأيناه في كلمات المنافقين وكتاباتهم وكيف انهم كانوا يريدون تحقيق اهدافهم وافكارهم الشيوعية بواسطة تحريف القرآن ونهج البلاغة على اساس انه الاسلام الحقيقي ، وقد شكلوا من ذلك فكراً التقاطياً وخدعوا بذلك الكثير من الشباب والناشئة .

وفي الحقيقة فان المستمعين لذلك المحاضر والمتكلم يكونون بمنزلة المعبود بالنسبة له حيث يعبدهم ويطلب رضاهم . فكيف يمكن ان تبقى الحكمة في قلب الانسان الثرثار الذي هدفه جلب انظار الناس ولفت انتباههم وكيف يمكنها الظهور ؟ فعندما يكون همه وهدفه الحصول على الرئاسة فكيف يمكنه ادراك وهميتها ؟

التابوت وعرش السلطان :

عندما كنت أعظ الناس في المسجد الجامع في زمان الطاغوت ذكرت عبارة سببت لي كثيراً من المشاكل والاتعاب والسجن لمدة طويلة ، وهي ان العرش الملكي إذا كانت نهايته التابوت فما الفائدة منه حتى يستحق ان يسعى الشخص للوصول اليه او الحفاظ عليه بتلك الصورة ؟ فقد قالوا بانك تجرأت واهنت الكيان الملكي ! في حين انني لم اقل سوى الحقيقة ونصحتهم بذلك ولكنهم قالوا بانك تمنيت الموت للشاه .

وخلاصة بحث اليوم ان فضول الكلام والكلام الزائد والفارغ الذي ليس له نتيجة وفائدة يمحو الحكمة من القلب ، فلذلك يجب علينا ان نحفظ ألسنتنا من الامور التي لا تعنينا والتي لا فائدة منها .

الفصل الربع والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

« واطفأ نور عبرته بشهوات نفسه » .

كان الكلام في شرح الحديث الشريف للامام موسى بن جعفر (ع) حيث قال بان من سلط ثلاثاً على ثلاث فكانما اعان على هدم عقله » بحيث لا يستفيد منه بعد ذلك واول تلك الاشياء هو « من اظلم نور تفكره بطول امله » والثاني الذي : « محا طرائف حكمته بفضول كلامه » بالشرح المتقدم . والثالث هو الذي « اطفأ نور عبرته بشهوات نفسه » .

وهنا يجب ان يفهم معنى الشهوات ومن ثم معنى العبرة والامر الاخر هو أنه الشهوت كيف تكون مانعة من اخذ العبرة والاعتبار ؟

هل ان الشهوات مرفوضة :

كلمة الشهوات تطلق على الرغبات النفسية ومجموع اللذات الحيوانية في النفس كالاكل والشرب والملبس وكذلك المسكن والمركب والمنكح ، والقدرة والتمكن والمنصب الدنيوي وهو المطابق للميول والرغبات النفسية .

ولا شك بان هذه الامور من لوازم حياة الانسان بحيث انه لا يمكنه الحياة بدونها .

كلمة الشهوات تطلق على الرغبات النفسية ومجموع اللذات الحيوانية في النفس كالاكل والشرب والملبس وكذلك المسكن والمركب والمنكح ، والقدرة والتمكن والمنصب الدنيوي وهو المطابق للميول والرغبات النفسية .

ولا شك بان هذه الامور من لوازم حياة الانسان بحيث انه لا يمكنه الحياة بدونها .

والشيء الآخر هو أنها من الامور التي خلقها الله واودعها في ذات الانسان فكيف يمكن

ان تقع موردا للذم او النهي ؟ وعلى كل حال فان هذه الامور فطرية وطبيعية وتكوينية وليست في اختيار البشر ايضاً لانها ميول نفسية وذاتية فعلى هذا كيف يمكن ان تقع مورداً للتكليف والنهي ؟

أما الجواب على ذلك .

عدم الإلتزام هو المذموم والمنهي عنه :

نفس هذه الامور ليست مورداً للذم او النهي أبداً ، بل انها حسنة بشروط ، بل قد تقع مورداً للامر الالهي ، والشيء المذموم والمرفوض والذي ورد النهي عنه في الشريعة هو عدم الالتزام فيها يعني عدم رعاية الحلال والحرام في هذه الامور ، فلو ان هذه الامور اصبحت مورداً لتعلق الانسان بها بحيث يتصور انها هي الهدف من الخلقة وبذلك يبتعد عن محبة الله والاخرة ويبقى غافلا عن الكمالات الانسانية فهذا هو المرفوض ، فعندما تكون رغبته منحصرة في الوصول الى الماديات ويتصور أنها هي الحقيقة وذات الاهمية والنقدية فان الاخرة ستكون في مقابل ذلك هي النسيئة والقليلة الاهمية او لاسمح الله تكون مشكوكة في نظره ووهمية ، وهكذا تنحصر سعادته في الوصول الى هذه الشهوات وحزنه في الحرمان منها ، فهذا هو المذموم .

اذاً فالنهي والذم واللوم يتعلق بكيفية ارتباط الانسان بهذه الامور وعلاقته معها .

الماديات وسيلة للمعنويات :

ولكن عندما يدرك الانسان بنور العقل بانه مخلوق لعالم آخر وأنَّ الموت لا يعني فناءه وعدمه ، وانه في هذه الدنيا مسافر ووطنه ومحط رحاله هو عالم ما بعد الموت فعند ذلك لا يجعل هذه الامور هدفاً لحياته حتى يتعلق قلبه بها ويعشقها ، بل يرى انها وسيلة وسبب للوصول الى الحياة الباقية .

لذلك عليه ان يقيد نفسه بهذه الامور من اجل السير في الطريق التكاملي للانسانية . يعني ان يراعى التقوى باي حال ويلتزم بارشادات الشريعة المقدسة في مواجهة هذه الشهوات ويحذر جداً من الاسراف والتبذير ، فهو في الوقت الذي يسعى فيه لتدبير امور معاشه ولا يقصر فيها فان طموحه وهدفه هو تأمين الحياة الباقية والوصول الى الكمال الانساني حتى يصل به الامر أن تكون سعادته وسروره في فعل الخيرات والاعمال الصالحة وحزنه عند ارتكاب ذنب أو مكروه .

حالة المؤمن في اليسر والعسر :

ان تأثر النفس بالمحيط امر جبري ، بمعنى ان كل شخص يرتاح عندما يصل الى ما يريده ويرغب فيه ويحزن عند مواجهته لما لا يتلاءم معه ويخالف رغبته وهذا الامر طبيعي ولا يختص بالمؤمن او الكافر ، الا ان ما يميز المؤمن في هذه المسألة هو انه لا يتألم او يهزم في الشدائد لان قلبه غير متعلق بتلك الامور حتى يحزن على فراقها ، ولا يكون عند السرور والفرح بحيث يغفل عن المنعم بل يكون صابراً وثابتاً ومستقيماً في حالة العسر والشدة بقوة الايمان بالله والاعتقاد بفناء الدنيا وهكذا يكون حاله عند الوصول الى الدنيوية والملذات الموقتة فان قلبه لا يهدأ ولا يطمئن بها لان هدفه ومنتهى طموحه هو الوصول الى اللذات الباقية في الجنة فكيف يقنع بهذه الامور الفانية ؟

اجل . . فالجاهلون بالعالم الاعلى تقنع نفوسهم وتهدأ عند الوصول الى الشهوات لأنهم لا رغبة لهم في غير ذلك[1] .

اما الشخص الذي يخاف ويرتجف من العذاب الأخروي فكيف يمكن لصعوبات الدنيا ان تهزمه او تقعده او تذله ؟ فمثله مثل الملدوغ بالحية عندما تلسعه بعوضة فهو لا يلتفت اليها احياناً وحتى لو التفت ايضاً فانه لا يعتني بها ولا يهتم لها .

بذكر الحبيب تهون الصعوبات :

وخلاصة المطلب ان الصعوبات والشدائد الدنيوية تؤثر على نفسه ولا تؤثر على قلبه ، لان قلبه متعلق بالله وحبه وخشوعه لا يكون لغير الله ، وفي مقابل ذلك فان الدنيا لا قيمة لها في نظره فانها فانية وسريعة الزوال فلهذا لا يتأثر قلبه عند اقبالها وادبارها ويسرها وعسرها ، فمع ان نفسه تتأثر بذلك الا انه يتحمل تلك الصعوبات بكل سهولة بذكره لله وشوق لقائه وجواره والحصول على ثوابه العظيم عند الشدة والبلاء . كما قال الامام الحسين (ع) عندما اصاب السهم المثلث طفله الرضيع فذبحه وهو على يديه :

- « هون على ما نزل بي انه بعين الله » .

وقد روى ان كل مصيبة كانت تنزل على الامام الحسين يوم العاشر كان وجهه الشريف يشرق ويتلألأ اكثر .

(١) ﴿ رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ﴾ سورة يونس الاية ٧ .

العبرة تعني الاتعاظ بالنتيجة :

والمطلب الآخر هو معرفة معنى العبرة ، فالعبرة تعني الاتعاظ واكتساب الحكمة بهذه الصورة بان يسمع ويرى ما يجري على الناس او على اي شيء آخر ويطبق ذلك على نفسه ، مثلا عند رؤيته او سماعه لظالم قد لقى جزاء اعماله في هذه الدنيا قبل عذاب الآخرة فانه سوف يأخذ العبرة من ذلك بحيث يتجنب ان يظلم احداً بعد ذلك .

او انه برؤيته او سماعه لانسان حريص قد لاقى ما لاقى من الصعاب والاتعاب حتى استطاع ان يجمع شيئا من مال الدنيا ولكنه لم ينتفع بها وتركها ومضى ، او ان شخصاً مات قبل ان يصل الى المقام الذي كان يطمح اليه ويسعى بكل صورة للوصول اليه ، اذن يجب عليه ترك الحرص .

او انه رأى او سمع بحسود احترق بنيران حسده ولم يتمكن ان يلحق الضرر بذلك الشخص المحسود الى ان مات فالمفروض ان يترك الحسد .

وكذلك بالنسبة الى حالات اهل الدنيا وعدم استقرارهم وقلقهم وتفاهة معيشتهم فعليه ان يأخذ العبرة من ذلك ولا يغفل عن تذكر الموت وفناء الدنيا . ولا يتعلق ولا يطمئن باية حالة من حالات الصحة والعافية والثروة والمقام والقدرة في هذه الدنيا لانها لا دوام لها .

وكذلك لا يحزن او يتأثر عند اي عسر او مرض او مشكلة من فقر ومحرومية وغير ذلك لأنها أيضاً لا دوام لها فاما ان تزول او تتبدل او ينتهي منها بالموت آخر الامر ويتخلص منها .

وبهذا يتضح معنى الشهوة والعبرة ويتضح معنى الحديث الشريف « واطفأ نور عبرته بشهوات نفسه » .

حب الشيء يعمي ويصم :

فالشخص الذي تعلق قلبه وارادته بشهواته النفسية فسوف لا يرى ابداً فناءها وزوالها وعدم استقرارها وسائر عيوبها الملازمة لها ، ومن الامور المشهورة والصحيحة هي ان « حب الشيء يعمي ويصم » فمن احب شيئاً وسعى في طلبه فانه لا يرى عيوبه وحتى لو ذكرت له اضراره ومساوية فانه لا يسمع ، ولا يأخذ العبرة بما جرى على من سبقه ، ومن هنا يقول الامام امير المؤمنين (ع) :

« ما اكثر العبر واقل الاعتبار »[1] .

والسر في ذلك هو ان العبرة من الشؤون الانسانية ، اما الحيوان فانه ليس اهلا للعبرة والاعتبار فواضح انه لا يوجد حيوان يأخذ العبرة من الحيوان الآخر ، فكذلك الانسان الذي غرق في صفاته وجهاته الحيوانية فانه يصير كالحيوان فلا يكون من اهل العبرة وما اجمل ما قيل :

كرك اجل يكايك از اين گله ميبرد اين گله رانكركه حه آسوده ميجرد

يعني ان ذئب الاجل يأخذ واحداً واحداً من هذا القطيع باستمرار لكن انظر الى القطيع كيف يأكل وهو هادىء البال .

البصيرة لرؤية الحقائق :

ومن هنا يقول في القرآن الكريم :

﴿فاعتبروا يا اولي الابصار﴾[2] .

فالبصر لاجل رؤية ظواهر الاشياء والاجسام اما البصيرة فلاجل رؤية وفهم بواطنها وادراك حقائق وواقعيات الامور .

وكما ان العين الظاهرية لا ترى شيئاً في الظلام ، فكذلك القلب والبصيرة عندما تغرق في الشهوات فانها لا تدرك حقائق الاشياء وفناء الدنيا ولا ترى آثار ولوازم اعمال النفس ولا تأخذ العبرة ايضاً من اعمال وحالات الاخرين .

انهدام العقل يفسد الدين والدنيا :

« ومن هدمْ عقله افسد عليه دينه ودنياه» وقد قال الامام في كلماته السابقة بان كل من كان عنده طول الأمل ولم يقيد لسانه من الكلام الزائد واتبع شهواته واهواءه الحيوانية فانه يهدم عقله ويضيع تفكيره ، وهنا يقول في هذه الجملة بان من هدم عقله فان ذلك سيؤدي الى فساد دينه ودنياه لذلك سنشرح هذه العبارة بصورة مختصرة ونختم البحث .

(١) نهج البلاغة .

(٢) سورة الحشر الاية ٢ .

التدين لا يجتمع مع الامال الواهية :

اما فساد الدين فلان حقيقة الدين هو التعلق القلبي والخضوع والخشوع لله تبارك وتعالى والاولياء الصالحين والوصول الى المقامات الاخروية وتحصيل اللذات والنعم الدائمية في تلك الحياة والنجاة من هذه المتاعب والصعوبات الدنيوية ، اذن فكيف يمكن للشخص الطويل الامل والذي تكون علاقته وارادته الباطنية مستسلمة للامور المادية والدنيوية فقط ان يصبح متديناً ؟

وكذلك فان التدين معناه التقييد الالتزام باجتناب الذنوب في جميع الحالات والافعال والاقوال والذي يعني التقوى ، ومن الواضح ان الشخص غير الملتزم وغير المقيد لا يمكنه ان يصير متقياً ابداً .

اضافة الى ذلك فانه قد فقد انسانيته باتباعه الشهوات وارتكابه المعاصي وفقد العبرة أيضاً فكيف يستطيع التفكير في تهيئة أُمور السفر للاخرة وللوصول الى الكمالات الانسانية واداء الاعمال الصالحة وما ينفعه لحياته الباقية .

العز يجعل الحياة تعيسة :

واما الفساد الدنيوي : فمما لا شك فيه ان سعادة الدنيا هو بان يحصل الانسان فيها على هدوء البال وراحة الخاطر والا يكون خائفاً ومضطرباً من شيء ولا يكون محتاجاً لاي شيء ، وبديهي ان صاحب الامل الطويل يسعى دائماً للحصول على ما يريده من اهواء وشهوات لا نهاية لها ولكنه لا يصل ولا يحصل حتى على واحد من المئات منها ويظل دائماً في نيران الحرص وكذلك الحسد وحب التغلب على الخصم وسائر الهموم والغموم فسوف لا يذوق طعم الراحة وتستمر المشاكل والنواقص حتى تقضي عليه ويصطدم في طريق الوصول الى شهواته بآلاف الموانع والصعوبات والاشخاص المنافسين والمزاحمين ، اضافة الى انه يتبلى دائماً بعوارض اتباع الشهوات المهلكة ايضاً .

حفظنا الله جميعاً من شرور انفسنا ، ووفقنا الى معرفته وعبادته .

والحمد لله رب العالمين

الفهرست

الموضوع	الصفحة
اهداء	٥
تقديم	٧
الفصل الاول	
بالتفكر تتكامل المعرفة الفطرية	١٥
اجسامنا جمعاً من التراب	١٦
السمع والبصر بحاجة الى ملايين الاجزاء	١٦
مع كل موجود بدون حلول راتحاد	١٧
حجاب على عين القلب	١٨
حب النفس من اشد الحجب ظلاماً	١٩
الصوم والسهر علاج لحجب القلب	٢٠
الفصل الثاني	
التوجه الى العين والوجه	٢١
الحاجب والاهداب واجفان العين تدفع الى الحيرة	٢٢
التفكر في الفم والشفاه والاسنان	٢٣
مع عدم العلم سينهار لشبهة واحدة	٢٣

الموضوع	الصفحة

الفصل الثالث

الخلق من اجل العلم بقدرة الله وعلمه ٢٥
ميزان الحق عند الشخص الاناني هو النفس ٢٥
الانانية عند الشباب أقل وهو اقرب الى الصلاح ٢٦
بالرياضة والمناجاة يمكننا تضعيف الحجاب ٢٧
يا من له مائة قلب اجعل قلبك واحدا ٢٨

الفصل الرابع

الانتقال من الجزئي الى الكلي من خصوصيات الانسان ٢٩
الادراك المؤثر من طريق الاثر لا يحتاج الى تعلم ٢٩
القرآن يذكر دائاً بخلق الانسان ٣٠
الذكر والانثى والمحبة بين الزوجين من آيات الله ٣٠
النوم وآثاره المدهشة ٣١
الكواكب والغيوم مسخرة لارادته ٣١
ساعة تفكر في عظمة الخلق ٣٢
هل ان حركة الكواكب بدون هدف ٣٣
الانسان موجود غير مادي ٣٤
اختلاف الافراد والنظم الاجتماعية ٣٤
ظهور القدرة في خطوط السبابة ٣٥

الفصل الخامس

التسبيح التكويني شاهد على حكمة الله ٣٧
الارض هي الحاضنة لشجرة البطيخ ٣٧
اسنان ومعدة الحيوانات مناسبة لجميع الانواع ٣٨

الموضوع	الصفحة

الأذن غير الملائكية لا تسمح التسبيح الملكوتي ٣٩
الانسان والعوالم الاخرى مع النملة وعمود التلغراف ٤٠
حلم الله وكفر وجهل الانسان ٤٠
ابراهيم (ع) والضيف الكافر الذي اصبح موحداً ٤١

الفصل السادس

معرفة الله واجبة بحكم العقل ٤٣
انظر الى خلقتك والى طعامك ٤٣
الحيوان ينحني براسه للاكل ٤٤
البعير اعجوبة في الخلقة ٤٤
الاجرام السماوية والارض المناسبة ٤٥
اليقين الذي لا يزيد الشك لازم ٤٥
النظر الاستقلالي والمرآتي ٤٦
النور الذي يجعله الله في القلوب ٤٨
وظيفة الانسان ازالة المانع ٤٩

الفصل السابع

الانتقال عن الاسلام الى الايمان ٥١
تذكر العجز علاج الانانية ٥٢
المعرفة بمقدار الاستعداد والعمل ٥٢
حجب الظلام والنور ٥٣
معنى أن العلم هو الحجاب الاكبر ٥٣
زيادة العلم ورؤية القلب ٥٤
من رؤية الدخان الى الاحتراق بالنار ٥٤
التقرب من الحق أمل المشتاقين ٥٥

الموضوع	الصفحة

الفصل الثامن

تحقق الاشياء بالوجود ٥٧
عاشق لكل ما في العالم لان الجميع منه ٥٨
ربي ارني انظر اليك ٥٨
عندما يتحطم جبل النفس يحصل الشهود ٥٩
من أنا حتى اثنى عليك ٥٩

الفصل التاسع

الاطمئنان نتيجة الايمان وليس نتيجة العلم فقط ٦١
اليقين بالموت أشبه شيئاً بالشك ٦١
كونوا روحانيين لتصبحوا علماء ٦٢
الاخلاص في العبودية وعيون الحكمة ٦٣
المعرفة لا تجتمع مع الجهل بالواقع ٦٤

الفصل العاشر

التوحيد الذاتي والصفاتي والافعالي ٦٥
التعدد في واجب الوجود محال ٦٥
التعدد يؤدي الى الفساد والوحدة الى الصلاح ٦٦
يخالف لانه لا يفهم ٦٧
القرب ليس زمانياً او مكانياً وليس بالمرتبة والشرف ٦٧
الحلول والاتحاد كفر ٦٨
يعمل بالعين والاذن واليد الالهية ٦٩

الفصل الحادي عشر

جميع الحوادث من محدث واحد ٧١

الموضوع	الصفحة

محال ان يكون لله شريك ٧١
وحدة الخالق من وحدة الخلق ٧٢
التوحيد والهدف من خلق المخلوقات ٧٣
ارتباط الشمس وضوء القمر بالغيوم والزراعة ٧٤

الفصل الثاني عشر

لو كان مبدأ آخر لارسل رسلا ٧٥
لا أثر ولا علاقة لوجود الشريك ٧٥
ابتداء ورجوع الكل من الله والى الله ٧٦
الثنوية ماذا يقولون ؟ ٧٦
لكن الشر المطلق غير موجود في العالم ٧٦
شهادة العلماء على وحدانية الحق ٧٨
علامة العلم الخوف والرجاء من الله فقط ٧٨

الفصل الثالث عشر

شرح الصدر وعلاماته ٨١
التزكية شرط الإستفادة من العلوم ٨٢
علائم تحصيل العلم لله ٨٢
الايثار علامة لطلب المال في سبيل الله ٨٣
يسلم كرسي التدريس الى آخر ٨٣
الظالمون لانفسهم والمتوسطون والسابقون ٨٤
مرجعية شيخ العلماء والشيخ الانصاري ٨٥

الفصل الرابع عشر

الوجود المطلق غير قابل التعدد ٨٩

الموضوع	الصفحة

لا نظير لمعية الله للموجودات ٨٥
معية الروح للبدن تشبيه جيد ٩٠
من احاطة النفس نفهم احاطة الرب ٩٠
المطلوب هو انسان عارف باحث في الآيات ٩١
رمال الصحراء وعجز صدام آية الحق ٩١
تحول النفوس بالاخص عند الشباب آية الهية ٩٢
فسخ العزائم طريق معرفة الله ٩٢

الفصل الخامس عشر

متى غبت حتى تحتاج الى دليل ؟ ٩٥
اذا فهمت بان اللذة هي ترك اللذة ٩٦
معية القيومية هي نفسها الرحمة الرحمانية ٩٦
منتهى اقتراب العبد يكون ببركة النوافل ٩٧

الفصل السادس عشر

جميع الصفات ترجع الى العلم والقدرة ٩٩
الله تعالى لا نظير له في الصفات ١٠٠
لماذا كانت الحوقلة مفتاح الجنة ؟ ١٠٠
الاعتماد على غير الله مرتبة من النفاق ١٠١
صناعة الصانعين منه ايضاً ١٠٢
يزداد ايمانهم بدلا من الخوف ١٠٣

الفصل السابع عشر

الكمالات التكوينية من الله ١٠٥
الكمالات الكسبية منه أيضاً ١٠٦

الموضوع	الصفحة

غير الله لا يستحق الحمد بالاستقلال ١٠٧
املأوا افواه المداحين بالتراب ١٠٧
المواظبة على التوحيد الصفاتي ١٠٨

الفصل الثامن عشر

لا احد يستحق الحمد بالذات ١١١
فرق الاستحقاق الحقيقي والرجحاني ١١٢
خلاصة المطلب اشكال وجواب ١١٢
رجوع الافعال غير الاختيارية الى الله ١١٣
في الاعمال الارادية نحن الفعالون بصورة غير مستقلة ١١٤
في كل لحظة نحتاج الى علة مبقية ١١٥

الفصل التاسع عشر

افعال البشر غير الاختيارية ١١٧
ليس مجبوراً في الافعال الاحتيارية ١١٧
كل خير بتوفيق الله ١١٨
العجب بعمل الخير مبطل ١١٩
الشر باذن الله ١١٨
الانسان يصل الى الكمال بواسطة الارادة ١٢٠

الفصل العشرون

التركيب يلزم التعدد ١٢٢
صفة الله ليست لها نهاية ١٢٣
علامة اكتمال المعرفة عند الرسول(ص) ١٢٣
التقوى بمقدار الاستطاعة ١٢٤

الموضوع	الصفحة

الفصل الحادي والعشرون

الله هو مصدر كل علم وقدرة ١٢٧
التصديق القلبي في توحيد الصفات ١٢٨
عبادة سنة الاف عام مع الانانية ١٢٨
الغنى المالي يؤدي الى الطغيان ١٢٩
القلب الميت لا يستيقظ حتى بالموت ١٢٩
دانيال والسبع الضاري في قعر البئر ١٣٠

الفصل الثاني والعشرون

الغفلة عن الحق سبب النزاعات ١٣٣
النفس تصير امارة اذا ترك لها العنان ١٣٤
عبارات لطيفة من الصحيفة السجادية ١٣٤
الابتلاء بالمدح والذم الاستقلالي ١٣٥
الهي منك العطاء والمنع ١٣٦

الفصل الثالث والعشرون

الله هو الكمال المطلق ١٣٩
تأثير الممكنات من الله ١٣٩
تبريد النار للخيل (ع) ١٤٠
كيفية اهلاك اصحاب الفيل ١٤١
ينجو من المرصاص ١٤١
الرمال الناعمة تدخل عيون الكفار المهاجمين ١٤٢
الارادة منك والبقية من الله ١٩٢

الفصل الرابع والعشرون

هل ان الذهاب للقتال هو مسبب للموت ؟ ١٤٥

الموضوع	الصفحة

قبض الروح من فعل معطى الروح ١٤٦
اذا لم يؤثر السبب فلا يحزن ١٤٦
حب الذات بدل من حب الله ١٤٧
اطمئنان القلب في تذكر احسان الله ١٤٨

الفصل الخامس والعشرون

كيف تستخدم في غير رضا المالك ؟ ١٤٩
حضور الله عند راعى البادية ١٥٠
التوكل على الله واطمئنان القلب ١٥٠
مقومات الوكيل ١٥٠
اشكو الى الله من هوى النفس ١٥١
نطلب اليقين من الله ١٥٢
محبة الله على اي حال ١٥٢

الفصل السادس والعشرون

ما هو الاخلاص الله ١٥٣
شبهة طفولية وجوابها ١٥٤
الحصن المنيع للتوحيد مشروط بالولاية ١٥٤
التوحيد ناقص بدون الاعتقاد بالامامة ١٥٥
المعرفة من الله والطاعة من الناس ١٥٦
الاعتقاد بالتوحيد لا يصح بدون الاعتقاد بالمعاد ١٥٦

الفصل السابع والعشرون

الاخلاص في المخلوق خلوص في العبودية ١٥٩
يحب كل الموجودات من أجل الله ١٥٩
القلب النزيه يرى الله منزهاً ١٦٠

الموضوع	الصفحة

المرائي مشرك حتماً ١٦٠
نتيجة الاخلاص لقاء الله ١٦١
عند الاخلاص يكون اللقاء بالقلب ١٦١
علاقة الاخلاص الحذر من كل ذنب ١٦٢
برهان الرب يمنع يوسف (ع) ١٦٢
للمخلصين مرتبة من العصمة ١٦٣

الفصل الثامن والعشرون

دوام العبودية مقام سام ١٦٥
مراتب التوبة ، خاص الخاص ١٦٦
البشارة لمن يحب الاخلاص ١٦٦
علم العشق غير منقوش بالدفاتر ١٦٧
أن لا يرى نفسه مالكاً او مدبراً ١٦٨
مشغول باوامر الله ونواهيه ١٦٨
بشر الحافي يريد ان يصير عبداً ١٦٩

الفصل التاسع والعشرين

مع رؤية الله مالكاً يسهل الانفاق ١٧١
بعض الادعية أوامر ١٧٢
مع التفويض تسهل الصعوبات ١٧٢
الراحة عندما لا يكون ميل النفس ١٧٣
المباهاة علامة عدم العبودية ١٧٣
نتائج العلامات الثلاثة للعبودية ١٧٤
الجنة لمن لا يريد العلو ١٧٤
آية شديدة في التحذير ١٧٥

الموضوع	الصفحة

الفصل الثلاثون

كثرة الاكل تضعف الفهم ١٧٧
اكل الحلال وذكر الله عند الاكل ١٧٨
حالة القرب عند الجوع والصوم ١٧٩
الحلم في مقابل الشتم والتهمة ١٧٩
جواب الخواجة نصير الدين على رسالته جاهل ١٨٠
جواب الاساءة بالاحسان ١٨٠
اسأل لفهم ما تجهله ١٨١

الفصل الحادي والثلاثون

العقل تلك القوة التي اعطاها الله للانسان ١٨٢
الاحاطة العلمية دليل على تجرد الانسان ١٨٣
ادراك مسبب الاسباب من خصوصيات العقل ١٨٣
العقل يدرك المعاد والخير والشر ١٨٤
العقل العلمي والعملي ١٨٤
مجمل العلوم في باطن الانسان ١٨٥
اذن يجب ان يكون الجميع عرفاء ١٨٥
المقتضى لا يكفي بدون رفع المانع ١٨٦
متى يبلغ البنيان يوماً ١٨٦
طول الامل يعمي ويصم ١٨٧

الفصل الثاني والثلاثين

الدنيا مظلمة بالتمنيات ١٨٩
شعار الغاية تبرر الوسيلة ١٨٩
اخوف الاشياء عبادة الهوى والامال الواهية ١٩٠

الموضوع	الصفحة

الحشر مع الصالحين بسبب الاتباع ١٩٠
اسامة يشترى جارية لشهرين ١٩١
الشيخ الذي يحرث الارض ١٩٢
المرفوض هو طلب الدنيا مع الغفلة ١٩٢
الشاب العالم مورد غضب الله ١٩٣
من قال باننا احيءٌ في الغد ١٩٤

الفصل الثالث والثلاثون

الانسان بين طريقين ١٩٥
ماذا اعددت لآخرتك ١٩٦
ما هي الحكمة وما هو تأثيرها ١٩٦
ما هي الحكمة وما هو تأثيرها ١٩٦
الثرثرة تبعد الانسان عن الحكمة ١٩٧
الحديث لغير الله حجر على ينبوع القلب ١٩٨
فساد القلب نتيجة فساد اللسان ١٩٩
التابوت وعرش السلطان ١٩٩

الفصل الاربع والثلاثون

هل ان الشهوات مرفوضة ٢٠٠
عدم لالتزام هو المذموم والمنهى عنه ٢٠٢
الماديات وسيلة للمعنويات ٢٠٢
حالة المؤمن في اليسر والعسر ٢٠٣
بذكر الحبيب تهون الصعوبات ٢٠٣
العبرة تعني الاتعاظ بالنتيجة ٢٠٤
حب الشيء يعمي ويصم ٢٠٤

الموضوع	الصفحة

البصيرة لرؤية الحقائق ٢٠٥
انهدام العقل يفسد الدين والدنيا ٢٠٥
التدين لا يجتمع مع الامال الواهية ٢٠٦
العجز يجعل الحياة تعيسة ٢٠٦
الفهرست ٢٠٩

6954

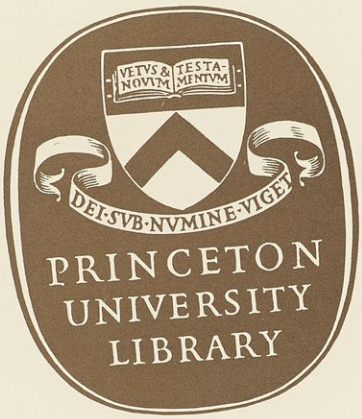
VETVS &
NOVVM
TESTA-
MENTVM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

WERT
BOOKBINDING
Grantville, Pa.
JULY - AUG 1994
We're Quality Bound

Princeton University Library
32101 059056026